مجازات النبویه









بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله سبحانه بمحامده التي يستحقها واختصاص نبيه محمد واله الطاهرين بالصلوات التي هم اهلها فاني غرفت ما شا فهتني بر من استحسان الخبيئة التي اطلعتها و الدفينة التي اثرتها من كتابي الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القران واني سلكت من ذلك محجة لم تسلك وطرقت بابا لم يطرق وما رغبت الي فيه من سلوك مثل تلك الطريقة في عمل كتاب يشتمل على مجازات الاثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه واله اذ كان فيها كثير من الاستعارات البديعة ولمع البيان الغريبة و اسرار اللغة اللطيفة يعظم النفع باستنباط معادنها واستخراج كوامنها واطلاعها من اكمتها واكنانها وتجريدها من خللها و اجفانها فيكون هذان الكتابان باذن الله لمعتين يستضاء بهما وغريبتين لم اسبق الى قرع بابهما فاجبتك الى ذلك مستخيرا الله سبحانه فيه على كثرة الاشغال القاطعة والعوائق المانعة و الاوقات الضيقة والهموم المخنقة وعلت بتوفيق الله على تتبع ما في كلامه

والخبيئة ما خبئ وغاب ... كالخبء والخبيئة



صلى الله عليه واله من ذلك والاشارة منه الى مواضع النكت و مواقع الغرض بالعبادات الوحية والايماءات الخفية على طريقتي في كتاب مجازات القران ليلا يطول الكتاب فيحنو على الناظر ويشق على الناقل فان القلوب في هذا الزمان ضعيفة عن تحمل اعباء العلوم الثقيلة والاجراء في مسافات الفضايل الطويلة لانه لم يبق من الفضل الا الذماء ومن الفضلاء الا الاسماء ولله الحمد على السراء والضراء والبوس والنعماء ولست شاكا في ان ما يفوتني من الجنس الذي اقصده اكثر من الحاصل لي والواقع الي ولكنني اقتصر على ما تناله في هذا الوقت يدي ويقرب من تصفحي وتاملي ✽ واذا ورد بمشية الله من هذه الاثار ما فيه موضع مجاز قد تقدم الكلام على نظير له او ما يقوم مقامه اقتصرت على القول الاول طلبا للاقتصاد وتوفيا دون الابعاد على مثل الاصل المقرر في كتاب مجازات القران ✽ ولولا ان ابا علي محمد بن عبد الوهاب قد سبق الى تفسير متشابه الاخبار التي ظاهرها التشبيه والتجسيم وصريحها التجوير والظلم واستقصى هذا المعنى في كتابه الموسوم بشرح الحديث وتعاطى ذلك جماعة غيره من علماء اهل العدل في مواضع من كتبهم لتتبعت هذا الفن جميعا تتبعا يكشف الشبه ويوضح المشتبه على طريقتي في كتابي الكبير الموسوم بحقايق التاويل في متشابه

[illegible]

التنزيل الا انني بعون الله اورد من ذلك ما كان داخلا في باب الاستعارة
اللغوية بكليته او بشعبة كبيرة من شعبه • والذي اعتمد عليه في
استخراج ما يتضمن الغرض الذي انحو نحوه واقصد قصده كتب غريب
الحديث المعروفة واخبار المغازي المشهورة ومسانيد المحدثين
الصحيحة مضيفا الى ذلك ما يلحق هذا المعنى من جملة كلامه عليه
السلام الموجز الذي لم يسبق الى لفظه ولم يفترع من قبله وجميع
ذلك مما اتقنا بعضه رواية وحصلنا بعضه اجازة وخرجنا
بعضه تصفحا وقراءة مستمدين في ذلك وفي ساير الانحاء والمرامي و
المطالب والمغازي توفيق الله سبحانه الذي يهون الشديد ويقرب
البعيد ويذلل الصعب اذا ابى ويقوم المعوج اذا التوى وما توفيقنا
الا بالله عليه توكلنا واليه ننيب **فمن ذلك قوله عليه السلم** هذه مكة
قد رمتكم بافلاذ كبدها • وفي رواية اخرى • قد القت اليكم افلاذ
كبدها • وهذه من افصح العبارات واوقع الاستعارات وقال
ذلك عليه السلام عند خروجه الى بدر للقتال وقد خرجت قريش
من مكة مجلبة عليه ومجلبة اليه وكان المسلمون قد ظفروا ببعض
فراطهم فاتوا بهم النبي عليه السلم فسالهم عمن خرج في ذلك الجمع من علية
قريش فقالوا فلان وفلان وفلان وعدوا قادتهم وذادتهم والوجوه

والسادات منهم فقال عليه السلام هذه مكة قد رمتكم بافلاذ كبدها
ولهذا الكلام معنيان احدهما ان يكون المراد به ان هولاء المعدودين
صميم قريش ومحضها ولبابها وسرها كما يقول القايل منهم فلان قلب
في بني فلان اذا كان من صرحايهم وفي النضار من احسابهم • ويجوز
ان يكون المراد بالكبد هاهنا كالمراد بالقلب هناك لتقارب الشيين
وشرف العضوين فيكنى باسم كل واحد منهما عن العلق الكريم واللباب
الصميم • والافلاذ القطع المتفرقة عن الشيء وقلما يستعمل ذلك
الا في الكبد خاصة • قال الشاعر يكفيه فلذة كبد ان الم بها من الشوا
ويروى شربة الغمر • والمعنى الاخر ان يكون المراد بذلك اعيان القوم
ورؤساءهم والعرانين المقدمة منهم فكانه عليه السلم اقام مكة مقام
الحشا التي تجمع هذه الاعضاء الشريفة كالقلب والنياط والكبد
والفواد وجعل رجال قريش كشعب الكبد التي تحنو عليها الاضالع
وتشتمل عليها الجوانح وقاية لها ورفوم عليها **ومن ذلك قوله عليه السلام**
وقد نظر الى احد منصرفه من غزاته هذا جبل يحبنا ونحبه
وهذا القول محمول على المجاز لان الجبل على الحقيقة لا يصح ان يحب
ولا يحب اذ محبة الانسان لغيره انما هي كناية عن ارادة النفع له
او التعظيم المختص به على ما بيناه في عدة مواضع من كتابنا المشهور

في علوم القران وكلا الامرين لا يصح على الجماد ولا التعظيم المختص به ولا النفع
العايد عليه فيستحيل ان يعظم او يعظِم او ينفع او ينتفع • فالمراد
ونحبه اهله صح اذًا ان احدًا جبل يحبنا اهله واهله هم اهل المدينة من الانصار او
سهم وخزرجهم وعين خاف حبهم النبي عليه السلام وحبه لهم وتعظيمهم
له واعظامه لقدرهم الا ترى الى قوله عليه السلام في كلام طويل و
لو سلك الانصار شعبًا وسلك الناس شعبًا لسلكت شعب الانصار
ولولا الهجرة لكنت امرءًا من الانصار الى غير ذلك من الكلام الذي
يطول بذكره الكتاب وينقض قاعدتنا في الاختصار ومثل هذا
الحديث ما روي عنه عليه السلام في حديث اخر قال
نهران مؤمنان ونهران كافران اما المؤمنان فالنيل والفرات و
واما الكافران فدجلة ونهر بلخ • والاولى ان يكون تاويل هذا الخبر ان
كان صحيحًا كتاويل الخبر المتقدم • فكانه عليه السلم قال اهل هذين النهرين
مؤمنون واهل هذين النهرين كافرون وتكون هاتان الصفتان جاريتين
على سكان الانهار في وقت مخصوص او على الاغلب من الاحوال في زمان معلوم
لان من اهل هذين النهرين المؤمن والكافر كما ان من اهل ذانك النهرين
البر والفاجر • وقد قيل في ذلك قول اخر لست ارتضيه وهو ان يكون انما
جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه والتمثيل لكثرة انتفاع الناس

بسقياهما كالانتفاع بالمؤمنين وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لقلة
الانتفاع بهما كقلة الانتفاع بالكافرين • والقول الاول اخلق
بالصواب واشبه بالمراد ومن ذلك قوله عليه السلم المسلمون تتكافؤ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ويرد عليهم اقصاهم وهم يد على من سواهم
فقوله عليه السلام وهم يد على من سواهم استعارة ومجاز ولذلك
وجهان احدهما ان يكون عليه السلام شبه المسلمين في التضافر و
التوازر والاجتماع والترافد باليد الواحدة التي لا يخالف بعضها
بعضا في البسط والقبض والرفع والخفض والابرام والنقض • وقد
يسمى انصار الرجل واعوانه يدا على طريق الاتساع تشبيها لهم باليد
التي ينتصر بها ويدافع بقوتها • قال الراجز • اعطى فاعطاني يدا
ودارا • وباحة خولها عقارا • يقول بواني دارا واحتفى اعوانا وانصارا صح
والوجه الاخر ان يكون اليد ههنا بمعنى القوة • فكانه عليه السلام
قال وهم قوة على من سواهم والقوة احد المعاني التي يعبر عنها باسم
اليد وقد استقصيت ذلك في كتابي الكبير الموسوم بحقائق التاويل
وذكرت ان قول القايل لا افعل ذلك يد الدهر معناه عندي لا افعل
ذلك قوة الدهر اي ما دام الدهر قوي الاركان قايم البنيان • فاما
الحديث الاخر عنه عليه السلام وهو قوله عليكم بالجماعة فان يد الله

على الفسطاط فليس المراد باليد فيه كالمراد باليد في الحديث الاول
بل المراد باليد هاهنا حفظ الله ورعايته كما يقول القايل انا في
يد فلان اذا اراد انه حافظه له وامينه عليه والفسطاط هاهنا
البلد. ومنه سمي فسطاط مصر. فكانه عليه السلام امرهم بلزوم الجماعة
في الامصار ونهاهم عن الانشعاب والافتراق ولم يرد ان الخارج
من المصر خارج عن قبضة الله وملكته لكنه خارج عن حفظه ورعايته
وانما امرهم بلزوم الامصار لانها في الاكثر مواضع الجماعة والا فالامر
على الحقيقة انما هو بلزوم الجماعة ولو كان اهلها في كفاف الفيافي
ومطارح البوادي ومن ذلك قوله عليه السلام في الخيل ظهورها
حرز وبطونها كنز. وهذا القول خارج عن طريق المجاز لان بطون
الخيل على الحقيقة ليست بكنز. وانما اراد عليه السلام ان اصحابها
يبتغون بها من الافلاء ما تنمى به اموالهم وتحسن معه احوالهم فهم باستنتاج
بطونها نطف الفحول كمن كنز كنزا اذا اراده وجده واذا الجاء اليه
دعم ظهره كما يكون الكانز عند الرجوع الى الكنز والتعويل على ما تحت
يده. وقوله عليه السلام وظهورها حرز اوضح من ان توضح والمراد
انها منجاة من المعاطب وملجاة عند المهارب ومن ذلك قوله
عليه السلام في الجنين غرة عبد او امة وفي هذا الكلام مجاز لانه

عليه السلام انما جعل العبد او الامة غرة لانهما افضل ما يملكه
المالك وافخره واظهره واشهره ولذلك سمي ايضا في لسانهم الفرس
غرة لانه من انفس ما يملك. ولمثل هذا المعنى ايضا ما سموا الخيل
جبهة. وفي الحديث المشهور ليس في الجبهة ولا في النخة ولا في
الكسعة صدقة والنخة الرقيق. ومن قال النخة بالضم قال هي
البقر العوامل والكسعة الحمير وهذا اشهر الاقوال في معنى هذا الحديث
وقال ابن احمر ان نحن الا اناس اهل سايمة ما ان لهم دونها حرث
ولا غرر اي ليس لهم زرع يعتمد ولا خيل تقتعد. وقال
الاخر. كل قتيل في كليب غرة. حتى ينال القتل ال مرة. يقول
كل قتيل قتلته بكليب من غير ال مرة عبد لا تقبله بواء ولا ترضى
به كفاء. وكان تحوي الكلام ان العبد والامة والفرس من اظهر
الاشياء المملوكة وادلها على وفارة الثروة وفخامة النعمة
لان غيرها من الاعراض في الاكثر لا يشتهر اشتهارها ولا
ينتشر انتشارها ومن ذلك قوله عليه السلام اذا اراد الله بعبد
خيرا عسله. قيل يا رسول الله وما عسله قال يفتح له بين
يدي موته عملا صالحا يرضى بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله
وفي هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام عسله وهو ماخوذ

من العسل كما يقول القائل عسلت الطعام اذا جعلت فيه عسلا و
سمنته اذا جعلت فيه سمنا وزيته اذا جعلت فيه زيتا ومعنى عسله
جعل عمله حلوا يحمده الصالحون ويرضاه المتقون فيكون كالشيء
المعسول الذي يسوغ في اللهوات ويلذ على المذاقات والمجاز الاخر
قوله عليه السلام بين يدي موتر ولا يدي للموت على الحقيقة. و
لكنها كناية عن الشيء الواقع امام الشيء المتوقع وقد تكلمنا على هذا
المعنى في كتاب مجازات القران عند قوله سبحانه في البقرة فجعلناها
نكالا لما بين يديها وما خلفها. وعند قوله في سبا. ان هو الا نذير
لكم بين يدي عذاب شديد. وذلك كما يقول احدنا للغير وهو
سالك طريق وسائل عن رفيق ها هو ذا بين يديك اي قد تقدمك
ولا يقال لذلك الا فيما كنت وراءه وهو امامك لا فيما كنت امامه
وهو وراءك وكل ذلك انما يراد به في الاكثر تقريب الشيء من الانسان
حتى كانه لقاء يديه وقراب تناوله كما تقول هذا الشيء اخذ بيدي
اي ممكن لها وقريب من تناولها ومن ذلك قوله عليه السلام ويل
لاقماع القول ويل للمصرين. وفي هذا الكلام مجاز واستعارة
لانه عليه السلام عنى بها الذين يكثرون استماع القول واختلاف
الكلام فيكون ذلك ثالثا في دينهم وقادحا في يقينهم فشبه عليه السلام

اذانهم

اذانهم بالاقماع التي تفرغ فيها ضروب القول افراغ المايعات وهذه
من احسن العبارات عن هذه المعنى لان الاذان هي الطرق التي يوصل
منها الى الصدور والانقاب التي يدخل منها على القلوب فهي ابواب
موصلة وطرق مبلغة وقد حمل بعض العلماء هذا الحديث على تاويل
غير مشبه لمجرى اللفظ لانه قال المراد بذلك الذين تكون المواعظ
اسماعهم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي وموضعون في طرق المغاوي
وهذا القول وان كان سائغا فان الاشبه بظاهر الكلام ان يكون
على ما قدمت القول فيه من ذم من يجعل سمعه مساغا للاقوال المختلفة
والانباء المتضادة ويكون قوله عليه السلام المصرين تماما لهذا
المعنى المراد ومبالغة في وصف هؤلاء المذمومين بكثرة استماع الاقوال
فيكون ذلك من قولهم اصر الفرس اذنيه اذا نصبهما للتوجس لانه يقال
اصر اذنيه وصر باذنيه وهذا التاويل لم احدا سبقني اليه و اعلم صح
من ذلك قوله عليه السلام حين اتاه الفضل بن العباس وابن ربيعة بن
الحرث بن عبد المطلب يسالانه عن ابويهما السقاية فتواكلا الكلام فقال
عليه السلام اخرجا ما تصرران. وفي هذا القول استعارة لانه
عليه السلام اراد اظهرا ما تكتمان في قلوبكما وصرحا بما تلجلج به
السنتكما فجعل القلب بمنزلة الوعاء والكتمان بمنزلة الوكاء والاصر

المكتوم بمنزلة الشيء الموعى وكل شيء جمعته فقد صررته • ومنه قيل
للاسير مصرور اذا جمعت يداه بالغل وقدماه بالحجل ومن ذلك
قوله عليه السلام في عمرة الحديبية عند كلام جرى في شان قريش فان اتبعونا
ابتعنا منهم عنق يقطعها الله • وفي هذا القول استعارة لانه عليه السلم
شبه من يتبعه منهم في التلاحق والاستداد والجد والاجتهاد بالعنق
الواحدة التي لا تختلف اجزاؤها ولا تتباين اعضاؤها فهو اشد لقوتها
واوهن لصدمتها • وعلى هذا المعنى قول الشاعر وانشدنا شيخنا ابو الفتح
عثمان بن جني النحوي رحمه الله في حال القراءة عليه • ابلغ امير المومنين
اخا العراق اذا اتينا العراق واهله عنق اليك فهيت هيتا • وللقول
الشاعر عنق اليك معنيان • احدهما ان يكون على الوجه الذي ذكرنا
اولانه تشبيه الطالبين له والقاصدين اليه بالعنق في التلاحق
الى فنائه والتسرع الى لقائه • والمعنى الاخر ان يكون اراد ان اهل العراق
على توقع لوروده وتشوف الى طلوعه فهم كالعنق الممتدة نحوه وذلك على
المتعارف بيننا من قول القائل منا اذا اراد ان يعبر عن استطارة لوارد
او توقعه لطالع ان يقول عنقي ممتدة الى ورود فلان كما يقول عيني
ممدودة الى طلوع فلان • وقول الشاعر في البيت الثاني فهيت هيتا
يشهد بان مراده الوجه الاخير من الوجهين لان هذا القول حث له

ويروى وازعاج تعجل حث الى التسرع

على التعجل وازعاجا الى التسرع • فاما قول الله سبحانه فظلت اعناقهم
لها خاضعين • فقد فسر ايضا على وجهين اوردناهما في مواضع من
كلامنا في تاويل القران • فاحد الوجهين ان يكون سبحانه ذكر الاعناق
ثم رد الذكر على اصحاب الاعناق لان خضوع الاعناق هو خضوع
اصحابها لما لم يكن خضوعهم الا بها • والوجه الاخر ان يكون اراد
الجماعات لانه قد تسمى الجماعة عنقا على الوجه الذي قدمنا ذكره
بقول القايل جاء في عنق من الناس اي جماعة فيكون خاضعين صفة
للجماعات والمعنى في ذلك ظاهر غير محتاج الى التاويل • وقد يجوز
ان تكون الاعناق هاهنا كناية عن السادات والمتقدمين من
القوم يقال هولاء اعناق القوم اي ساداتهم كما يقال هولاء
رؤسهم وعرانينهم • ذكر ذلك صاحب العين في كتابه • وقال لي ابو حفص
عمر بن ابرهيم الكتاني صاحب ابن مجاهد وقد قرات عليه القران بروايات
كثيرة سمعت ابا بكر بن سعيد النحوي صاحب المبرد يقول اولى الوجوه
بتاويل هذه الاية ان يكون خاضعين مردودا على الضمير في اعناقهم
فكانه تعالى قال فظلوا لها خاضعين • ويبعد ان يحمل قوله عليه
السلام في هذا الخبر عنق يقطعها الله على انه اراد به الجماعة لان قوله •
يقطعها الله بالعنق المعروفة التي هي العضو المخصوص اشبه • وفي موضع

الكلام احسن . وانما جاء بالعنق هاهنا على طريق الاستعارة تشبيها
للقوم الذين ذكر اتباعهم له بالعنق في الاحتشاد لطلبه والامتداد
للحاق به ومن ذلك قوله عليه السلام في كتاب كتبه . هذا كتاب من محمد
رسول الله لعمائر كلب واحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم . وفي
هذا الكلام استعارة لان الظأر في الحقيقة العطف . ومنه ظأر
الناقة وهو ان يموت ولدها فتعطف على البو الذي يجعل لها ليدر عليه
لبنها واصله العطف على الشيء بالاخذ والحمل لا بالاختيار والطوع
ويبين هذا المعنى قول الكميت الاسدي . وهم رئموها غير ظأر واشبلوا
عليها باطراف القنا وتحدبوا . اي عطفوا عليها طايعين مختارين
لا مجبرين محولين . ثم استعمل بعد ذلك فيمن عطف طائعا كما استعمل
فيمن عطف كارها . فكانه عليه السلام جعل الاسلام يعطف على الذي خرّ فيه
اما طوعا ومشيئة او عياذا وخيفة . ومن امثال العرب الطعن يظأر
اي يعطف على السلم والتواهب ويحمل على البقيا والتقارب ومن
ذلك قوله عليه السلام لحادي مطيه يا انجشه رفقا بالقوارير
وهذه استعارة عجيبة لانه عليه السلام شبه النسا في ضعف الغرايز
ووهن العزايم بالقوارير الرقيقة التي يوهنها الخفيف ويصدعها
اللطيف فنهى عن ان يسمعهن ذلك الحادي ما يحرك مواضع الصبو وينقض

معاقد

معاقد العفة . وقد حمل بعض العلماء قوله تعالى . قوارير من فضة قدروها
تقديرا . على ان المراد به غير الزجاج هاهنا . وقال القارورة وعاء يقع
من استقرار الشيء فيه فكانه قرار للشراب وغيره من المايعات فيصلح
ان يكون للزجاج ويكون لغير الزجاج . واما عامة المفسرين فيذهبون
الى ان تلك الانية الموصوفة من فضة ولكنها تشف شفيف القوارير
من الزجاج فهو اعجز لتصويرها واعجب لتقديرها اذ كانت جامعة للرقة
اللطيفة والقوة الحصيفة ومن ذلك قوله عليه السلام وقد تذاكر
الناس عنده امر الطاعون وانتشاره في الامصار والارياف فقال
صلى الله عليه وعلى آله . فاني ارجو الا يطلع الينا نقابها يعني نقاب
المدينة والنقاب جمع نقب وهو الطريق في الجبل . وفي هذا الكلام استعارة
حسنة لانه عليه السلام اقام هذا الداء المسمى بالطاعون في تغلغله الى
البلاد المنيعة وذهابه بالاعلاق الكريمة مقام الجيش المغير الذي يوضع
على الاثنان وهجم على الحصون والدار يقال طلع فلان الثنية اذا اوفى
عليها او فرع ذروتها . ومن احسن التمثيل واوقع التشبيه ان تشبه ابناء الحتوف
وطوارق الدهر بالجيش الهاجم والمقنب المصمم الذي تخاف سطوته وتنكاء
شوكته ولا يسد طريقه ولا يؤمن طروقه . وقوله عليه السلام الا يطلع
الينا نقابها وهو يريد نقاب المدينة ولم يجر لها ذكر من الفصاحة العجيبة

لانه اقام علم المخاطبين بها مقام تصريحه بذكرها ومثل ذلك قوله تعالى
ولو دخلت عليهم من اقطارها والمراد المدينة ولم يجر لها ذكر ولذلك
في القران نظاير. وكان شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله يسمي هذا
الجنس شجاعة الفصاحة لان الفصيح لا يكاد يستعمله الا وفصاحته
جرية الجنان غزيرة المواد. ومن ذلك قوله عليه السلام ان الاسلام بدا
غريبا وسيعود غريبا. وهذا الكلام من محاسن الاستعارات و
بدايع المجازات لانه عليه السلام جعل الاسلام غريبا في اول امره تشبيها
بالرجل الغريب الذي قل انصاره وبعدت دياره لان الاسلام كان
على هذه الصفة في اول ظهوره ثم استقرت قواعده واشتدت معاقده
وكثر اعوانه وضرب بجرانه. وقوله عليه السلام وسيعود غريبا
اى يعود الى مثل الحال الاولى في قلة العاملين بشرايعه والقايمين
بوظايفه لا انه والعياذ بالله تنمحي سماته وتندرس اياته ومن ذلك
قوله عليه السلام وذكر الخوارج يمرقون من الدين كما يمرق السهم من
الرمية الحديث بطوله الى قوله قد سبق الفرث والدم. وفي هذا القول
مجاز لانه عليه السلام شبه دخولهم في الدين وخروجهم منه بسرعة
من غير ان يعلقوا بعقده او يتمسكوا بطينته بالسهم الذي اصاب
الرمية وهي الطريدة المرمية ثم خرج مسرعا من جسمها ولم يعلق بشيء

من

من فرثها ودمها وذلك من صفات السهم الصايب لانه لا يكون شديد
النزع الا بعد ان يكون قوي النزعة. ومن ذلك قوله عليه السلام
مضر صخرة الله التي لا تنكل. وهذا القول مجاز لانه عليه السلام
جعل مضر وهي القبيلة المعروفة بمنزلة الصخرة الراسية والهضبة
الثابتة التي لا تزحزح عن مقرها ولا تزحزح عن مجثمها ومعنى
قوله عليه السلام لا تنكل وذلك ماخوذ من قولهم نكلت عن الامر
انكل نكولا اذا تاخرت عنه ومنه قيل للجام نكل لانه يوخر به المركوب اذا
جمح ويحبس به اذا انطلق ولهذا المعنى ايضا قيل للقيد نكل لانه يقصر
الخطو ويمنع العدو. وانما اضاف عليه السلام اسم الصخرة الى الله تعالى
ليكون افخر لها في القلوب واجدر لها بالرسوخ ومن ذلك قوله
عليه السلام بعثت في نسم الساعة ان كادت لتسبقني. وفي هذا القول
استعارة لانه عليه السلام كنى عن ابتداء الساعة بالنسم والنسيم جميعا
اسم لابتداء الريح وهي ضعيفة قبل شدتها ومريضة قبل استكمال قوتها
والنسم ايضا النفوس جمع واحدها نسمة وانما سميت بذلك لانها في
الاصل ضعيفة وانما اشتد من جسمها بروافد ترفدها ودعايم تشدها
وقد روي هذا الخبر على وجه اخر وهو قوله عليه السلام بعثت في نفس الساعة
وله معنيان احدهما ان يكون بعثت في تنفس الساعة اى في ابتدائها وآخرها

من قولهم نفّس فلان عن غريمه اذا انظره وأخّره بعد ان كان تضايق وقت
اقتضائه فكأنه عليه السلام قال بعثت وقد كان قيام الساعة الا ان
الله تعالى نفّسها اى اخرها قليلا فبعثني في ذلك النفس • والوجه
الآخر ان يكون جعل للساعة نفسا كنفس الانسان • وقال بعثت في
وقت احس فيه بنفسها وقربها كما يحس الانسان نفس الانسان
اذا قرب من شخصه وسمع مجرى نفسه ومن ذلك قوله عليه السلم
واليد العليا خير من اليد السفلى • وهذا القول مجاز لانه عليه السلم
اراد باليد العالية يد المعطي وباليد السافلة يد المستعطي ولم يرد في
الحقيقة ان هناك عاليا وسافلا وصاعدا ونازلا وانما اراد
ان المعطي في الرتبة فوق الآخذ لانه المنيل المفضل والمحسن المجمل
وليس هذا في معطي الحق والآخذ وانما هو في معطي الرفد والمسترفد
وليس المراد انه خير في الدين بل المراد انه خير في النفع للسائلين و
انما كنى عليه السلام عن هاتين الحالين باليدين لان الاغلب ان يكون
بهما الاعطاء والبذل وبهما القبض والاخذ ومن ذلك قوله عليه السلام
ان هذه الاخلاق بيد الله فمن شاء ان يمنحه منها خلقا حسنا فعل
وذكر اليد ههنا مجاز والمراد ان الاخلاق في قبضة الله وتحت ملكه
الله فلما كان في الاكثر ما يقبضه الانسان ويملكه انما يقبضه بيده

ويقلّه الى يده خاطب عليه السلام بلسان العرف المتعارف عند المخاطبين
وفي لغة السامعين • وقد مضى الكلام على هذا المعنى في عدة مواضع
من كتبنا الموضوعة في علوم القرآن ولا يحتمل كتابنا هذا اكثر من هذا
المقدار ومن ذلك قوله عليه السلم لابي بن كعب وقد اعطاه
الطفيل بن عمرو الدوسي قوسا له جزاء على اقرائه القرآن فقال عليه
السلام لابي تقلدها شلوة من جهنم • وفي هذا القول مجاز لانه عليه
السلام جعل القوس اذ كانت تنكب اخذها على الوجه المكروه عذاب جهنم
كانها شلوة من نار جهنم وانما قال شلوة ولم يقل شلوا لانه حمل على
معنى القوس وهي مؤنثة • والشلو العضو • ومنه حديث امير المؤمنين
عليه السلام في الاضحية ايتني بشلوها الايمن واصله في لغتهم البقية
القليلة من الشيء • ومن ذلك يقال البقية الاكيلة اذا فرقها السبع
شلو ويقال للبدن القليل شلو على احد ثلثة وجوه • اما ان يكون مفردا
من راسه فيكون كالبقية القليلة لان الراس هو الارأس والعلق
الانفس الا ترى الى قول الشاعر • اذا قطعوا راسي وفي الراس اكثري و
غودر عند الملتقى ثم سائري • والوجه الثاني ان يكون انما سمي
بذلك لخروج نفسه وكون الجسم بعدها وان كان بتمامه بمنزلة البقية
التي قد ذهب اكثرها وفقد جوهرها • والوجه الثالث ان يكون

انما سمي بذلك لان بقية ابقتها مضارب السيوف شبهها بالبقية التي
ابقتها مخالب الاسود. وانما غلظ عليه السلم الوعيد في هذا الخبر رجاء
لهم عن ان ياخذوا على تعليم القران اجرا او يتخذوه مكسبا وطعما ومن
ذلك قوله عليه السلم اغبط الناس عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو
حظ من صلوة. وفي هذا القول استعارة لان الحاذ على الحقيقة اسم لما
وقع عليه الذنب من مؤخر الفخذين هذا قول الاصمعي. وقال غيره بل هو
لحم باطن الفخذ وما حاذا الفخذين. وقد جاء في كلامهم خفيف الحاذ
وقد استعملوا ذلك في الانسان ايضا قال الشاعر. ستكفيك
الحمالة بيت خفيف الحاذ من ابناء جرم. وقال بعضهم بل هو طريقة
المتن من الانسان والموضع الذي يسمى المحال من الفرس وهو ما وقع عليه
اللبد من ظهره. والقولان الاولان اعجب الي لانه عليه السلم كنى بخفة
الحاذ هاهنا عن قلة المال او قلة العيال. ومن الحديث الاخر عن ابن
مسعود لياتين على الناس زمان يغبطون الرجل بخفة الحاذ كما يغبطونه
بكثرة المال لان الخفيف الحاذ اذا كان على ما ذكرناه في الوجهين
الاولين من قلة لحم باطن الفخذين كان ذلك اسرع لخطوه واخف
لعدوه لان الدنيا بمنزلة المضمار والناس فيها بمنزلة الخيل المجراة في
الغاية نحو الاخرة فكلما كان الواحد منهم اخف نهضا وانزاقا كان

اسرع بلوغا ولحاقا فايهم اخف نهضا واستراقا كان اسرع بلوغا ولحاقا
ويبين ذلك قول امير المؤمنين علي عليه السلام في كلام له تخففوا تلحقوا
وقد ذكرنا ذلك في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة الذي اوردنا فيه مختار جميع
كلامه صلى الله عليه وعلى الطاهرين من اولاده. واما القول الثالث الذي
ذكرناه عن بعضهم من قوله ان الحاذ هو المتن فقد يجوز ان يعبر به ايضا
عن قلة العيال وزيادة المال كما يقولون فلان خفيف الظهر اذا ارادوا
هذا المعنى ولان قلة اللحم على الجلد في اي عضو كان من اعضاء الحيوان اعون
على خفة نهوضه وسرعة تصرفه في اموره ومن ذلك قوله عليه السلم
وقد ذكر عنده شريح الحضرمي ذاك رجل لا يتوسد القران. وهذا
من الاستعارات العجيبة والكنايات الغريبة. وهي تحتمل معنيين
احدهما مدح والاخر ذم. فاما المدح فهو ان يكون المراد به انه لا ينام عن
قراءة القران بل يقطع ليله بالتهجد به والتصرف مع تلاوته فيكون
القائم بدرسه كالمشتمل به والنائم عنه كالمتوسد له كانه جعله وسادا
لخده وفراشا لجنبه ومما يقوي هذا الوجه ما روي من قوله عليه
السلام في حديث اخر يا اهل القران لا توسدوا القران واتلوه حق
تلاوته. واما المعنى الاخر الذي يحتمل الذم فهو ان يكون المراد انه غير
حافظ للقران فليس بخازن من خزنته ولا وعاء من اوعيته فاذا نام

لم يكن متوسداً له كما يتوسد من موطوء من ظهر ونحوه الحاوي ترابه
والمشتمل عليه ومثل ذلك ما روي عن ابي الدرداء انه قال لرجل
سأله عن طلب العلم لان تتوسد العلم خير من ان تتوسد الجهل اي
لان تنام ومعك العلم خير من ان تنام ومعك الجهل فجعل العلم والجهل كالشي
الممهد والوساد المتوسد ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام للانصار
انتم الشعار والناس الدثار وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد انتم اقرب
الناس مني واشدهم اشتمالاً علي فانتم لي كالشعار وهو الثوب الذي
يلي بدن الانسان والناس الدثار لانهم ابعد مني وانتم بينهم وبيني ومثل
ذلك قولهم فلان من بطانة فلان كناية عن القريب منه والاختصاص
به تشبيهاً ببطانة الثوب التي تلي الجسد وتكون اقرب الى البدن و
من ذلك قوله عليه السلام تكون قبل الدجال سنون خداعة وهذه
استعارة لانه جاء في التفسير ان المراد بذلك اتصال المحول وقلة
الامطار في تلك السنين فقال خدع المطر اذا قل والاصل في قولهم
خدع الريق اذا جف قال سويد بن ابي كاهل ابيض اللون لذيذ
طعمه طيب الريق اذا الريق خدع وجفوف الريق وقلته من اسباب
تغيره وفساده لانه كلما كثر ماع وكلما ماع طاب وقيل السنون
الخداعة هي التي تخدع زكاء الزرع اي تنقصه من قولهم دينار خادع

وهو الذي ينقص من وزنه او من ذهبه وقال عليه السلام سنون
خداعة والمطر هو الخادع الا ان خدع المطر لما كان فيها حسن اجراء
الاسم عليها ولهذا نظاير كثيرة في القرآن قد استقصينا ذكرها في
كتاب المجازات وقال بعضهم بل السنون الخداعة التي يكثر فيها
المطر ويقل العشب وذلك ماخوذ من الخديعة فكان هذه السنين
تطمع اهلها في الخصب والامراع بكثرة امطارها ثم تخلف المخايل
باتصال جدبها وامحالها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه
بالمراد ومن ذلك قوله عليه السلام تحابوا بذكر الله وروحه
وهذا القول مجاز لانه صلى الله عليه وعلى آله اراد بالروح هاهنا
القرآن تشبيهاً له بالروح القائم بالحيوان الصحيح لانتفاع الابدان
وهذا من التشبيه الواقع والتمثيل النافع لان انتفاع الناس بالقرآن
في رشاد السبيل ومصالح الدنيا والدين كانتفاع الابدان بالارواح
في تصريف حركاتها وترتيب اداواتها وتصحيح لذاتها وشهواتها
وقد ذكرنا ذلك مشروحاً في مواضع من كتبنا في علوم القرآن ومن
ذلك قوله عليه السلام قد اتاكم الشرف الجون يعني الفتن
الموقعة وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه الفتن بالنوق
المسان لجلالة خطبها واستفحال امرها وجعلها جوناً وهي السود

هاهنا الظلام بينهما او الناس بحجزهما والشرف جمع شارف وهي الناقة
المسنة، وهم يشبهون الحرب بها، قال الكميت الاسدي يصف حربا
مبقورة شارفا مصرّمة يحلو بها الصاب حين تحتلب يقال الحرب الناقة
وابترت اذا حمل عليها الفحل ولم تضع، وقد يجوز ان يكون الغاية
في تشبيه الفتن بالمسان من الابل لانها اكره مناظر واقل منافع كما
يشبهون الحرب بالمراة العجوز، فقال بعضهم في ابيات شمطاء غائبة عقمًا
بطنها مكروهة للشم والتقبيل، وقال بعض العلماء الشرف هاهنا
التي يستشرفها الناس لعظمها والصحيح التاويل الاول، وقد روي
هذا الحديث بلفظ اخر رواه بعضهم الشرق الجون القاف اي امور عظام
تاتي من قبل المشرق وكانها من ناحية المشرق فهو شارق فشارق
وشرق كشارف وشرف، والقول الاول اصح في النقل واشبه
بطريقة القوم **ومن ذلك قوله عليه السلام** في يوم حنين
لما راى مجتلد القوم الآن حمي الوطيس وهذه اللفظة الاعلى عليها انها
من جملة الامثال من كلامه عليه السلام وقد شرطنا ان لا نذكر هاهنا
ما تلك حاله الا ان لها بعض التعلق في باب الاستعارة فلذلك الزمنا
الايماء اليها والتنبيه عليها، فقوله عليه السلام الآن حمي الوطيس في
هو بمعنى حمي الحرب وعظم الخطب مجاز لان الوطيس في كلامهم حفيرة

تحتفر فتوقد فيها النار للاشتواء ويجمع على وطس فان احتفرت للاختباز
فهي ارة ويجمع على ارين، ولا وطيس هاهنا على الحقيقة، وانما المراد ما ركبا
من حر القراع وشدة المصاع والتقاء الابطال واختلاط الرجال
ومن هنالك قالت العرب اوقدت نار الحرب بين آل فلان وآل فلان، وقال
سبحانه مخرجا للكلام على مطارح السنتهم ومعاريض اوضاعهم، كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله الاية، وتشبه الحرب بالنار يكون من
وجهين، احدهما ان الحر من مواقع السيوف وكرب ملابس الدروع وحمي الغمرة
لشدة العراك وكثرة الحركات، والوجه الاخر ان يكون انما شبهت
بالنار لانها تاكل رجالها وتفني ابطالها كما تاكل النار شعلها
وتحرق حطبها **ومن ذلك ما روي عنه عليه السلام** انه قال في الخبر
مطعون في سنده، ترون ربكم يوم القيمة كما ترون القمر ليلة البدر
لا تضامون في رؤيته اخرى لا تضارون في رؤيته بالتشديد وفي رواية
فيهما وفتح التاء، وعامة المحدثين يقولون تضارون وتضامون بالتخفيف
وضم التاء كانه من الضير والضيم اي لا تختلفون في مطلعه ولا تمارون
في رؤيته فيضير بعضكم بعضا او يضيم بعضكم بعضا في دفعه عن ذلك
او الاستبداد به عليه والادراك له دونه، فاما من روى تضارون
وتضامون بفتح التاء وتشديد فالضرار هاهنا راجع الى معنى الضير

لانه من المضارة وهي المفاعلة بين الاثنين فكان الضرار وقع بينهما
لاجل اختلافهما وتنازعهما • ومن قال لا تضامّون بالتشديد •
فمعناه انكم ترون القمر رؤية جلية لا تحتاجون معها الى ان ينضم
بعضكم الى بعض طلبا لرؤيته واستعانة على مشاهدته وهو ماخوذ
من الانضمام وهو الاجتماع اللغوي على نظر الشيء البعيد او الخفي
الضئيل **فصل** وهذا الخبر كما قلنا مطعون في سنده
ولو صح نقله وسلم اصله لكان مجازا كغيره من المجازات التي يحتاج
الى ان يحمل على التاويلات الموافقة للعقل • ويعد هذا الخبر من
اخبار الاحاد فيما من شانه ان يكون معلوما فغير جائز قبوله لان كل واحد
من المخبرين يجوز عليه الغلط فيما يخبر به ويصح كونه كاذبا في نقله ولا
يجوز ان نقطع في ديننا على الشيء من وجه يجوز الغلط فيه لانا لا نامن
بالاقدام على اعتقاده من ان يكون جهلا ولا نامن من ان يكون اخبارنا
عنه كذبا وانما نعمل باخبار الاحاد في فروع الدين وما يصح ان يتبع
العمل فيه غالب الظن • ومما علقته عن قاضي القضاة ابي الحسن عبد
الجبار بن احمد عند الوقف في القراءة عليه الى الكلام في الرؤية ان من
شرط قبول خبر الواحد ان يكون راويه عدلا • وراوي هذا الخبر قيس
بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي وكان منحرفا عن امير المؤمنين

علي عليه السلام ويقال انه كان من الخوارج وذلك يقدح في عدالته وفي
ثقته في روايته • وايضا فقد كان دهي في عقله قبل موته وكان مع
ذلك كثير الرواية فلا نعلم هل روى هذا الخبر في الحال التي كان فيها
سالم التمييز او في الحال التي كان فيها فاسد المعقول وكل ذلك يمنع
من قبول خبره ويوجب اطراح روايته • واقول انا ومن شرط قبول
خبر الواحد ايضا مما ذكره قاضي القضاة من اعتبار كون راويه عدلا
ان يعرى الخبر المروي من نكير السلف • وقد نقل نكير جماعة من السلف
على راوي هذا الخبر منهم العرباض بن سارية السلمي وهو من محققي
الصحابة روي عنه انه قال من قال ان محمدا راى ربه فقد كذب
وروي ايضا عن بعض ازواج النبي عليه السلام انها قالت من زعم ان
محمدا راى ربه فقد اعظم الفرية على الله • وقالت ذلك عند ذهاب
بعض الناس الى ان قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى • انما اريد بها
رؤية الله سبحانه لا رؤية جبريل عليه السلام كما يقول اهل العدل •
وايضا ففي هذا الخبر كاف التشبيه لانه قال ترون ربكم كما ترون القمر
الذي هو في جهة مخصوصة وعلى صفة معلومة • واذا كان الامر كما
قلنا لم يكن للخبر ظاهر واحتجنا الى تاويله كما احتجنا الى ذلك في
غيره • وقد يجوز ان نحمله على ما حملنا عليه الاية • وهي قوله تعالى

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لانا نقول ان في الكلام اسقاط
مضاف كانه تعالى قال الى ثواب ربها ناظرة • فكذلك هذا الخبر قد
يجوز ان يكون المراد به انكم ترون اشراط يوم المعاد وما وعد الله به واوعد
من الثواب والعقاب كما ترون القمر ليلة البدر يريد في البيان والظهور
والاصحار للعيون • ولو كان هذا الخبر صحيح الاصل واضح النقل لكان
عندنا محمولا على العلم لان اطلاق لفظ الرؤية بمعنى العلم في الكلام موجود
والاستشهاد على ذلك كثير • وهذا موضع المجاز الذي يختص ذكره
بكتابنا هذا • واما اعتراض المخالفين على هذا التاويل بان النبي
عليه السلام اخرج هذا الكلام مخرج البشارة لاصحابه • ولا يجوز
ان يبشرهم بمعنى كان حاصلا لهم في الدنيا وهو العلم بالله سبحانه
فهو اعتراض عليل واحتجاج مدخول • وذلك لان العلم بالله سبحانه
علم استدلال تعترضه الشكوك وتعتوره الشبه والظنون ويحتاج
العالم في حل عقود تلك الشبه الى كلف ومشاق تتعب الخواطر وتحير
الناظر فبشرهم عليه السلام بان ذلك يزول في الاخرة فيكون علمهم
بالله سبحانه اضطرارا غير مشوب بكلفة ولا معقود بمشقة • وهذا
كقول القائل منا اذا اراد ان يخبر عن شدة تحققه للشيء انا اعلم
هذا الامر كما ارى هذه الشمس • وقوله من بعد لا تضامون في رؤيته

او لا تضارون بالتخفيف والتشديد على الخلاف الذي قدمنا ذكره
فعلى التاويل الذي تاولناه من معنى العلم الذي لا شبهة فيه ولا شك
يعتريه والصحيح ان يكون الضمير في قوله لا تضامون في رؤيته راجعا
الى القمر لا الى الله سبحانه كانه قال تعلمون ربكم كما ترون القمر لا
تضامون في رؤيته اي في رؤية القمر • وقد يجوز ايضا ان يكون الضمير
راجعا الى الله سبحانه ويكون بمعنى العلم كانه قال تعلمون ربكم
كما ترون القمر لا تضامون في علمه اي في علم ربكم **ومن ذلك**
قوله عليه السلام انزل القران على سبعة احرف لكل اية ظهر وبطن • و
هذا القول مجاز لانه لا ظهر للاية ولا بطن على الحقيقة وانما المراد
ان لها فحوى وظاهرا وسرا وباطنا فالظهر هاهنا بمعنى الظاهر
والبطن بمعنى الباطن وهذا القول ينصرف الى الاي المتشابهة دون
الايات المحكمة لان المتشابهة هي التي لا ظاهر لها والمحكمة هي التي لا
باطن لها • والمتشابهة هي التي يستعمل فيها النظر ويعمل فيها الفكر
وتتفاضل العلماء في استفتاح مبهمها واستنطاق معجمها **ومن**
ذلك قوله عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير • وهذا القول
مجاز لان الخير في الحقيقة ليس يصح ان تعقد به نواصي الخيل • وانما
المراد ان الخير كثيرا ما يدرك بها ويوصل اليه عليها فهي كالوسايل له

بالوعد والارشاد الى قبلته فكانما معقود بنواصيها الشرف ملازمة لها
وكثرة ايمان غرضه بها لانهم عليها يدركون الطوائل ويحوزون الغنائم
ويفوتون الاعداء ويلحقون الطلبا. ومما يقوي ذلك ما روي في تمام
هذا الخبر وهو قوله عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير الاجر
والمغنم الى يوم القيامة. وفي هذا الكلام حث على ارتباط الخيل لما
في ذلك من الغنم العاجل والاجر الاجل. فاما الغنم فما يدرك بها
من الاسلاب والانفال. واما الاجر فلما يدفع بها من اعداء
الاسلام واشياع الضلال وكلا الامرين خير تحوى الطلبات وتعلق
به الرغبات ومن ذلك قوله عليه السلام لا تسئل المراة طلاق اختها
لتكتفئ ما في انائها. وفي هذا الكلام استعارة لانه عليه السلام
اراد ان المراة لا ينبغي لها ان تطلب طلاق اختها لتتصل بالزوج
الذي كان لها طلبا لان تحرز حظها اليها وتستبد بالنفع عليها
فتكون كانها اكفات ما في انائها اي امالت الاناء الى نفسها
لتستفرغ ما فيه وتستاثر عليها به يقال كفات الاناء اذا اكببته وكفاته
اذا شربت ما فيه اجمع او اكلت ما فيه اجمع ومن ذلك قوله عليه السلام
تنكح المراة لميسمها. وهذا القول مجاز لانه لا ميسم هناك على الحقيقة
وانما اراد عليه السلام انها تنكح لاثر الجمال الظاهر عليها وحسن الجمال

لما بها الغرض في وصفه بالعلوق بها والظهور على وجهها كما يشتهر اثر
الميسم الذي يكوى به الابل فلا يذهب الا بذهاب الجلد الذي اثر فيه وعلق
به. ويقولون في امثالهم يبقى بقاء الوشم اذا وصفوا الامر بالخلود و
الدوام والبقاء على الايام ومن ذلك قوله عليه السلام الاسلام يجب
ما قبله. وهذا القول مجاز لان اصل الجب هو اجتثاث السنام من اصله
فكانه عليه السلام جعله مستاصلا لكل ذنب تقدم للانسان قبله حتى لا
يدع له جناية يحذر عاقبتها ولا معرة يتوقع الحديث عنها بل يعفي
على ما تقدم من السيئات ويحثوا على ما ظهر من العورات ومن ذلك
قوله عليه السلام في وصيته لامراء الجيش الذي بعثه الى مؤتة و
ستجدون اخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف
وهذه من الاستعارات العجيبة والمجازات اللطيفة وذلك ان من كلام
العرب ان يقول القائل منهم اذا اراد ان يصف انسانا بشدة الارتكاس في
غيه والارتكاض في عنان بغيه قد فرخ الشيطان في راسه او قد عشش
الشيطان في قلبه فذهب عليه السلام الى ذلك الوضع وبنى على ذلك الاصل
فقال للشيطان في رؤوسهم مفاحص والمفحص في الاصل الموضع الذي
تجثم القطاة الجثم عليه او للبيض فيه وانما قيل مفحص لانها لا تجثم
فيه الا بعد ان تفحص التراب عنه بوطيئة لجثمها وتمهيدا لجثمها و

يقال ما بقي لفلان مفحص قطاة اذا لم يبق له ربع يؤويه ولا حرز يكون
فيه فيحتمل قوله عليه السلام للشيطان في رؤوسهم مفاحص معنيين
احدهما ان يكون اراد ان الشيطان قد بدا يتخذ هامهم ويغريهم ويلبس عليهم
ويضلهم ولم يبلغ بعد من ذلك غايته ولا استوعب خلاله كالقطاة
التي بدات باتخاذ المفحص لتبيض به وترتب فراخها فيه . والمعنى الاخر
ان يكون اراد ان الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له معقلا
ومبركا وملعبا ومتمعكا كما تتخذ القطاة مفحصا تاوي اليه
وتستجن فيه ومن ذلك قوله عليه السلام اجد نفس ربكم من قبل
اليمن . وهذا القول مجاز لانه عليه السلام اراد ان تنفيس الله عنكم
ياتيان من قبل اليمن يعني القبيلة لا البلدة والقبيلة هم الانصار
الذين نفس الله بهم خناق الدين وكشف بايديهم كرب المؤمنين
من كلامهم انت في نفس من امرك اي في متسع طويل ومضطرب عريض
ويقول القائل اللهم نفس عني اي فرج كربي واكشف همي ومما يقوي
هذا التاويل الحديثان المرويان عنه عليه السلام في مثل هذا المعنى
واحدهما قوله عليه السلام لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن يريد
انه تعالى يفرج بها الكروب ويطرد بها الجدوب . والحديث الاخر
قوله عليه السلام الريح من روح الله . فقوله من روح الله كقوله من

نفس

نفس الرحمن والمعنيان متقاربان ومن ذلك قوله عليه السلام الحمى رائد
الموت وهي سجن الله في الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء
وفي هذا الكلام استعارتان عجيبتان احداهما قوله عليه السلام الحمى
رائد الموت تشبيها لها برائد الحي الذي يتقدمهم فيرتاد لهم مساقط الغيث
ومنابت الاعشاب فيكون رحالهم على حسب ما استنامتهم اليه ونطق به
الحديث الرائد لا يكذب اهله فكانه عليه السلام جعل الحمى مقدمة للموت
وطليعة للحتف والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام وهي سجن الله في
الارض يحبس بها عبده اذا شاء ويرسله اذا شاء فكانه عليه السلام شبهها
بالسجن من حيث منعت صاحبها من التصرف والاضطراب وعقلته
عن قضاء الاوطار فكان اسيرها حتى تطلقه ورقيقها حتى تعتقه
ومثل ذلك الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر لانه عليه السلام شبه الدنيا بالسجن للمؤمن من حيث قصر فيها
خطوه عن اللذات وكبح لجامه عن الشهوات وحصر نفسه عن التسرع
الى ما تدعو اليه الدواعي المخزية والاهواء المردية وكان زمام نفسه
وخطامها وهاديها وامامها خائفا خوف الجاني المرعوب والطريد
المطلوب في عصبة عملوا المعاد وفطنوا المراد تحسبهم من طول الجوع
امواتا ومن طول قيامهم نباتا . ومن حسن ما سمعته في هذا المعنى قول بعض

الزهاد المنقطعين طلب القوت من بعض الراعين المقوين فقيل له
في ذلك فقال انا مسجون وهو مطلق وهل ياكل المسجون الا من يد
المطلق • وشبهها عليه السلام بالجنة للكافر من حيث استوعب فيها
شهواته واستفرغ لذاته وقضى فيها الاوطار وتعجل الشهوات
عاجل حطامها ودني جمامها فنسي العاقبة واستهان بالعقبة فكان
ميّت الاحياء كما كان المؤمن حيّ الاموات • ولي في بعض كتبي فصل في
هذا الموضع وذلك قولي فالحمد لله الذي جعل اهل طاعته احياء في
مماتهم كما جعل اهل معصيته امواتا في حياتهم **ومن ذلك قوله عل**
كيف انتم اذا مرج الدين في حديث طويل • وفي هذا القول مجاز لان
اصل قولهم مرج الشيء ماخوذ من القلق والاضطراب [illegible]
يقال مرج الخاتم في الاصبع اذا قلق وتحرك • فكانه عليه السلام وصف
دين الناس على ذلك العهد بالتكفي والرجحان واضطراب الاركان والمراد
بذلك اضطراب اهل الدين فيه وقلة ثباتهم عليه قال الشاعر • مرج
الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد • ومثل هذا الحديث
الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو كيف انت اذا
بقيت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وامانتهم اي يستهزون
على عهد ولا يقيمون على عقد فوصفهم عليه السلام بقلة الثبات و

كثرة الانتقالات والمراد اصحاب الامانات والعهود وان كان
ظاهر اللفظ يتناولها وصريح الكلام يتعلق بها وذلك ايضا من جملة
المجازات المقصود بيانها في هذا الكتاب • والحثالة الردي من كل
شيء واصلها ما يتهافت من قشاوة التمر والشعير • يقال حثالة
وحسالة • فشبه عليه السلام بذلك الارذال الباقين من الخيار		حفا الروم
الذاهبين • وهذا ايضا داخل في باب المجاز **ومن ذلك قوله
عليه السلام** وقد خرج ذات يوم محتضنا احد ابنيه الحسن والحسين
عليهما السلام لتجبّنون وتبخّلون وتجهّلون وانكم لمن ريحان الله وان
اخر وطأة وطئها الله بوجّ في كلام طويل • وفي هذا الكلام مجازان
احدهما قوله عليه السلام وانكم لمن ريحان الله وللريحان هاهنا
وجهان • احدهما يكون الكلام به استعارة • والاخر يكون به حقيقة
فاما الوجه الذي يكون به حقيقة فهو ان يكون الريحان بمعنى الرزق
وقد قيل انه الرزق الذي يؤكل خصوصا • ومن كلامهم خرجنا
نطلب ريحان الله اي رزق الله والولد من رزق الله سبحانه
فصار الكلام حقيقة • واما الوجه الذي يكون به استعارة فهو ان
يكون الريحان هاهنا يراد به النبت المخصوص الذي يستطاب للشميم
فجعل الولد بمنزلته لانه يستلذ شم ريحه ويستروح الى استنشاقه

عرفهم وعادة الناس معروفة في شم الولد وضمه واصل الريحان ماخوذ
من الشيء الذي يُستروح اليه ويتنفس من الكرب به وعلى ذلك قول
الشاعر • سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر • واصله باو
كانه ماخوذ من الروح • والمجاز الاخر قوله عليه السلام وان آخر
وطاة وطئها الله بوج • واصح ما قاله العلماء في تاويل هذا الخبر
ان فيه مضافا محذوفا تقديره ان يكون وان اخر وطاة وطئها جند
الله او رسول الله بوج ووج جبل بالطائف • وهذا كما نقول في قوله
تعالى والذين يؤذون الله ورسوله • اي يؤذون اولياء الله واضيفا
الله لان حقيقة الاذى لا تصح على الله سبحانه • والمراد بذكر الوطاة
بوج ان اخر ايقاع الله سبحانه بالمشركين على ايدي المؤمنين بوج
ولذلك قال سفين بن عيينة اخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله
عليه وعلى اله الطائف يريد انه لم يغز بعدها غزاة فيها قتال
لان مخرجه عليه السلام الى تبوك من بعد لم يلق فيه كيدا ولم يقاتل
احدا • والعرب تكني عن الوقيعة او الحال الشديدة بالوطاء يقولون
وطئ آل فلان آل فلان في يوم كذا او في مكان كذا وطاء شديدا
ومنه ما حكي عن ابي سفين بن حرب انه خرج يوما بعد وفاة النبي
عليه السلام الى ظاهر المدينة فلما نظر الى احد قال لقد وطئنا محمدا

واصحابه هاهنا وطاء شديدا • ومن ذلك قول النبي عليه السلام
اللهم اشدد وطاتك على مضر اي اضغطهم بالشدائد وارمهم بالقوارع
ومنه قول الشاعر • ووطئتنا وطاء على حنق وطاء المقيد نابت الهرم
وانما قال المقيد لان وطاه اشد واعتماده اثقل • وقال الاخر
وطئتنا وطئا وطاة الثاقل • وقوله عليه السلام في اول الحديث
انكم لتجبنون وتبخلون وتجهلون كالحديث الاخر الولد مجبنة مبخلة
مجهلة • فكانه عليه السلام لتجبنون وتبخلون وتجهلون يريد انكم
علل التجبين الناس اباكم وتبخيلهم وتجهيلهم فاضاف من الاحوال
الى الابناء اذ كانوا سببها للاباء • وهذا ايضا مجاز ثالث في
الخبر الذي كلامنا عليه **ومن ذلك قوله عليه السلام** لو تعلمون ما
يكون في هذه الامة من الجوع الاغبر والموت الاحمر • وهاتان
الاستعارتان من احسن الاستعارات لان الجوع ابدا انما كان
يلحق العرب في اللاواء والازمات والسنين المجدبات وتلك
السنون تسمى غبرا لاغبرار افاقها من قلة الامطار وارضيها
من عدم النبات والاعشاب ويقولون هذه حجج غبر اذا كانت
كذلك الا ترى الى قول الشاعر • اغبر ياري الريح في كل شتوة • اذا
اغبر افاق الرجال من المحل • وقيل عام الرمادة لهذا المعنى على احد

القولين والقول الآخر انما سمى بذلك لهلاك الناس فيه مأخوذ
من الرمد وهو الهلاك قال الشاعر • صبّت عليهم حاصبى فتركتهم
كأصرام عاد حين جللها الرمد اى الهلاك • والاستعارة الاخرى
قوله عليه السلام والموت الاحمر • وهذه طريقة للعرب فى وصف اليوم
العماس باشتداد البأس بالحمرة فكما يقولون يوم احمر كذلك يقولون
موت احمر • قال الشاعر فى صفة الاسد • اذا علقت اظفاره بفريسة
رأى الموت فى عينيه احمر اسودا • وقد يجوز ان يكونوا انما وصفوا يوم
الحرب بالحمرة لاحمرار ارضه وتلاطخه باسالة النجيع والعلق الصبيب
لكثرة الجراح التى تخضب من نضحها معارف الابدان وسرابيل الاقران
واذا ساغ هذا فى صفة اليوم ساغ مثله فى صفة الموت **ومن ذلك**
قوله عليه السلام لازواجه اسرعكن لحاقاً بى اطولكن يداً • والحديث
انهن لما سمعن منه صلى الله عليه وعلى آله هذا القول جعلن يتذارعن
ينظرن ايتهن اطول يداً الى ان توفيت زينب بنت جحش بن رئاب
الاسدية اول من توفى منهن وكانت كثيرة المعروف فعلم حينئذ
انه عليه السلام انما اراد بطول اليد كثرة البر وبذل الوفر • وكناية
عليه السلام عن هذا المعنى بطول اليد مجاز واتساع لان الاغلب ان
يكون ما يعطيه الانسان بيمينه من الرفد والبر انه يعطيه ذلك بيده

فسمى النيل باسم اليد اذ كان فى الاكثر انما يكون بمدّ وعائها ونجحانها
عليها • وقد اشرنا الى هذا المعنى فيما تقدم • ومثل ذلك قول
امير المؤمنين على عليه السلام من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة
ومعنى هذا القول ان من يبذل خير الدنيا يجزه الله خير الآخرة
وكنى عليه السلام عما يبذل من نفع الدنيا باليد القصيرة لقلته
ونزره ونفع الآخرة لان ذلك زائل ماض وهذا مقيم باق • وقد
ذكرنا ذلك فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة • وقد جمعوا اليد التى
هى الجارحة على ايد واياد وهو شاذ فيها كما جمعوا اليد التى هى
العطية على اياد وايد وهو شاذ فيها • وقد جاء ايضاً فى جمعها يدىّ
انشدنا شيخانا ابو الفتح عثمن بن جنى وابو الحسن على بن عيسى الربعى
واظنه من ابيات الكتاب • ولن اذكر النعمن الا بصالح فان له عندى
يدياً وانعماً **ومن ذلك قوله عليه السلام** مات حتف انفه •
وذلك مجاز لانه جعل الحتف لانفه خاصاً وهو فى الحقيقة لها عامّا
لان الميت على فراشه من غير ان يحله القتل انما يتنفس شيئاً فشيئاً
حتى ينقضى رماقه وتفنى حوباؤه فخص عليه السلام الانف بذلك
لانه جهة لخروج النفس وحلول الموت ولا يكاد يقال ذلك فى سائر الميتات
حتى يكون الميتة ذات مهلة وتكون النفس غير معجلة فلا يستعمل ذلك فى

الميتة بالغرق والهدم وجميع فجاءات الموت • وانما يستعمل في الميتة
المطاولة والميتة المماطلة • وروي عن امير المومنين علي عليه السلام
انه قال ما سمعت كلمة عربية من العرب الا وقد سمعتها من رسول الله صلى
الله عليه وعلى اله وسمعته يقول مات حتف انفه وما سمعتها من عربي
قبله ومن ذلك قوله عليه السلام اياكم وخضراء الدمن • وهذا
القول يتعلق بباب المجاز وللعلماء في تاويله قولان احدهما انه عليه السلام
نهى عن نكاح المراة على ظاهر الحسن وهي في المنبت السوء او في البيت
السوء فوجه المجاز من هذا القول انه عليه السلام شبه المراة الحسنا
بالروضة الخضرة لجمال ظاهرها وشبه منبتها السوء بالدمن لقبح
باطنها والدمن هي الابعار المجتمعة تركبها السوافي وتعلوها الهابية
فاذا اصابها المطر انبتت خضرا يروق منظره ويسوء مخبره فنهى عليه نبتا ء
السلام عن نكاح المراة اذا كانت مغموصة في نفسها او مطعونا عليها
في نسبها لان اعراق السوء تنزع الى اولادها وتضرب في نسلها قال
الشاعر وادركها الاثر فاختزلها الا ان عرق السوء لا بد ملاقيه
والقول الاخر ان يكون عليه السلام انما نهى في الحقيقة عن تعاشر
النفاق وتغاير الاخلاق وان يلقى الرجل اخاه بالظاهر الجميل
ينطوي على الباطن الذميم او يخدعه بحلاوة اللسان ومن خلفها

مرارة الجنان والى هذا المعنى ذهب الشاعر في قوله • وقد ينبت المرعى على
دمن الثرى • وتبقى حزازات النفوس كما هيا • كانه اراد انا وان
لقيناكم بظاهر الطلاقة والبشر فانا نضمر لكم على باطن الغل والغمر
مثل هذا قول الاخر • وفينا وان قيل اصطلحنا تضاغن كما طر اوبار
الجراب على النشر • وقال اهل العربية النشر ان ينبت وبر البعير وتحته
داء العر وهو الجرب فيرى كان ظاهره سليم وباطنه سقيم ومن
ذلك قوله عليه السلام الانصار كرشي وعيبتي • وفي هذا
القول مجازان • احدهما قوله عليه السلام كرشي • ويحتمل ذلك
معنيين • احدهما ان يكون اراد عليه السلام انهم مادتي التي اقوى بها
وافزع اليها كما تفزع ذوات الاجترار الى اكراشها في استراع الجرة
منها والاعتماد عند فقد المرعى عليها • فاراد عليه السلام ان
الانصار رحمة الله عليهم سيقومون بانفسهم ويكون معولي في السراء و
الضراء عليهم • والمعنى الاخر ان يكون المراد ان الانصار اهلي وعيالي
وخاصتي وجماعتي والكرش اسم الجماعة قال الشاعر • وسبينا بك
قصر فشرا • واستبحنا كراكرا وكروشا • اي جماعات • وقال ابو زيد
الكرش اسم من اسماء الاصل كالسنخ والجذم وما في معناهما • ويقول
القائل لفلان كرش منثورة اذا اراد انه ذو كثرة من العيال وعدد من

الاولاد ومعنى منشرة انهم متفرقون متشعبون لان الكرش مجتمعة
وهولاء شبههم بها كالشعب المتفرقة وانما شبه العيال والاولاد بالكرش
لانها في الانعام مستقر لاعلافها ومجتمع لما يصل الى اجوافها وكذلك
عيال الرجل وولده اليهم تنصرف مكاسبه وعليهم تنفق حرائبه • و
المجاز الاخر قوله عليه السلام وعيبتي واراد انهم موضع ثقتي ومستودع
نفثتي ومكان سري والمجاز ظهر كالعيبة التي يودعها الانسان
نفائس ذخره وكرائم ودائعه ويكون ما استودعها فوق الظهور وبعيدا
للدنس • وقد ذكر الواقدي في كتاب المغازي هذا الكلام في جملة خطبة
النبي التي خطب بها قبيل وفاته بزيادة في الفاظه فقال في آخرها
صلى الله عليه وآله وسلم الا ان الانصار عيبتي التي آوي اليها ونعلي
التي اطا بها وكرشي التي آكل فيها • وهاهنا زيادة مجاز لم يكن سمع
وهو قوله عليه السلام ونعلي التي اطا بها ولهذا القول وجهان احدهما
ان يكون شبههم بالنعل التي تقي القدم نكب الطراق ووخز [illegible]
وما في معنى ذلك فاراد انهم يقونه حد الاعداء واشتداد اللاواء والوجه
الاخر ان يكون اراد انهم جنوده التي يطا بها البلاد ويذل الاضداد
وتقول العرب داس آل فلان آل فلان ووطئ بنو فلان بني فلان اذا
كانوا الغالبين لهم والعالين عليهم • ومن ذلك ما حكي عن ابي سفيان بن

حرب انه قال وقد مر باحد لقد دنا هاهنا محمد واصحابه ودسر
منكم وتروني وطئنا • ومن ذلك قوله عليه السلام لحكيم بن حزام بن خويلد
بعد اسلامه وقد الحف في سؤاله صلى الله عليه وعلى آله لما قسم غنائم
هوازن • يا حكيم ان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بسخاوة نفس بورك
له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه في كلام اكثر من هذا •
فقوله عليه السلام ان هذا المال خضرة حلوة مجاز لانه شبه حلاوة
المال في القلوب بحلاوة الثمرة الطيبة في الافواه فكما ان هذه الثمرة
الحلوة تشرف النفس اليها وتكثر النزاع لها فكذلك الاموال التي
تلهج النفس بها وتكثر النزوع اليها • وفي قوله عليه السلام خضرة حلوة
سر لطيف وهو انه شبه المال بالثمرة التي حسن منظرها وطاب مخبرها
وليس كل ثمرة ماكولة كذلك صفتها لان في النابتات والثمرات ما يحسن
ظاهره ويقبح باطنه ومنها ما يقبح ظاهره ويحسن مخبره فجعل عليه السلام
المال من قسم النابتات التي تروق في العيون وتحلو في الافواه والقلوب
والمال على الحقيقة بهذه الصفة لان العيون تعلقه والقلوب
تعشقه • ومما يشبه ذلك قوله عليه السلام من خضر له في شيء فليلزمه والمراد
اعتياد الانتفاع بشيء على بر وتوكل عليه فكانه شبه تلويح الامر بنفعه
وابدائه بالخير المرجو من جهته بالخضرة الطالعة اذا دنا ايناع الثمرة

ومن ذلك قوله عليه السلام الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وهذا
القول مجاز لأن المراد بذلك أن الصدقة إنما تجب عليه الصدقة إذا
كانت لمرفق من غنى والظهر ههنا عبارة عن القوة فكأن المال
للغني بمنزلة الظهر الذي عليه اعتماده وإليه استناده. ومن ذلك
قولهم فلان ظهر لفلان إذا كان يتقوى به ويلجأ في الحوادث إليه.
وقد جاء في السير أن المسلمين كانوا عند حفر الخندق بالمدينة يرتجزون
بجعيل بن سراقة الضمري ويقولون سماه من بعد جعيل عمرا. وكان
للبائس يوما ظهرا. وكان النبي عليه السلام يقول معهم عمرا وظهرا
ولا يقول باقي الشعر وكان جعيل بن سراقة يعمل معهم ويقول مثل قولهم
ويضحك إليهم فعلموا أنه لا يسوؤه ارتجازهم به. وكان النبي عليه السلام
قد سماه عمرا واسمه الأظهر جعيل ويقال جعال وكان رجلا صالحا
من قدماء المهاجرين ومن البدريين والذين شهدوا المشاهد كلها
مع النبي عليه السلام وكان له مع ذلك اختصاص بخدمته وملازمة
لمنزله وكان من فقراء الصحابة ولما قسم النبي صلى الله عليه وعلى
آله غنايم حنين لم يعط الأنصار منها شيئا ولا كثيرا من المهاجرين
وفرقها في قريش والمؤلفة قلوبهم ليثبتوا على الإسلام ويؤمن منهم
الفساد. وكان جعيل بن سراقة ممن حرم العطية فكلم سعد بن أبي وقاص

النبي

النبي عليه السلام في شأنه وقال يا رسول الله تحرم جعيلا وتعلم من
حاله وحاله من حرمته وتعطي عيينة بن حصن والأقرع بن حابس وفلانا
وفلانا فقال عليه السلام أما والذي نفسي بيده لجعيل بن سراقة خير
من طلاع الأرض مثل عيينة والأقرع ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت
جعيل بن سراقة إلى إسلامه. ومما في هذا المعنى أيضا قول القائل
أعطيت فلانا كذا عن ظهر يد أي عن اصطناع وتفضل ولم أعطه عن خيفة
وذلة وهذا المعنى ضد قوله سبحانه حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
فكان حمل لفظ الظهر من الكلام عن المعنى والمراد بذلك ههنا على
الأظهر من التأويلات التي ذكرناها في كتاب مجازات القرآن أن يكون
حتى يعطوا الجزية عن قهر وذلة وخضوع وقسر فهو نقيض قول
القائل أعطيته عن ظهر يد أي عن اختيار ومشية واستطالة
وقوة. ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم إني أحمدك على المرقد
الساكن والليل النائم. ووصفه الليل بالنوم مجاز لأن النوم إنما
يكون فيه لا منه ولكنه لما كان ظرفا للنوم وظرفا له حسن أن
يوصف به ويضاف إليه وعلى هذا قول جرير. لقد لمتنا يا أم غيلان
في السرى ونمت وما ليل المطي بنائم. ومن ذلك قوله عليه السلام
من أكل من هاتين البقلتين فلا يقربن مسجدنا يعني الثوم والكراث

فمن كان اكلهما لا بد فليمتهما طبخا. وهذا القول مجاز لان الاماتة
على الحقيقة لا تلحق الا ذا حياة وانما المراد فليستخرج ما فيهما من
القوة التي بها تكون شدة الرائحة المكروهة بالطبخ تشبيها بالذي
لا يبلغ الى المفارقة من الحياة الا بعد بلوغ قوته منقطعها وتفريق الموت محركيها
وفي رواية اخرى فليمتهما طبخا انما اي فليطبخهما حتى تنقضا قوتهما
ومن ذلك قوله عليه السلام المؤمن مرآة اخيه. وفي رواية اخرى
مرآة اخيه المؤمن يرى فيه حسنه وقبيحه. وهذا القول مجاز و
استعارة والمراد ان المؤمن الناصح لاخيه المؤمن يحصي مواقع شينه
ويطلعه على خفايا عيبه فيكون كالمرآة له ينظر فيها محاسنه فيحسنها
ويزداد منها ويرى مساويه فيقبحها وينصرف عنها ومن ذلك
قوله عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع. وهذا القول مجاز لان
اليمين الفاجرة على الحقيقة لا تخرب الديار ولا تعفي الآثار وانما
المراد ان الله سبحانه اذا اقدم الحالف على اليمين الفاجرة استهانة بها
واستغرارا بالعقوبة المرصدة عليها قطع تعالى دابره واخرب منازله
ورداه رداء خزيه وقنعه قناع بنيه ومن ذلك قوله عليه السلام
في حديث يخص صلاة الجمعة تصل في خلاقيم البلاد. وهذا الكلام
مجاز وخلاقيم البلاد عبارة عن نواحيها واطرافها والداخل اليها

فكانه عليه السلام شبه تلك الاطراف المفضية الى الاوساط بالحلاقيم
التي هي الطرق الى الاحشاء والاجواف ومن ذلك قوله عليه السلام
اني ممسك بحجزكم هلم عن النار وتغلبونني تقاحمون فيها تقاحم الفراش
والجنادب ويوشك ان ارسل حجزكم. وفي هذا الكلام مجاز وتوسع
وذلك ان المراد به عليه السلام مبالغة في زجراته عن التقحم في المعاصي
والارتكاس في الضلال والغاوي لتكامل النفع وتمام الردع فشبه ذلك
عليه السلام بامساك الرجل بحجزة صاحبه اذا كاد ان يسقط في
مهواة او يرتكس في مغواة فتماسك بامساكه ونجا بعد اشفائه فلما
شبه احدى الحالتين بالاخرى اجرى عليهما الاسم على سبيل المجاز و
طريق الاتساع وحسن ان يقول عليه السلام اني آخذ بحجزكم عن النار
ومراده عن الاعمال المؤدية الى دخول النار لان السبب للشيء جار مجرى
نفس الشيء. ومما يبين ان المراد ذلك انهم لم يكونوا في حال سماعهم
الخطاب متهافتين في النار وانما كانوا في الاعمال التي يستحقون بها
عذاب النار. ومما يشبه هذا الخبر ما روي من قوله عليه السلام يخرج من
النار قوم بعدما امتحشوا فصاروا حمما وفحما فمعنى هذا الكلام عندنا
انه يخرج من استحقاق النار بالتوبة قوم هذه صفتهم وهذا على طريق
المجاز اي انهم باعمالهم المؤدية الى دخول النار كمن احترق بضرامها

من جمها او معنى اسحشوا احترقوا • والمرجئة يحملون هذا الخبر على ظاهره
ولا يفزعون الى تاويله • ومعنى هلموا عن النار اي ارجعوا الى طاعة
الله سبحانه التي هي الامان من العذاب وجانبوا معاصيه التي هي
الطريق الى العقاب • ومعنى تغلبوني تقاحمون فيها اي انتم مع كثرة
الزجر لكم والاعذار اليكم تنفلتون وتسارعون الى التقحمات كما
يتهافت الفراش في الشهاب والذباب في الشراب • ومعنى واوشك
ان ارسل حجزكم اي اوشك ان يطرقني طارق الموت فتفقدون نهيي لكم
عن المعاصي واخذي بكم عن طرق المهاوي فجعل ذلك عليه السلام بمنزلة
ارسال حجزهم والقاء ازمتهم وهذا مجاز ثان ومن ذلك قوله عليه السلام
لمحلم بن جثامة الليثي في قتله عامر بن الاضبط الاشجعي وهو مسلم
اقتلته في غرة الاسلام • وهذه استعارة واراد عليه السلام بغرة
الاسلام اوله تشبيها بغرة الفرس التي هي اول ما يستقبلك منه
المستقبل ويراها المتامل وبها ايضا تشهر شيته ويتميز صورته
ويقولون هذا غرة الشهر اي اوله لانه اول عدده ومستهل مدخله
ويقولون فلان غرة قومه اذا كان المنظور اليه منهم والمعول عليه
من بينهم ومن ذلك قوله عليه السلام في مثل ضربه لقريش يطول
الكتاب بذكره وتقطع الناس في امرهم حتى يبعث عجز من الناس عظيمه

وهذه استعارة لان المراد بالعجز ههنا اخر الناس وعقابيلهم
تشبيها بعجز الناقة او غيرها من الدواب لان اول ما يتحرك للسير
هاديها وعنقها ثم يتبعه ردفها وعجزها فسمى القوم الذين يتاخرون
في السير اعجازا كما سمى المتقدمون اعناقا فيقال قد طلعت اعناق
القوم اي اوائلهم ومتقدموهم وجاءت اعجازهم اي اواخرهم ومتبعوهم
وعلى هذا سموا متقدمي القوم في الوجاهة والمنزلة اعناقا ورؤوسا
وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم • وقد يجوز ان يكون الحديث المروي
في المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة من هذا ايضا يريد
انهم يوافون يوم القيمة وجوه الناس وجوها ورؤوسا فيكون قولنا
الطول ههنا من الطول لا من الطول • ولا بد ان يكون المراد بالناس
ههنا الخصوص دون العموم كانهم يكونون في القيمة وجوه الناس
الذين هم كالنظراء لهم وفي الطبقة معهم لانهم لا يجوز ان يكونوا
يومئذ اعظم وجاهة من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين ومن ذلك قوله عليه السلام لعثمن بن مظعون رحمه
الله لما اراد الاختصاء والسياحة خصاء امتي الصيام • وهذا
القول مجاز لانه عليه السلام اراد ان الصيام يكسر الشهوات
ويشغل عن اللذات كما ان الخصاء الاكثر يكسر الشوق ويقطع الشهوة

ومما يؤكد ذلك الخبر الاخر المروي عنه عليه السلام قال من استطاع
منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطعه فليصم فان الصوم وجاء
والوجاء الخصاء ، وسمعت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي
عفا الله عنه يقول في اثناء قراءتي عليه وقد اعترض ذكر الخلاف
في وجوب النكاح يمكن الاستدلال بهذا الخبر على ان النكاح غير واجب
خلافا لداود فانه يقول انه واجب على الرجل مرة في عمره ، قال
وموضع الاستدلال منه انه عليه السلام نقل النكاح الى الصوم
وجعل الصوم بدلا منه ، والابدال حكمها حكم المبدلات فلو كان
الاصل واجبا كالتيمم والماء وابدال الكفارات فلما كان الصوم
الذي هو بدل من النكاح غير واجب دل على ان المبدل ايضا وهو النكاح
غير واجب ومن ذلك قوله عليه السلام لامير المؤمنين علي بن ابي
طالب عليه السلام ان لك بيتا وانك لذو قرنيها ، وهذه استعارة
لان المراد انك ذو قرني الامة فكانه عليه السلام قال وانك ذو قرني
هذه الامة لان الراس هو ذو القرنين لان القرنين انما يكونان
بنشوزه وظهوران عليه ، وهذا الخبر على هذا التاويل من الاخبار
الدالة على ان امير المؤمنين عليه السلام افضل الناس بعد رسول
الله صلى الله عليه وعلى آله اذ كان راس امته ورئيس اسرته

ومثل قوله عليه السلام لذو قرنيها في ان المراد به الامة وان لم يجر لها
ذكر ، قوله تعالى حتى توارت بالحجاب ، وقوله سبحانه ، ولو دخلت
عليهم من اقطارها ، فان المراد الشمس والمدينة وان لم يجر لهما ذكر
وقد قال بعضهم المراد بهذا الخبر انك في هذه الامة كذي القرنين في
امته وعلى هذا التاويل ايضا لا بد من تسليم الرياسة له على كافتهم
لان ذا القرنين كان مستتبع ازمة الملوك كلهم والعالي بالقدرة
والبسطة على جماعتهم هذا ان كان ذو القرنين هو الاسكندر
الرومي على ما يقوله بعضهم ، وان كان اسم نبي من الانبياء على ما
يقوله اخرون فموضع الاحتجاج بالفضل ايضا موجود لان
ذلك النبي في دهره كان افضل امته وخيار اهل دعوته ، وقد
روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال وقد ذكر ذا القرنين
فقال دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنه ضربتين وان
فيكم لمثله فيرى انه عليه السلام اراد بهذا القول نفسه اي انا
ادعو الى اتباع الحق وسأضرب على راسي ضربتين يكون فيهما
منيتي فاكون كذي القرنين ، وقد يجوز ان يكون النبي عليه السلام
اراد بقوله وانك لذو قرنيها هذا المعنى والله اعلم ، وقال
بعضهم انه عليه السلام لما ذكر في اول الكلام الجنة قال وانك لذو قرنيها

يريد قرني الجنة اي طرفيها فكانه وصفه ببلوغ غايات الشاؤ فيها
وفي هذا القول بعد • وحكى عن ثعلب انه سئل عن هذا الحديث فقال
اراد عليه السلام انك ذو جبليها يعني الحسن والحسين عليهما السلام
قال ويجوز ان يكون قوله ذو قرنيها يريد طرفي الامة اي انت نبي في
اولها والمهدي من ولدك في اخرها • قال ويجوز ان يكون ذلك من
قولهم عصرت الفرس قرنا او قرنين اي استخرجت عرقه بالجري مرة او مرتين
فكانه عليه السلام ذو اقتباس العلم الظاهر واستخراج العلم الباطن
الاعتماد على ما قدمنا ذكره من التاويل الاول وهو من استنباطي
ومن ذلك قوله عليه السلام اخاف عليكم ان تصبت الدنيا عليكم
صبا • وهذه استعارة لانه عليه السلم اراد اذا عمتكم الدنيا بنعمائها
وعمتكم بفوائدها وعوائدها فشبه كثرة ذلك بالوبل الغزير
المنصب على الانسان في انه يبله بدفعاته ويعمه من جميع جهاته
ومثل ذلك قولهم انغمس فلان في الدنيا انغماسا اذا اكثر التلبس
بها وعظم اخذه منها تشبيها لها بغمرة الماء اذا خاضها الخائض
او شرع فيها القابس **ومن ذلك قوله عليه السلم** كل عين زانية
وهذه استعارة لانه عليه السلام لم يرد حقيقة الزنا المذموم وانما
اراد ان كل عين لا بد ان تكون لها طمحة الى حسن او طرفة الى ريب

وان كان ذو التقوى يكبح نفسه بالشكيم ويعرك شهوته عرك الاديم
ولا يكون نظره الا فلتة ولا يتبع النظرة النظرة • كما قال عليه السلم
وقد قال الشاعر • نظرت اليها بالمحصب من منى • ولي نظر لولا التحرج
غارم • فوصف النظر بالغرام في هذا الشعر كوصف العين بالزنا في هذا
الخبر • فاما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام القسطنطينية
الزانية • فالمراد بالزاني اهلها وذلك كما جاء في التنزيل من ذكر القرى
مثل قوله تعالى • وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وقرية كانت امنة
مطمئنة • اي اهلها ظالمون واهلها امنون • وذلك في القران كثير
ومن ذلك قوله عليه السلم لا يلقى الله عبد لم يشرك بالله شيئا
ولم يتند بدم حرام الا دخل من اي ابواب الجنة شاء • فقوله عليه السلم
ولم يتند بدم حرام مجاز لانه اراد لم يصب دما حراما • ومن قولهم
ما نديت من فلان بشيء اي لم اصب منه شيئا • فجعل عليه السلام الذي
سفك الدم متنديا به وان كان لم يباشر سفكه بنفسه لان الاغلب
ممن يتولى سفك الدم يباشره ان يصيبه منه بلل ويشهد [illegible]
هنا قول الشاعر • تراه من دم القتيل بريئا • وقد علقت دم القتيل
ازارها • ولم يكن هناك على الحقيقة اثر دم علق الازار • وانما اخرجه
الشاعر على الوجه الذي ذكرناه فكانه جعل القاتل وان لم يظهر عليه

شاهد الدم كمن ظهرت عليه شواهده الناطقة ودلايله الغالطة
لقوة الامارات التي تشهد بفعله وتعصب الامر به وهذا المعنى ايضا
اراد جرير بقوله وقلت نضاحه لبني عدي ثيابكم ونضح دم القتيل *
فكانه خاطب قوما ونهاهم عن ان يقفوا موقف الظنة ويتنزلوا منزل
التهمة ليبرأوا من دم قتيل اتهموا بقتله وقرفوا بقتله ومن ذلك
قوله عليه السلام من فعل كذا وكذا فقد احتظر من النار بحظار
وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل ذلك فقد احتجز من النار
بحاجز والحظار الحائط المستدير على الشيء يجعل عليه السلام
المتباعد عن الفعلة التي توجب دخول النار كمن ضرب حظيرة بينها
سياج واغلق عليه رتاج والحظار والحظيرة بمعنى واحد وهو
حظار بفتح الحاء والجمع احظرة كما يقال دثار والجمع ادثرة ومن
ذلك قوله عليه السلام اغتربوا لا تضووا * وهذه استعارة
والمراد انكحوا في الغرائب ولا تنكحوا في القرائب لانهم يقولون الغرائب
انجب والضوى ضؤولة الجسم ودقته ويقال اضوت المراة اذا اتت
بولد ضاوي كما يقال اذكرت اذا اتت بولد ذكر وكانوا يعتقدون ان
القرابة تضوى كما ان الغريبة تذهب اي تاتي بالولد ناهضا * وقال
الشاعر فتى لم تلده بنت عم قريبة فيضوى * وقد يضوى رديد القرائب

وقال الاخر * واترك بنت العم وهي قريبة مخافة ان تضوى على سليلي *
وقوله عليه السلام اغتربوا عبارة عن هذا المعنى من احسن العبارات
لانه جعل التباعد عن التناكح في العشيرة والبيت والذهاب به الى غير السنخ
والاصل بمنزلة الرجل المغترب الذي يبعد عن وطنه ويتباعد عن
سكنه ومن ذلك قوله عليه السلام خير المال عين ساهرة لعين نائمة
وهذه استعارة لان المراد بذلك عين الماء الجارية التي لا ينقطع جريها
ليلا كما لا ينقطع نهارا فسماها ساهرة لهذا المعنى لانها في ليلها تامة
ويمين صاحبها نائم ولفظ السهر في هذا الكلام احسن ما جعل بينهما
المعنى ملبسا وجيب علم ملبسا ومن ذلك قوله عليه السلام
كل هوى شاطن في النار * وهذا مجاز لانه وصف الهوى بالشطون
وهو البعد واراد به تباعد صاحبه عن الرشد وتراميه الى الغي وقت
ابو عبيدة الشاطن هاهنا الخارج عن الحق والهوى على الحقيقة ليس
بجسم فيوصف بالقرب والبعد والزوال واللبث * وسمي الشيطان
شيطانا لانه شطن عن امر ربه اي ابعد في مذاهب غيه * ومنه قيل
نوى شطون وبئر شطون * ومن ذلك سمي الحبل شطنا لانه يبلغ القعر
العميق والماء البعيد * وفي هذا الخبر ايضا مجاز اخر وهو انه عليه السلام
جعل الهوى الشاطن في النار ومراده صاحب الهوى الشاطن وهو

الذي يتدبر هواه فيقذفه في الضلال ويحمله على الزلال ونظير هذا
الخبر الخبر الآخر وهو قوله عليه السلام عليكم بالصدق فانه مع الفجور وهما
في النار واراد عليه السلام صاحب الصدق والبر وصاحب الكذب و
الفجور ومن ذلك قوله عليه السلام كيف بكم وبزمان يوشك ان يغربل الناس فيه
ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم واماناتهم وهذه استعارة
المراد انه تنفى خيارهم فيهلكون بالقتل السريع والموت الذريع كما يغربل
الحب بالغربال فيسقط قشره وصفاته ويبقى حثالته وحصانه وقد قيل
ان الغربلة اسم للقتل خصوصا ومن قول الشاعر ترى الملوك حوله
مغربلة يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له اي مقتلة والقول الاول
اشبه بالمراد واليق بالصواب وقد تكلمنا فيما تقدم على قوله عليه السلام
ويبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم ومن ذلك قوله عليه السلام
وقد سئل اي الاعمال افضل فقال الحال المرتحل قيل وما الحال المرتحل
قال الخاتم المفتتح وفي هذا الكلام مجاز لانه عليه السلام انما اراد
المداوم لتلاوة القرآن فهو يختم ويفتتح ويتم ويستانف فشبهه عليه السلام
بالنازل المجد فيما ينزل حتى يرحل وفيما يسير حتى ينزل فشبه عليه السلام
ختم التلاوة بنزول المنزل وشبه استينافها بابتداء المرتحل وجعله ممن
هذه الطريقة ابدا لا يرمي الى غاية ولا يقف عند نهاية وقد قيل ان المراد ب

المجاهد في سبيل الله الذي يغزو ويعقب ويقفل ويعاود والقول
الاول اظهر عند العلماء واوغل في مذاهب الفصحاء ومن ذلك قوله
عليه السلام ان قوما يصفرون الاسلام ثم يلفظونه وهذا القول
مجاز لان المراد انهم يلقنون الاسلام ويعلمون فيتناسونه ويفارقونه
كالذي يلقم الشيء فيدسم به ولا يسيغه الى جوفه وذلك ماخوذ من قولهم
صفرت البعير اصفره صفرا اذا لقمته لقما عظاما وقد يجوز ان
يكون ماخوذا من قولهم صفر الرجل الدابة يصفرها صفرا اذا القى
اللجام في فيها والمعنيان متقاربان ومن ذلك قوله عليه السلام
يمين الله ملأى سحا لا يغيضها الليل والنهار وهذه استعارة لان المراد
باليمين هاهنا نعم الله ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها وعموم مرافقها
فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها المواتح ولا تنقصها النوازح
والسح شدة المطر يقال سحت السماء سحا اذا جادت جودا وخص
اليمين لانها في الاكثر مظنة العطاء وموصلة الحباء على طريق المجاز
والاتساع وقد شرحنا هذا المعنى في عدة مواضع من كتبنا المشتملة على
علوم القرآن ومن ذلك قوله عليه السلام ابنوا المساجد واتخذوها
جما وهذه استعارة لان المراد ابنوها ولا تتخذوا لها شرفا فشبهها
عليه السلام بالكباش الجم وهي التي قرونها صغار خافية ومن الخبر المشهور

في ذكر القيامة. انه ليؤخذ للجماء من القرناء، وذلك من احسن التشبيه
واوقع التمثيل. وقال ابن الاعرابي الاجم الذي لا رمح معه. ومن ذلك
قول الشاعر. وتيل انهم تمشي اجنابيهم من الرماح وفي القرون نكير.
اراد ان بيوتهم خالية من الرماح المركوزة بابوابها فهي كالكباش الجم التي
لا قرون تظهر لها. وقال الاعشى: متى تدعهم للقاء الحروب تاتك
خيلهم غير جم. اي قد اشرع فوارسها الرماح فهي بها كالكباش اذا
مدت للكفاح وسددت قرونها للنطاح. وقد جاء في كلامهم الرماح
قرون الخيل. ومثل ذلك الحديث المروي ستكون فتنة كانها صياصي
بقر. والصياصي هاهنا القرون. قيل انما شبهها عليه السلم بقرون البقر
ما يشرع فيها من الرماح. ومن ذلك قوله عليه السلم لا يزال المؤمن
خفيفا معنقا ما لم يصب دما فاذا اصاب دما بلّح. وهذا مجاز
لانه عليه السلام شبه المذنب غير القاتل بحامل الحمل الا ان فيه بعض الخفة
فهو يعنق اي يسرع في خطوه فاذا اصاب دما ثقل ذلك الحمل حتى
يبلح منه والتبليح الاعياء ماخوذ من بلوح الشي وهو انقطاعه فكان قوته
قد نفدت وقوته قد انقطعت. وانما قال عليه السلم ذلك تغليظا لامر الدم
ليقل الاقدام على سفكه ويكثر التزاجر عن التعرض به ومع ذلك فالتوبة
تسقط العقاب المستحق عليه كما تسقط العقاب المستحق على غيره من القبائح

خلافا لما ظنه بعض الناس من ان القاتل لا توبة له لان الامر لو كان
على ما قال لم يكن للقاتل سبيل الى الانتفاع بطاعاته في المستقبل
لانها تقع محبطة ولا يجوز الا يكون للعاصي طريق الى الانفكاك
من عقاب المعاصي لان في ذلك اغراء له بها وحملا له عليها. وفي بعض
الاحاديث ان اعرابيا قتل تسعة وتسعين انسانا ثم اتى راهبا بالشام
يستفتيه في توبته فقال له ما ارى لك توبة فقال لا جرم والله
لاكملن بك مائة فقتل الراهب. وما حكي عن عبد الله بن عباس
رحمه الله من اختلاف فتواه في هذا المعنى لانه افتى مستفتيا ساله
عن توبة القاتل بانه لا توبة له وافتى اخر بان له توبة فله عندنا وجه
صحيح قد نقله عنه ثقات الناقلين وذلك انه سئل عن اختلاف
قوليه في هذا الباب فقال اما في مستفت فافتيته بان للقاتل توبة
لاني رايت عليه امارات من قتل وهو نادم على قتله خائف من جرائر
فعله. واستفتاني اخر فافتيته بانه لا توبة للقاتل لاني رايت عليه
امارات من هو عازم على القتل في المستقبل واراد ان يجعل الى التوبة بعد
الاقدام على سفك الدم المحرم فافتيته بذلك ليقف عن عزمه ويخاف
عواقب امره. ومن ذلك قوله عليه السلم بلوا ارحامكم ولو بالسلام
وفي رواية اخرى انضحوا ارحامكم والمعنى واحد. وهذه استعارة لان المراد

صلوا ارحامكم ولو بالسلام اى جددوا المودة بينكم وبين اقاربكم
ولو بالتسليم عليهم تشبيها بما يلتقى آليابس لانه لا يتبلل الا ببل
الماء فيلتزق فاصله ويتجدد فاصله فشبهوا بل الارحام بذلك لانه
رحمن الخالق تجديدا لخلقها واحكاما لما دق من علايقها وشاهد
قول الكميت الاسدى نضحت اديم الود بينى وبينهم ماصر الارحام
لو يتبلل **ومن ذلك قوله عليه السلام** لرجل سال انه نام عن الصلوة
حتى اصبح ذاك رجل بال الشيطان فى اذنه وهذا مجاز لانه عليه السلام
اراد ان الشيطان يتكوبر وخوسه لانهم يقولون ذلك فيمن ظهر اختلاله
وبان اختلاله وفساده ماخوذ من الافساد فكانه عليه السلام اراد ان الشيطان
قد افسده وفسخ عقله وعلى ذلك قول الشاعر اذا بات البطان من الاسد
جمته او الخزاة والكتد بال سهيل فى الفضيخ ففسد وطاب
البان اللقاح وبرد اى افسد سهيل اللبن ففسد فجعل من افساده
له بقوله فيه تشبيها بالبايل فى الماء لانه يفسد عذبه ويمنع شربه
ومن ذلك قوله عليه السلام تعرض الناس جهنم كانها سراب يحطم
بعضها بعضا وهذا مجاز لانه عليه السلام اراد شدة احتدامها
والتفاف ضرامها فكان بعضها يحطم بعضا اى يحرقه ويغيضه والحطم
الكسر وقد يجوز ان يكون المراد انها تحطم ابدان العاصين بها وجعلهم

بعضها

بعضها لانهم خالدون فيها غير خارجين منها **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لرجل من وفد بجيلة انى لارجو ان تموت جميعا فقال اوليس الرجل يموت
جميعا يا رسول الله فقال عليه السلام تتشعب اهواؤه وهمومه فى اودية
الدنيا فلعل اجله يدركه فى بعض ذلك فلا يبالى الله فى ايها هلك
وفى هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام انى لارجو ان تموت
جميعا لان الانسان لا يموت الا جميعا وانما اراد انى لارجو ان لا يدركك
الموت وهو ملك نفسه واهواؤك متشعبة فكانه يكون متفرقا بتفرق
اهوائه ومتشعبا بتشعب ارائه والمجاز الاخر قوله عليه السلام فى اودية
الدنيا وهذه استعارة عجيبة لانه شبه اختلاف طرايق الدنيا
ومذاهبها وتباين احوالها ونوائبها بالاودية المختلفة فيها البعيد
والقريب والخصب والجديب والواسع والضيق والنجى والمعطب
ومن ذلك قوله عليه السلام الحياء نظام الايمان وهذه استعارة
والمراد ان الحياء يجمع خلال الايمان كما يجمع السلك فوايد النظام ولان
الانسان الكثير الحياء يحجزه عن موافقة المعاصى ومطاوعة الغوايه
فاذا قل حياؤه تفرق جماع ايمانه فاشبه السلك فى انه اذا انقطع
تهافت خرز نظامه وهذا المعنى اراد الشاعر بقوله يعيش المرء ما
استحيا بخير ويبقى العود ما بقى اللحاء وليس يا فى هذا الحديث

الحديث الآخر وهو قوله عليه السلم الحياء شعبة من الايمان فانه لا يمتنع
ان يكون شيئاً منه ويكون مع ذلك نظاماً له **ومن ذلك قوله عليه السلم**
منبري هذا على ترعة من ترع الجنة. وقد قيل في تفسير الترعة
ثلثة اقوال. احدها ان يكون اسماً للدرجة. والثاني ان يكون اسماً
للروضة على المكان العالي خاصة. والثالث ان يكون اسماً للباب
وفي هذا الكلام مجاز على الاقوال الثلثة وجميعها يؤول الى معنى
واحد. فان كانت الترعة بمعنى الدرجة فالمراد ان منبره عليه السلام
على طريق الوصول الى درج الجنة لانه عليه السلام يدعو عليه الى
الايمان ويتلو قوارع القرآن ويخوف ويزجر ويعد ويبشر. وان
كانت بمعنى الباب فالقول فيهما واحد وان كانت بمعنى الروضة على
المكان العالي فالمراد بذلك ايضاً كالمراد بالقولين الاولين لان منبره
عليه السلام على الطريق الى رياض الجنة لمن طلبها وسلك السبيل اليها
وفيه زيادة معنى وهو ان يكون انما شبهه بالروضة لما ينثر عليه من
محاسن الكلم وبدائع الحكم التي تشبه ازاهير الرياض ونبائج النبات
وهم يقولون في الكلام الحسن كانه قطع الروض وكانه ديباج الرقم ولهذا
عليه السلام الروضة الى الجنة لان الكلام المونق الذي يتكلم به عليه السلام
الى الجنة لان الكلام المونق الذي يتكلم به عليه يهدي الى الجنة ويكون

والاتها او قابها اليها وعندهم ان الروضة اذا كانت على الارتفاع والانشاز
كانت احسن منظراً وانق زهراً وعلى ذلك قول الاعشى. ما روضة من رياض الحزن
معشبة خضراء جاد عليها واكف خضل. وقد قال بعضهم الترعة الكوة
وهو غريب فان كان المراد ذلك فكانه عليه السلام فالمنبر على مطلع
من مطالع الجنة والمعنى قريب من معنى الباب لان السامع لما يتلى عليه كانه يطلع
الى الجنة فينظر الى بهجتها والى ما اعد الله للمؤمنين فيها **ومن ذلك قوله
عليه السلم** ان الاسلام ليارز الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها. وهذه
استعارة والمراد ان الاسلام ليأوي الى المدينة كما تأوي الحية الى جحرها واصل
ذلك ماخوذ من القبض والاجتماع يقال ارز يارز ارزاً اذا كان منه ذلك فجعل
عليه السلام المدينة كالوجار للاسلام ينقلص اليها وينضم الى جناحها لانها
قطب مداره ونقطة بركاره **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا يدخل الجنة
لحم نبت من سحت. وهذا القول مجاز لانه عليه السلام شبه نبات اعضاء الانسان
بنبات اغصان الشجر لما بينهما من المشاكلة لان العروق كالعروق والالحية
كالجلود والايراق كالحياة والايباس كالوفاة **ومن ذلك قوله
عليه** لعبد الله بن عمرو بن العاص وذكر قيام الليل وصيام النهار فقال
انك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك ونفهت نفسك. فقوله عليه السلام
هجمت عيناك استعارة لان المراد به غؤور العينين لطول القيام وبعد

المهنا الطعام وذلك ماخوذ من قولهم هجم فلان على فلان اذا دخل عليه
دخولا فيه سوء عزر ولم يرد وعنه • ويقال هجم عليهم البيت اذا سقط عليهم
فشبه عليه السلام افراط دخول العينين في حجاج الراس بهجوم الرجل
الهاجم او وجوب البيت الواقع فالتشبيه بالاول لاغتياله وبمداخلة
والتشبيه بالثاني لزواله عن موضعه • ومعنى نفهت نفسك اي
اصابها الملال ومعناها الاعياء والكلال ومن ذلك قوله عليه
لان يمتلي جوف احدكم قيحا حتى يريه خير له من ان يمتلي شعرا • و
وهذا القول مجاز لان المراد النهي عن ان يكون حفظ الشعر اغلب على
قلب الانسان فيشغله عن حفظ القران وعلوم الدين حتى يكون اخص ضميره
واكثر خواطره فشبهه عليه السلام بالاناء الذي يمتلي بنوع من انواع
المايعات فلا يكون لغيره فيه مشرب ولا معه مذهب • وقال بعضهم انما
هذا في الشعر الذي هجي به النبي عليه السلام خصوصا والصحيح انه في كل
شعر استولى على القلب كل الاستيلاء عموما لان النهي يتعلق بحفظ قليل
ما هجي به النبي عليه السلام وكثيره فليس يراعى فيه ان يكون غالبا على القلب
وغالبا على اللب • وقوله عليه السلام حتى يريه معناه حتى يفسده ويفسد
ويقولون وريا الداء اذا فعل به ذلك • قال الشاعر • وراهن ربيه
مثل ما قد ورينني واحمي على اكبادهن المكاويا ومن ذلك قوله عليه

كل صلوة لا يقرأ فيها بام الكتاب فهي خداج • وروي هذا الخبر
بلفظ اخر وهو قوله كل صلوة لا قراءة فيها فهي خداج • وهذه استعارة
عجيبة لانه عليه السلام جعل الصلوة التي لا يقرأ فيها ناقصة بمنزلة
الناقة اذا ولدت ولدا ناقص الخلقة او ناقص المدة ويقال اخدج الرجل
صلوته اذا لم يقرأ فيها فهو مخدج وهي مخدجة • وقال بعض اهل اللغة
يقال خدجت الناقة اذا القت ولدها قبل اوان النتاج وان كان تام
الخلق واخدجت اذا القته ناقص الخلق وان كان تام الحمل • فكانه
عليه السلم قال كل صلوة لا يقرأ فيها فهي نقصان الا انها مع نقصانها
مجزية وذلك كما نقول في قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في
المسجد انما اراد به نفي الفضل لا نفي الاصل فكانه قال لا صلوة كاملة
او فاضلة الا في المسجد وان كانت مجزية في غير المسجد فنفى عليه السلم
كمالها ولم ينف اصلها • ومما يؤكد ذلك الخبر الاخر وهو قوله عليه السلم
لا غرار في صلوة ولا تسليم اي لا نقصان فيهما من قولهم ناقة مغار اذا
نقص لبنها • ومنه الحديث الاخر لا تغاروا التحية اي لا تنقصوا
السلام وردوا على البادي مثل ما قال ومن ذلك قوله عليه السلم
عايد المريض على مخارف الجنة • وفي هذا الكلام مجاز على التاويلين
جميعا فان كان المراد بالمخارف جمع مخرف وهو جنا النخل فكانه عليه السلم

شبه العائد المريض بدخول الجنة وحقق له ذلك حتى عبر عنه وهو بعد
في دار التكليف بعبارة من صار الى دار الخلود ثم نزل بالوصول الى
الجنة والنزول في دار الامنة وهذا موضع المجاز • وان كان المراد بالمجا
رع مخرفة وهي الطريق • كما روي عن بعض الصحابة انه قال في كلام
له وتركتكم على مثل مخرفة النعم اي طريق النعم الواضح الذي اعتادت ماجهتها
تخبطه بكثرة غدوها ورواحها فموضع المجاز منه انه عليه السلم جعل عائد
المريض كالماشي في طريق يفضي به الى الجنة ويوصله الى دار المقامة
ومن ذلك قوله عليه السلام للمغيرة بن شعبة وقد خطب امراة
ليتزوجها لو نظرت اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما • وفي هذا
اللفظ مجاز على التاويلين جميعا فاحدهما ان يكون قوله عليه السلم
احرى ان يؤدم بينكما ماخوذا من الطعام المادوم لان طيبه وصلاحه
انما يكون بالادام كالزيت والاهالة وما يكون في معناهما فكانه
عليه السلم اراد ان ذلك احرى ان تتوافقا كما يوافق الطعام ادمه
او كما يوافق الادام الخبز • قال الكسائي ادم الله بينهما على مثال
فعل اذا الف بينهما بالخبر والاتفاق • واقول انا ان هذا يشبه دعاء
عليه السلم للباني على اهله وهو قوله بالرفاء والبنين • كانه عليه السلام
دعا بان يلائم الله بينهما كما يلائم الرافي بين شقق الثوب المرفو •

واما التاويل الاخر فاصل الحرف منه ان يكون بمعنى ذلك احرى ان يصلح الله
بينكما من قولهم عنان مؤدم اذا كان مصلحا محكما • قال الراجز
والبشر مثل العنان المؤدم • ويقال ايضا اديم مؤدم اذا ظهرت ادمته وهي ما
ولي اللحم منه وادم مبشر اذا ظهرت بشرته وهو ما ولي الشعر منه ويقال رجل
مؤدم اذا كان محببا • قال الراجز • والبيض لا يؤدمن الا مؤدما • اي لا
يحببن الا محببا • **ومن ذلك قوله عليه السلم** ان من البيان لسحرا
وهذا القول مجاز والمراد به ان البيان قد يخدع بسحره ويغمر بزخارفه
وحسن معارضه ومطالعه حتى يستنزل الانسان من حال الغضب
الخاشنة الى حال الرضا والملاينة وينزع حمان السخايم ويفتح عقود
العزايم ويكبح الجامح حتى يرجع ويليف بالمحلق حتى يقع ويعود بالخصم
الضالع موافقا وبالضد الابعد مقاربا والسحر في الاصل هو التمويه
والخديعة والتلبيس والتغطية • وقال بعضهم السحر ما نقلك من حال الى
حال • وكانت العرب تعتقد ان السحر يغير الوجوه ويقلب القلوب
ويمرض الاجسام ويسفه الاحلام ويفرق بين المتحابين ويجمع بين
المتباغضين وهذا في الحقيقة نقل من حال الى حال وهو عندنا مائل
الى ان يراد به ما قدمنا القول فيه من خديعة الانسان بلين القول
وحسن اللفظ حتى يرضى بعد اشتطاطه ويلين بعد جماحه وهذا الخبر

هو الذي ذهب اليه النبي عليه السلام دون ما يقوله اهل الجهالة في
طغام الجاهلية **ومن ذلك قوله عليه السلم** الا ان يتغمدني الله منه
برحمة واصل هذا الكلام مستعار لان المراد به الا ان يغطيني تعالى
الله منه برحمة ماخوذ من غمد السيف الذي يكون كنانا له وصوانا عليه
وقال الشاعر • نصبنا رماحا فوقها جد عامر • كظل السماء كل ارض تغمدا
اي استجدهم على اقطار الارض فغطاها كاشتمال السماء عليها من جميع
جهاتها يصفهم بانبساط الجد وانبساط اليد وثراء المال والعدد
ومن ذلك قوله عليه السلم اللهم اني اسئلك رحمة تلم بها شعثي
وهذه استعارة والمراد يجمع بها امري فكنى عليه السلام عن ذلك بالشعث
تشبيها بالعود الذي تشعث راسه وتنفش اطرافه فهو يحتاج الى ما
يجمعه ويشاعب شعثه • ومن ذلك قول الشاعر يصف النار • وغبراء
شعثاء الفروع منيفة • بها توصف الحسناء او هي اجمل • اراد تفرق
اطرافها وتشعب شواظها **ومن ذلك قوله عليه السلم** اعوذ بالله من
شر عرق نعار • وهذه استعارة والاصل في ذلك رفع الصوت يقال
فلان نعار في الفتن اي صياح فيها ودعاء اليها • وقال بعض
التابعين وقد صلى خلف مصعب بن الزبير وهو رافع صوته بالتكبير
والتهليل قاتله الله نعارا بالبدع • اي صياحا بها فشبه عليه السلام

نعور

نعور دم العرق وتواتره بصوت الصائح المتنوع من وجهين لارتفاع
نداتيره ولتكرر دعائه • فجعل العرق نعارا للعلة المذكورة على طريق المجاز
والاتساع • وقال بعض اهل اللغة يقال نعر العرق نعرا ونعرانا اذا هاج
بالدم ولم يرقا • فان كان الامر على ما قال فقد خرج الكلام عن باب
المجاز الى حيز الحقيقة **ومن ذلك قوله عليه السلم** من كانت
الدنيا همه وسدمه جعل الله فقره بين عينيه • وهذا الكلام مجاز
والمراد به ان من جعل الدنيا همه وقرعليها بالله واعرض عن الآخرة
بوجهه واخرج ذكرها من قلبه واقبل على تثمير الاموال واستضخام
الاحوال عاقبه الله على ذلك بان يزيل فقره بنفسه ويضرع خده فلا
يسد مفاقره كثرة ما جمع وعدد وعظيم ما اثل وثمر فكانه يرى
الفقر بين عينيه فهو ابدا خايف من الوقوع فيه والامتناء بالمه فلا
يزال اكلا لا يشبع وشاربا لا ينقع فله حرص الفقراء وله مال الاغنياء
وقال عليه السلم جعل فقره بين عينيه مبالغة في وصفه بتصور الفقر
فكانه نصب منه وعين غايته عينه • كما يقول القائل لغيره اذا اراد
هذا المعنى حاجتك بين عيني اي هي مقصودة لي وغير غايبة عن قلبي
ومن ذلك قوله عليه السلم في صفة شاة ذكرها • فنجت على قالب
لون واحد وهذه استعارة والمراد انها جاءت متساوية

فكانهما افرغتا في قالب واحد • ومنه من احسن العبارات عن معنى
وذلك كما يقول القايل منا اذا اراد ان يصف قوما متشابهين في الخلق
والمناظر او في الطبايع والغرايز كانما طبعوا على سكة واحدة او خلقوا
من طينة واحدة **ومن ذلك قوله عليه السلم** خير الخيل الادهم
الاقرح المحجل ثلث طلق اليد اليمنى • ومنه من محاسن الاستعارات
لانه عليه السلام شبه الثلث من قوايمه لالتفاف التحجيل عليها بالثلث المعقولة
من قوايم البعير او المشكولة من قوايم الفرس وشبه اليمنى منها لخلوها من
التحجيل بالمطلقة من العقال او العاطلة من الشكال ويقال علط
اذا لم يكن موسوما ويقال ناقة طلق اذا لم تكن معقولة وناقة علط
اذا لم تكن موسومة **ومن ذلك قوله عليه السلم** لسراقة بن مالك المدلجي
لما خرج صلى الله عليه وعلى اله من مكة مهاجرا الى المدينة وقد لحق به وهو
بعد على شرك قف هاهنا فعم علينا حتى تهور النجوم • ومنه استعار
فكانه عليه السلم شبه السماء وما فيها من مواقع الكواكب ومراقي الثواقب
بالابنية الموطودة والدعايم المرفوعة وجعل تزحزحها عن مطالعها
وانصبابها بعد ترفعها كالبناء المتهور والسقف المنقوض **ومن
ذلك قوله عليه السلم** في حديث طويل وقد خط في الارض خطوطا
يمثل بها احوال ابن ادم • فقال صلى الله عليه وعلى اله ومن الخطط

الى جنبه الاعراض تنهشه من كل مكان فان اخطاه هذا اصابه هذا
وفي هذا الكلام مجاز وهو قوله عليه السلام وهذه الخطوط الى جنبه
الاعراض تنهشه ويروى تنهسه بالسين والمراد بذلك اعراض الدنيا
وهي ما يعرض فيها من المصايب ويطرق من النوايب وشبهها عليه السلم
بالحيات الناهشة والذيبان الناهسة لاخذها من لحم الانسان
ودمه وتاثيرها في نفسه وجسمه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لا يصلي الرجل وهو زناء • وهذا القول مجاز لان اصل الزناء
الضيق والاجتماع وقال الاخطل يذكر حفرة القبر واذا قذفت الى
زناء قعرها غبراء مظلمة من الاحفار ويقال قد زنا بوله يزنا
زنوا اذا احتقن وازنا الرجل بوله ازناء اذا احتقنه فسمي الحاقن
زناء لاجتماع البول فيه وتضيق وعايه عليه • وموضع المجاز من
هذا الكلام انه عليه السلام وصف الرجل بالضيق وانما الضيق في
وعاء البول الا ان ذلك الموضع لما كان شيا من جملته ونوطا
متعلقا به جاز ان يجري اسمه عليه • وقوله عليه السلام لا يصلي الرجل
وهو زناء فيه من الفايدة ما ليس في قوله وهو حاقن لان الحاقن
قد يحقن القليل كما يحقن الكثير • والزناء هو الضيق ولا يكاد
يضيق وعاء البول الا من الكثير دون القليل **ومن ذلك قوله عليه**

الحجاز قطيفة الايمان • وهذه استعارة والمراد بها ان الحجاز يحيط
بالايمان ويجمع شمله ويضم اهله كما تضم القطيفة وهي الكساء الغليظ
جملة بدن الانسان اذا اشتمل بها ودخل فيها • وانما قال عليه السلم
ذلك لثبات عرب الحجاز من قريش وغيرها على الاسلام بعد دخولهم
فيه فلم يرتد منهم احد كغيرهم ممن دخل حبل الدين من يديه ورجع
على عقبيه وقال اصحاب الاثار ما من قبيلة من قبايل العرب بعد وفاة
النبي عليه السلم الا وقد فشا فيها الارتداد عامة او خاصة الا
قريشا وثقيفا فانه لم يرتد منهم احد لهذا على ان هاتين القبيلتين
كانتا في الاسلام اشد نكاية لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله
واحضر عداوة ومن ذلك قوله عليه السلم ان هذه المسايل كدّ
يكدّ بها الرجل وجهه • وفي هذا الكلام استعارة على تاويل الكد
في العربية واحد التاويلين ان يكون الكد بمعنى الاتعاب والانضاء
كما يقول القايل قد كددت فرسي اذا اردت اتعابه واستنفدت طاقته
فعلى هذا التاويل يكون معنى كد الرجل وجهه بالمسايل انه يكثر بذله
له في السوال وطلب ما في ايدي الرجال قد اجراه مجرى المطية التي يجهدها
بكثرة الحل والترحال وقطع المسافات الطوال • والتاويل الآخر ان
يكون الكد ماخوذا من استقصاء نزح ماء الركية حتى تبلغ حمأتها في

تستنفد

تستنفد غرينها يقال كددت الركية واكتددتها اذا فعل ذلك بها قال
الشاعر • امص ثمادي والمياه كثيرة • اعالج منها حفرها واكتدادها
ويكون قول القايل على هذا التاويل كددت فرسي اي اعتصرت مادته
واستقصيت ما عنده • فيكون كد الوجه على هذا القول يراد به
اعتصار ماييه واستقطار حياييه ومن المقارب لهذا ان يقول القايل
اذا اراد هذا المعنى قد هرقت ماء وجهي بكثرة الطلب الى فلان في
الرغبة فيما عند فلان ومن ذلك قوله عليه السلم للرجل الذي
قال لبعض الصحابة ان فتح الله عليكم الطايف فسل النبي عليه السلم
ان يهب لك بادية بنت غيلان بن سلمة فانها اذا قامت تثنت واذا
تكلمت تغنت في كلام طويل لبعضه السلم عنه وكان هذا الرجل من
مخنثي المدينة فقال عليه السلام لقد غلغلت النظر يا عدو الله •
وفي هذا الكلام استعارة لان تغلغل الشيء هو ادخاله فيه حتى
يلتبس به ويصير من جملته وذلك لا يصح في نظر الانسان الا على طريق
الاتساع والمجاز فكانه عليه السلام اراد ان هذا الانسان بلغ بنظره
من محاسن هذه المراة الى حيث لا يبلغ ناظر ولا يصل واصل فكان كالشيء
المتغلغل الذي يدق مدخله ويلطف مسلكه ويبعد متوغله • وروى
لنا ابو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار النحوي الفارسي في كتابه الموسوم

بالايضاح لجاز وانشدنا الشيخان ابو الفتح وابو الحسن النحويان رحمهما الله
قول الشاعر • علين بكديون وابطن كرة • فهن اضواء صافيات
الغلائل • والكديون عكر الزيت تطلى به الدروع وتحمى بالنار لتذهب
اصداؤها وتصقل لوانها • وقيل ايضا ان الكديون اسم من اسماء الزفت
والكرة البعر الذي توقد به النار عليها • وقيل في الغلائل التي ذكرها
الشاعر في هذا البيت قولان • احدهما انها اسم لبطاين وشعارات
تلبس تحت الدروع والواحدة غلالة • وانما سميت غلائل لانغلالها
بين الدروع التي تجمع من رؤوس الحلق والواحدة غليلة • وانما
سميت بذلك لانها تغل في الدروع اي تستقصى ادخالها فيها
فتصير كالاجزاء منها **ومن ذلك قوله عليه السلام** في كلام طويل له
ليس من ملك الا وله حمى الا وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى
كان قمنا ان يرتع فيه • وهذا الكلام مجاز لانه عليه السلام شبه ما
حظره الله سبحانه من محارمه بالحمى الذي يحميه ذو السلطان والملك من مواقع
السحاب ومنابت الاعشاب فلا يرعى فيه الا باذنه ولا ينزل به الا باجازته
وما كان يفعل ذلك من العرب الا الاعز فالاعز والاجل فالاجل
حتى ضربت العرب المثل بحمى كليب بن ربيعة وهو كليب وائل في انه
حرام ممنوع لا يرام فقالوا اعز من حمى كليب فجعل عليه السلام ما حظره الله

سبحانه على العباد من المحارم كالحمى الذي يجب عليهم الا يطؤوه ولا
يردوا بحوائمه ومن خالف اليه منهم ارصد له العقاب واعتطى له النكال
فامره سبحانه من الاشياء حمى لا يرعى وما احل منها مرعى لا يحمى
وقوله عليه السلام فمن رتع حول الحمى كان قمنا ان يرتع فيه يريد به التحذير
من الالمام بشيء من صغاير الذنوب لئلا يكون ذلك مجريا على الوقوع
في كبارها والتهور في معاظمها وهذه من احسن العبارات عن هذا
المعنى • وهذا الغرض نحا عمر بن عبد العزيز بقوله دع بينك وبين
الحرام جنة من الحلال فانك ان استوفيت الحلال كله تاقت نفسك
الى الحرام **ومن ذلك قوله عليه السلام** لزيد بن ارقم وقد كان
رفع اليه صلى الله عليه وعلى آله في غزوة المريسيع كلاما سمعه من
عبد الله بن ابي بن سلول فيه طعن على المهاجرين وغمص لرسول الله
صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وهو مشهور في كتب المغازي وكان من
الانصار زيد في حداثة وكان اذ ذاك صغير السن حتى نزل القرآن
بتصديقه في السورة التي يذكر فيها المنافقون • وذلك قوله سبحانه
يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون فدعى النبي عليه السلام
زيد بن ارقم وهو سائر على ناقته فاخذ باذنه وفركها ثم قال وفت اذنك

يا غلام وصدق الله حديثك • فقوله عليه السلام وعت اذنك مجاز كانه
جعل الاذن في حفظها ما سمعت كالضامنة لصديق ما حكت لانه صدقه
في نفسه قبل نزول ما نزل من القرآن في تحقيق ذلك الخبر فصارت الاذن
كانها وافية بضمانها وخارجة من الظنة فيما ادته الى سامعها وهذا من
غرائب المجازات **ومن ذلك قوله عليه السلام** حسان حاجز بين
المؤمنين والمنافقين لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن • وفي هذا الكلام
مجاز لانه عليه السلام جعل حسان كالسياج المضروب بين حيزي الايمان
والنفاق فمن كان في حيز الايمان احبه ومن كان في حيز النفاق ابغضه
وذلك لما كان يظهر عنه من المنافحة عن رسول الله عليه السلام والا
بشبا لسانه ونوافذ اقواله فكان يسر المؤمنين ويغيظهم ويسوء المنافقين
ويرغمهم • وهذا الكلام عندنا في حسان متعلق بوقت مخصوص وهو زمن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاما حين ظاهر امير المؤمنين عليه السلام بعنادا
ورماه بمعاريض القول في اشعاره فقد خرج من ان يكون حاجزا بين الايمان
والنفاق وتحيز الى جانب اهل الضلال **ومن ذلك قوله عليه السلام**
في كلام تكلم به تحضيضا من تولى قتل من سهم تحت اديم السماء الاجل
في الحرام شعر الحرم من عذاب الله • وفي هذا الكلام مجازان احدهما قوله
عليه السلام تحت اديم السماء فجعل للسماء اديما يريد ما ظهر منها للابصار

تشبيها باديم الحيوان وهي الجلدة التي تلبس الاجساد وتغطي اللحوم والعظام
ويقال ايضا اديم الارض ويراد به ما ظهر من صفحاتها التي تباشرها
النواظر وتطاها الاقدام والحوافر • والمجاز الاخر قوله عليه السلام
شعر الحرم من عذاب الله والحرم على الحقيقة غير مانع من العذاب الذي
يريد الله سبحانه ان ينزله بالمستحقين • وانما المراد ان الله تعالى جعل
الحرم معاذة للعباد تعظيما للقدر وتحقيقا للامن فمن استجار به من
عذابه عند مواقعة معصيته جاز ان يؤخر عنه العذاب ما كان متعلقا
به • وفي اقامة الحدود على اللاجي الى الحرم خلاف بين العلماء ليس هذا
موضع ذكره ولابد ان يوفيه تعالى ما يستحقه من العقاب في دار الجزاء
الا ان يكون منه توبة تسقط عنه عقابه او طاعة عظيمة تصغر معها معصيته
فالحرم لا يمنع من العذاب وانما يمنع الله سبحانه من فعله باللاجي اليه
الغايات للعلل التي ذكرناها فلما كان الله تعالى انما يفعل ذلك
لاجل الحرم جاز ان ينسبه اليه على طريق المجاز وعادة الاتساع **ومن ذلك قوله عليه السلام**
اوثق العرى كلمة التقوى • وهذه استعارة
لانه عليه السلام جعل التقوى كالعروة التي يتعلق بها فتنهض من
العاثر وتنجي من المزال والمزالق لان المتقي لله سبحانه يامن من تهاوي
ويجوز من مطاوح فيكون كالمستمسك بعروة الحبل المتين والمستند الى السند

الامين ومن ذلك قوله عليه السلام وهو يخبر [illegible]
على جناح سفر • وهذه استعارة والمعنى موقوفها ومعرضة لعرضها
لانه عليه السلام شبه السفر بالطائر الذي يدوم بالمطار ويجعل الأخذ
اهبة المسافر كالكائن على جناح ذلك الطائر ينتظر موقعه ويرتقب تحليقه
ومما يؤكد ذلك قولهم للانسان الذي يكثر اسفاره ويطيل رحلته
وترحاله ما هو الا طائر وطيار عبارة عن التردد في السفر وكثرة
الارتحال عن الوطن ومن ذلك قوله عليه السلام في اخر خطبة خطبها
ببطن عرنة وذلك في حجة الوداع الا ان كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي
موضوع • وهذا القول مجاز والمراد به ازالة امر الجاهلية وحط
اعلامها ونقض احكامها كما يبتذل الشيء الموطوء الذي تدوسه الاخامص
الساعية والاقدام الواطئة فلا يبقى منه مرفوع الا وضع ولا قائم الا
صرع ومن ذلك قوله عليه السلام في وصية وصى بها اسامة بن
زيد لما اراد بعثه الى مؤتة ليثار بابيه زيد في كلام طويل • واعلموا ان الجنة
تحت البارقة • وهذا القول مجاز والبارقة هاهنا السيوف ولكن
الجنة تحتها على الحقيقة • وانما المراد ان الصبر تحتها في الجهاد للكافرين
ودفاع اعداء الدين يفضي بالصابر الى دخول الجنة ونزول دار الامنة
فلما كان ذلك سبب دخولها والوصول الى نعيمها جاز ان يجعل تحتها

ونظاير ذلك كثيرة وقد اشرنا في كتابنا هذا الى بعضها ومن ذلك
قوله عليه السلام في الكتاب المكتتب بينه وبين قريش في صلح الحديبية
ان لا اسلال ولا اغلال وان بيننا عيبة مكفوفة • وهذه استعارة
والمراد بالعيبة المكفوفة السلم التي تضم النشر وتجمع الامر كانه عليه
السلام شبه حال السلم من انها تحجز بين الفريقين عن شن الغارات
وتكف ايديهم عن المجاذبات بالعيبة المشرجة التي لا ينتشر ما في طيها
ولا ينتهب ما فيها • وقد يجوز ان يكون معنى ذلك على قول من قال
ان الاسلال السرقة والاغلال الخيانة انه عليه السلام شبه الصلح
الواقع بينهم في ان اموالهم تكون بمحرز من سرق وخزائنهم محفوظة بالعيبة
التي قد استوثق من اشراجها فلا يصل اليها خائن ولا يقدر عليها
سارق والمعنيان متقاربان • ويقال رجل مسل مغل اي صاحب
سلة وهي السرقة ومغلة وهي الخيانة • وقوله تعالى وما كان لنبي
ان يغل قرأنا على شيوخنا القراء لابي عمرو وابن كثير وعاصم يغل بفتح
الياء وضم الغين اي ما كان له ان يخون • وقرأنا لبقية القراء السبعة
يغل بضم الياء وفتح الغين اي ما كان له ان يخان ويجوز ان يراد بذلك
ايضا ما كان له ان يخون اي ينسب الى الخيانة • وقد قال بعضهم المراد
بالاسلال هاهنا سل السيوف وبالاغلال لبس الدروع وهذا القول

غير معروف. والقول الاول هو القول السديد والصحيح المعتمد ومن
ذلك قوله عليه السلام الرحم شجنة من الله وفيها لغتان
شِجنة وشُجنة. وهذا القول مجاز لان اصل الشجنة اسم الغصن من
شُعَب الغصن المتصل بالشجرة ويقال شجر متشجّن اذا التفّ بعضه
ببعض. ومنه قولهم الحديث شجون وذو شجون اي ذو شعب يتشعب
فيذكر بعضها بعضا ويجر اولها اخرها وقيل ايضا ان الشجون هي الشعاب
المتصلة باودية فيجوز ان يكون الحديث شبه بها لكثرة طرقه ومداخله
وتعلق اواخره باوائله والمراد بالشجنة هاهنا تشبيه الرحم بالشعبة
المتصلة بالشجرة التي بعض منها ونسبته اليها فكذلك الرحم يجب صلتها
على من وجب عليه حقها وضرب اليه عرقها ويجوز ايضا ان يكون انما
شبه بشجون الوادي لتعلقها به واضافتها اليه كما قلنا في شجون الحديث
وقوله من الله المراد انه سبحانه جعل حقها واجبا وذمامها لازما
وقد يجوز ان يكون المراد بذلك ان الله سبحانه يثيب واصلها ويعاقب
قاطعها فكانه متعلقة به تعالى على طريق التمثيل لا على طريق التحقيق
لتعظيمه تعالى حقها بترهيب قاطعها وترغيب واصلها ومن ذلك
قوله عليه السلام الولد للفراش وللعاهر الحجر. وهذا مجاز على احد
التاويلين وهو ان يكون المراد ان العاهر لا حق له في الولد فعبر عن

ذلك بالحجر اي له من ذلك ما لا حظ فيه ولا انتفاع به كما لا ينتفع بالحجر
في اكثر الاحوال كانه يريد ان له من دعواه الخيبة والحرمان كما
يقول القائل لغيره اذا اراد هذا المعنى ليس لك من هذا الامر الا الحجر
والجندل والتراب والكثكث اي ليس لك منه الا ما لا محصول له ولا منفعة
فيه. ومما يؤكد هذا التاويل ما رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن النبي عليه السلام قال الولد للفراش وللعاهر الاثلب والاثلب التراب
المختلط بالحجارة وهذا الخبر يحقق ان المراد بالحجر هاهنا ما لا ينتفع به
كما قلنا اولا. ومما يصدق ذلك قول الشاعر. كلانا يا معاذ يحب ليلى
بفي وفيك من ليلى التراب. شركتك في هوى من كان حظي وحظك
من تذكرها العذاب. اراد ليس لنا منها الا ما لا نفع به ولا حظ فيه
كالتراب الذي هذه صفته. واما التاويل الاخر الذي يخرج الكلام
عن حيز المجاز الى حيز الحقيقة فهو ان يكون المراد انه ليس للعاهر الا اقامة
الحد عليه وهو الرجم بالاحجار فيكون الحجر هاهنا اسما للجنس لا للمعهود وهذا
اذا كان العاهر محصنا فان كان غير محصن فالمراد بالحجر هاهنا على
قول بعضهم الاعناف به والغلظة عليه بتوفية الحد الذي يستحقه من
الجلد. وفي هذا القول تعسف واستكراه وان كان داخلا في باب
المجاز لان الغلظة على من يقام الحد عليه اذا كان الحد جلدا لا رجما لا يعبر

عنها بالمجيء لان ذلك بعد عن الفصاحة ودخول في باب الفهاهة والاولى
ان الاعتماد على التأويل الاول لانه اشبه بطرائقهم والاليق بمقاصدهم
ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر
وكآبة المنقلب والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال وفي
هذا الكلام مجازان احدهما قوله عليه السلام من وعثاء السفر وهي
فعلاء من الوعث وهو ضد الجدد والسير فيه يشق على القدم والمنسم فجعل
عليه السلام طول السفر وشقته وتكاليفه ومشقته بمنزلة الوعثاء التي
قاطعها لغب والساري فيها نصب • والمجاز الاخر قوله عليه السلام والحور
بعد الكور • اي انتشار الامور بعد انضمامها وانفراجها بعد التيامها • و
ذلك مأخوذ من حور العمامة بعد كورها وهو نقضها بعد ليها ونشرها بعد
طيها • وقد قيل ان معناه القلة بعد الكثرة والنقصان بعد الزيادة وكأنه
تعوذ من الانتقال عن حال حسنة الى حال سيئة • وعلى ذلك قول الشاعر •
واستعجلوا عن خفيف المضغ فازدردوا والذم يبقى وزاد القوم في حور
اي نقصان والمعنيان متقاربان • وقد روي هذا الكلام على وجه اخر وهو
من الحور بعد الكون بالنون من قولهم حار اذا رجع يقولون كان على حالة
جميلة فحار عنها اي رجع عما كان عليه منها والرواية الاولى اعرف عند اهل
اللسان واشبه باوجه الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام الشارب في

آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم برفع النار والاكثر
من الروايات على نصبها • وهذا القول مجاز لان نار جهنم على الحقيقة لا تجرجر
في جوفه والجرجرة صوت البعير عند الضجر والدأب قال امرؤ القيس يصف
طريقا • على لاحب لا يهتدى بمناره • اذا سافه العود الدياني جرجرا • وكأنه
عليه السلام جعل صوت جرع الانسان الماء في هذه الاواني المخصوصة لوقوع
النهي عن الشرب فيها واستحقاق العقاب على استعمالها كجرجرة نار جهنم في
بطنه على طريق المجاز اذ كان ذلك مفضيا الى الحلول دارها واصطلاء
نارها نعوذ بالله منها ولفظ الخبر يجرجر بالياء والوجه ان يكون تجرجر بالتاء
على قول من رواه برفع النار ولكنه لما دخل بين فعل المؤنث وفاعله الذي
هو النار لفظ اخر حسن تذكير الفعل للبعد بينهما • كما قال الشاعر •
لقد ولد الاخيطل ام سوء • وقد روي في خبر اخر كأنما يجرجر في بطنه
نارا فالانسان هاهنا فاعل والنار مفعوله • وعلى هذه الرواية فالمراد
كأنما يجر في بطنه نارا فقال يجرجر طلبا للتضعيف اللفظ الدال على تكثير
الفعل كما جاء في التنزيل • فكبكبوا فيها هم والغاوون • والمراد فكبوا
فيجوز على هذا ان يقال جر وجرجر كما يقال كب وكبكب وان كان الوجه
ان يقال جرع وقد جاء في كلام العرب جرجر فلان الماء اذا جرعه جرعا
متواترا له صوت كصوت جرجرة البعير فيكون المراد على هذا القول كأنما

يتجرجر في بطنه نار جهنم وهذا اصح التاويلين • فاما انية الذهب والفضة
فلا يجوز عندنا الاكل فيها ولا الشرب فيهما ولا يجوز ايضا استعمالها في
شي مما يؤدي الى مصالح البدن نحو الادهان واتخاذ الميل للاكتحال
والجمر للتبخر وكنت سالت شيخنا ابا بكر محمد بن موسى الخوارزمي رحمه الله
عند انتهائي في القراءة عليه الى هذه المسالة من كتاب الطهارة عن
المدخنة اذ لا خلاف في المجمرة فقال القياس انها غير مكروهة لانها تستعمل
على وجه التبخر المجرد • فهي غير مقصودة بالاستعمال لان المجمرة لو جردت
من غيرها في البخور لقامت بنفسها ولم تحتج الى المدخنة مضافة اليها
فاشبهت الشرب في الاناء المفضض اذا لم يضع فاه على موضع الفضة
في هذه المسالة خلاف الشافعي لانه يكره الشرب في الاناء المفضض وقد
ذاد الاجتهاد الى كراهة الشرب في اواني الذهب والفضة دون غيره
من الاكل والاستعمال في مصالح الجسم قياسا على المجمرة في النقل بظاهر الخبر
الوارد في كراهة الشرب خاصة • وليس هذا موضع استقصاء الكلام في هذه
المسالة الا ان المعتمد عليه في كراهة استعمال هذه الاواني الخبر الذي
قدمنا ذكره لما فيه من تغليظ الوعيد • وقد روي عنه عليه السلام
انه قال من شرب فيها في الدنيا لم يشرب بها في الاخرة فنبه بما ذكرنا
الخبرين وما يجري مجراهما على ان كراهة الشرب فيها مثل الاكل والادهان

والاكتحال قياسا على الشرب يعلم ان جميع ما يؤدي الى منافع الجسم ومن
ذلك قوله عليه السلام وقد سئل عن ليلة القدر هي ليلة صحيانة
كان قمرها يفضحها • وهذه استعارة لان حقيقة الفضح كشف القبيح وهو
ان يكشف على الانسان ريبة او تجنى عليه سوءة ولكن القمر لما كان كاشفا
للسدفة وفاضحا للظلمة اجراه عليه السلام مجرى الناشر للسوءة المخفاة في
الكاشف للرسل المغطاة وهذه من محاسن الاستعارات • وقال الشاعر
في فضح الصبح للظلام • يا رب كل غابق ومصطبح • ورب كل شيظمي
منسرح • ارسل على جوفاء في الصبح الفضح • جونا مثل قضيب المجتدح
متى يصب من كمها عرقا يرخ • قوله جونا نضعه وجارد يريد حية
طال بقاؤه حتى جاد اي رجع من غلظ عظمه للجلد في خلق وجسم فصار
كقضيب المجتدح وهو المجدح الذي يحرك به الشراب والسويق وما يجري
مجراهما • ومن كلامهم رماه الله بافعى جاوية يريدون هذا المعنى • وقوله
يرخ اي يميت ومثل ذلك قول العجاج • اراح بعد الغم والتغمغم • اي اماته
بعد الكرب والخناق • وقيل قد يجوز ان يكون قوله يرخ عائدا على
العرق لا على الحية كانه قال متى يصب منها عرقا يحدث فيه جرحا اذا
فتح كانت عبرا بجراحته • والقول الاول اسد وعليه المعتمد ومن
ذلك قوله عليه السلام للضحاك بن سفيان الكلابي وقد بعثه مصدقا خذ

من حواشي اموالهم • وهذه استعارة على الاصل وضعها في كلام العرب لانهم
يسمون صغار الابل حشوا وحاشية كانهم يشبهونها بحشو الشيء الذي
يأتي ذلك فيه كالمرفقة والحشية لانها غير معتد بها كما ان الحشو غير
معتد به وانما الاعتداد بما هو في ضمنه • ومن هذا الموضع سموا الرذال
والطغام من الناس حشوا • وقد يجوز ان يكونوا انما سموها بذلك تشبيها
بحشوة الانسان التي هي حوايا جوفه وامعاء بطنه يقولون طعنه فاخرج
حشوته وضربه فخرجت حشوته وانما قيل لها حشوة حطا لها عن منزلة
ما هو اعلى قدرا منها من كرايم اعضاء الانسان التي يشتمل عليها جوفه
كالقلب والنياط والكبد والفؤاد • وقد يجوز ان يكونوا انما سموها
بذلك تشبيها لها بحواشي الثوب في انها كالتبع له وغير قائمة بذاتها
دونه وكذلك صغار الابل تابعة لكبارها وغير قائمة بانفسها
وعلى مثل هذا المعنى تسميتهم ردي المال ورذاله من الابل وما في
معناها شوى تشبيها لها بشوى الانسان والفرس وغيرهما من الحيوان
ذي الاربع وهي الاطراف دون كرايم الاعضاء وشرايف الاحشاء
قال الشاعر • اكلنا الشوى حتى اذا لم نجد شوى اشرنا الى خيراتها
بالاصابع اي اكلنا ارذال المال فلما افقدناها عطفنا على خيارها
واشرنا الى شيارها • فكانه عليه السلام نهى ان ياخذ المصدق من

كرائم

كرايم الابل وعقايلها وامر بالعدول الى حشوها واراذلها رفقا باصحابها
وتحننا على اربابها **ومن ذلك قوله عليه السلام** بين يدي الساعة
تنطق الرويبضة • وهذه استعارة لانه عليه السلام اراد امام الساعة
فقال بين يديها لقربها هذه الحال من قيام الساعة لانه لو قال قبل الساعة
لما افاد ذلك من القرب منها ما افاد قوله بين يديها لانك اذا اردت التعبير
عن من استرشدك مكانا يطلبه او انسانا يتبعه قلت له هو بين يديك اي
قريب منك ولو قلت هو امامك لاحتمل البعد والقرب كما ان قبل يحتمل
البعد والقرب هذا على الاغلب والاكثر وقد يجوز ان يكون قولك
امامك وبين يديك عبارة عن مراد واحد وقالوا في الرويبضة هو
ارذل السوقة التافه وقالوا هو الفويسق الخامل **ومن ذلك قوله
عليه السلام** في كلام وصف به عدة من قبايل العرب • وغطفان اكمتان
تنفي الناس عنهما • وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام شبه غطفان
لاشتداد شوكتها وانقاد جمرتها بالاكمة الشاقة التي تزل الاقدام
عنها وتنقطع اطماع الراقين دونها فجعل امتناع الناس من التعرض لها
بمنزلة نفيهما لهم عن التطرق اليهما **ومن ذلك قوله عليه السلام** وكان
ذكر امرأ القيس بن حجر يجيء يوم القيمة معه لواء الشعراء الى النار وهذا القول
مجاز وذلك انه عليه السلام لم يرد ان امرأ القيس يحمل لواء الشعراء على

الحقيقة

وانما اراد انهم يجيئون يوم القيمة على مقاعدهم ويدخلون النار قبلهم كما كانوا في
الدنيا متقدّمًا لهم ومتقدّمًا عليهم وانما عبّر عليه السلام عن هذا المعنى على
اللواء لان حامل اللواء في الجحافل المجرّرة يكون متقدمًا متبوعًا ونابهًا
مشهورًا يطاء الناس على قدمه ويلاحقون على اثره تقدمه **ومن ذلك**
قوله عليه السلم ما من جرعة يتجرعها الانسان اعظم اجرًا عند الله
من جرعة غيظ في الله • وهذا القول مجاز والمراد بجرعة الغيظ ههنا
الصبر عند الاهتياج والكظم عند الارتياج وترك اتباع نوازع النفس الى
ما تدعوا اليه في تلك الحال من شفاء غيظ او تنفيس كرب او اطلاق
عقال قول او فعل مراقبة لله سبحانه وتنجز الثوابه واحتجازا عن
عقابه وشبّه عليه السلام تلك الحال بالجرعة لان الانسان كانه يتكظم
لها والصبر عليها قد ذاق بها مرارة واساغ منها حرارة وعلى ذلك
قول الشاعر • شربنا الغيظ حتى لو سقينا دماء بني امية ما روينا •
وقد روي هذا الخبر على خلاف هذا اللفظ وهو قوله عليه السلام
ما تجرّع عبد جرعة احبّ الى الله من جرعة مصيبة يردّها بحسن عزاء
او جرعة غيظ يردّها بحلم **ومن ذلك قوله عليه السلم** في خبر طويل
روي عن انس بن مالك سمعه منه صلى الله عليه واله وسلم في ذكر
منافع كثيرة من بقول الارض ومضارها فقال عليه السلام عند ذكر

الحوصب نو الذي نفس محمد بيده ما من عبد يأتي في جوفه شيء من هذه
البقلة الا بات الجذام يرفرف على راسه حتى يصبح او يمسي واما ان يعطب
وهذا القول مجاز لان الداء المخصوص الذي هو الجذام لا يصح ان يوصف
بالرفرفة على الحقيقة لانه عرض من الاعراض وانما اراد عليه السلام
ان البايت على اكل هذه البقلة يكون على شرف من الوقوع في الجذام لشدة
اختصاصها بتوليد هذه العلة فاما ان يدفعها الله تعالى عنه فتندفع او
يوقعه فيها فيقع وانما قال عليه السلام يرفرف على راسه عبارة عن دنو
هذه العلة منه فتكون بمنزلة الطائر الذي يرفرف على الشيء اذا هم
بالنزول اليه والوقوع عليه **ومن ذلك قوله عليه السلام** وهل
يكب الناس على مناخرهم الا حصائد السنتهم • وفي رواية اخرى على مناخرهم
في النار • وهذه من الاستعارات العجيبة • والمراد بها ان اكثر معاثر
الاقدام ومصارع الانام انما تكون بجرائر السنتهم عليهم وعواقب اقوالها
السيئة التي تورطهم في الدار الدنيا وعلى المتعارف بين اهلها و
المتعالم من مجاري عاداتها فاما في الدار الاخرة فيؤخذون فيها
باثام الاقوال كما يؤخذون باثام الافعال فيكبون على مناخرهم في
اطوار العذاب ومن اطباق النيران نعوذ بالله منهما • والعبارة
عن هذه الحال بحصائد الالسنة من احسن العبارات لانه عليه السلام

شبيه بما تحدث به السنتهم من الاقوال المذمومة التي تسوء عواقبها
وتعود عليهم وبالها بالزراع الذي يسوء عاقبة زرعه والغارس الذي
يستمر مر غرسه وهذا كقول القائل لمن اخذ بجريرة وعوقب على
جريمة احصد ما زرعت واجن ما غرست **ومن ذلك قوله عليه السلم**
تدور رحا الاسلام لست كذا . وهذا مجاز والمراد ان الاسلام بعد
هذا العهد يضطرب في قرار ويقلق في نصاب الولاة الذين يكونون
واضح السبيل ويتقعص على ايديهم عمود الدين فشبه عليه السلام الاسلام
بالرحا الساكنة في مستقرها القائمة على قطبها فاذا كان الوقت الذي
وقع الايماء اليه دارت دوران هرج واضطراب لا دوران وقوع واستتباب
ودوران الرحا يكون عبارة عن حالين مختلفين احداهما مذمومة
والاخرى محمودة فالمذمومة هي الحال التي تنبي الخبر عليهما وعلى ذلك
كان قول سهل بن حنيف الانصاري رحمه الله يوم الجمل . وكان في
حيز امير المؤمنين عليه السلام وقد راى استحرار القتل واستحكام الامر
دارت رحا الاسلام ورب الكعبة . اراد ان الناكثين بخلافة امير المؤمنين
عليه السلام وهم اصحاب الجمل قد ازعجوا الاسلام عن مناطه وازعجوه
عن قراره . واما الحال المحمودة فهي ان يكون دوران الرحا عبارة عن تحرك
جد القوم ونفوذ امرهم وعلو نجمهم يقال دارت رحا بني فلان اذا اتفقت

لهم هذه الاحوال المحمودة . ومن هذا القبيل ايضا العبارة بدوران الرحا
عن هذا عسكر لعسكر وكر فيلق لفيلق . قال الشاعر . طحنت رحا بدر
لمهلك شيبة . ومثل بدر تستهل الادمع . فهذه حال كان دوران الرحا
فيها محمودا لمن دارت له ومذموما لمن دارت عليه وانما قالوا دارت رحا
الحرب لجولان الابطال فيها وحركات الخيل تحتها . وقد يروى هذا الخبر
على وجه اخر وهو قوله تزول رحا الاسلام والمراد بذلك انها تزول
رحا الاسلام والمراد بذلك انها تزول عن ثباتها وتميل عن موضع استقرارها
ومن ذلك قوله عليه السلم من بايع اماما فاعطاه صفقة
يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع . فقوله عليه السلام وثمرة قلبه
استعارة لان المراد بها خالصة قلبه ونخيلة صدره اي بايعه بطاعة
صحيحة ونية غير مدخولة فشبه عليه السلام ذلك بالثمرة لانها
لباب كل شيء وخالصته وصفوته وخلاصته . ومثل ذلك الحديث
الاخر عنه عليه السلام الولد مبخلة مجبنة محزنة ثمرات القلوب
وقرة الاعين اراد عليه السلام ان الاولاد خالصة القلوب والاكباد
كما ان الثمر خالصة النبات والاشجار . وعندي في ذلك وجه
اخر وهو ان الولد من ابيه بمنزلة الثمرة من الشجرة لانه منه تفرع
وبوساطته ظهر وطالع فلو قال الاولاد ثمرات الرجال لكان

الغرض صحيحا والمعنى مستقيما الا انه عليه السلام اضاف ثمر الى
القلوب ليعلم ان ثمار الفؤاد دون سائر الاعضاء غيرها لان القلب
سيد الاعضاء الرئيسه والاحشاء الشريفه فحسن حينئذ اضافة
الولد الى القلب خصوصا وان حسنت اضافته الى سائر اعضاء الاب
عموما لانه عصارة ثامره وخلاصة اعضائه ومن ذلك قوله عليه
وقد سأله رجل عما شيبه فقال هود واخواتها قصفن على الامم
وهذا القول مجاز لان اصل القصف كسر الشيء وحطمه ومن
ذلك ما حكي عن بعض يهود لما قدم النبي عليه السلام المدينة انه قال
تركت بني قيلة يتقاصفون بقباء على رجل يزعم انه نبي يقول
من شدة ازدحامهم عليه كان بعضهم يكسر بعضا ومنه سميت الريح
الشديدة قاصفا لانها تحطم الاشجار وتهدم الجدران فالمراد
بقوله عليه السلام قصفن على الامم ان هودا وما يجري مجراها من
السور اقتص فيها ذكر ما اهلك الامم الخالية ومصارع القرون
الماضية فنسب عليه السلام اهلاكهم الى هذه السور لما كانت المخبرة
عن ذكر هلاكهم والمنادية بانباء بوارهم على طريق المجاز والاتساع
وقوله عليه السلام قصفن على اي تلون على اخبار تلك المهالك
وانباء تلك المعاطب وهذا مجاز اخر لان السور متلوة وليست تالية

ولكنه لما اسند فعل الهلاك اليها واقامها مقام المهلك المعطب حسن
ان يقيمها مقام المتكلم المخبر ومن ذلك قوله عليه السلام الرحم
تتكلم بلسان طلق ذلق تقول صل من وصلني وقد روي ايضا
بلسان طلق ذلق بالضم في الحرفين جميعا وهذا الكلام مجاز و
المراد ان الله سبحانه قد اوجب على خلقه صلة الرحم وامرهم بالعطف
عليها والقيام بالحقوق الواجبة لها فصارت بظاهر هذه الحال
كانها ناطقة بالحض على صلتها والدعاء لمن وصلها ومن كلامهم اطت
بفلان الرحم والاطيط هاهنا الصوت في بعض الحنين كانها
دعت الى ان ترعى ذمتها وذكرت بما يجب عليه لها ويقولون ادت
اليه الرحم وناشدته الرحم وذلك في لسانهم اشهر من ان نحتاج الى اقامة
الشواهد وايضاح الدلايل ومن ذلك قوله عليه السلام لا تمشوا
على اعقابكم القهقرى وهذه استعارة والمراد لا ترجعوا عن دينكم
ولا تكفروا بعد ايمانكم فتكونوا كالراجع على عقبه عاكسا القدم و
ناكصا بعد تقدم فهذا وجه وقد يجوز ان يكون المراد لا تولوا عن
الدين راجعين وتلووا عنه منصرفين فعبر عن الرجوع بعد الذهاب
بالرجوع على الاعقاب لان من عادتهم ان يقولوا رجع فلان على عقبه
اذا ادبر عن وجهته او خالف قصد جهته والمعنيان متقاربان

ومن ذلك قوله عليه السلام من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم
ويفرق جماعتكم فاقتلوه. فقوله عليه السلام يريد أن يشق عصاكم
استعارة، والمراد بتفريق أمرهم وتشتيت جمعهم فشبه ذلك بشق العصا لأنه
عن شقها يكون تشظيها وتطاير الشظايا فيها. قال الراعي: فشققت
من بعد ذاك عصاهم شققا وغودر جمعهم متفللا. أي افترقت أمورهم
وتفرقت جموعهم. ومثل ذلك من كلامهم قولهم فض الله مروتهم وهي
الصخرة، وفض الله خدمتهم وهي الحلقة، فكأنهم شبهوا التئام جمعهم
بالصخرة الملمومة وشبهوا انتظام شملهم بالحلقة المطروقة. ويجوز
أن يكون لشق العصا وجه آخر وهو أن يراد به فل شوكتهم وإبطال قوتهم
لأن العصا لصاحبها قوة يدفع بها وبسطة يعول عليها، ألا ترى إلى
قوله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام هي عصاي أتوكأ عليها و
أهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. فجعل من مرافقها الاعتماد
عليها والهش على الغنم بها، ومن المآرب الأخرى التي فيها أن يكون آلة
للدفاع وعلاقة للقراعة وهي بعد عون للماشي وهداية للعاشي وسلاح
للراعي. ومن ذلك قوله عليه السلام من لبس في الدنيا ثوب شهرة
ألبسه الله ثوب مذلة. وهذه استعارة والمراد أن الله سبحانه
يشمله بالذل حتى يضفو عليه من جهاته ويلتف عليه من جنباته كما

يشمل الثوب بدن لابسه فيكون سابغا لخلله ومغطيا لأديمه وحتى
هذه المذلة أن يحقر سبحانه في القلوب ويصغر في العيون. وربما قيل
في هذا الخبر ألبسه الله ثوب مذلة في الآخرة، والمذلة في الآخرة هي حرمان
الثواب وإنزال العقاب. ومن ذلك قوله عليه السلام وقد جاءه
رجل بامرأته يشكو أخلاقها فأخذ عليه السلام بناصيتهما وقال
اللهم أرّ بينهما. وهذه استعارة والمراد اللهم قرب بينهما ولائم بين
خلقيهما، وذلك مأخوذ من الآري وهي الآخية التي تربط الدابة إليها فكأنه
عليه السلام دعا لهما أن يكونا كالدابتين على الآري في المقاربة والملاءمة
وعدم النفار والمباعدة. وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذا من قولهم أرّت
العقدة إذا شددتها وأحكمت عقدها. فكأنه عليه السلام دعا لهما أن
يشد عقد الود بينهما فتكون أخلاقهما مؤتلفة وأحوالهما متلائمة بعض
وقد يجوز أيضا أن يكون ذلك مأخوذا من قولهم أرى فلان بالمكان
إذا أقام به، فكأنه عليه السلام دعا لهما بأن يثبتا على الألفة ويقيما على
المودة. والتأري أيضا التوقف للشيء والانتظار له. قال الشاعر:
لا يتأرى لما في القدر يرقبه. ولا يعض على شرسوفه الصفر
ومن ذلك قوله عليه السلام للرماة في يوم أحد انضحوا عنا الخيل
بالنبل لا يأتونا من خلفنا. وهذه استعارة وأصل النضح صب الماء

وهو اقل من النضح بالحناء بمجزة • فكانه عليه السلام قال لهم صبوا عليهم
النبل صبا شآبيب المطر وقد يشبهون مواقع السهام بمواقع القطار
اذا ارادوا وصف الاصابة وسرعة الموالاة والمتابعة ومن ذلك
قوله عليه السلام زهجا شعراء الاسلام لمشركي قريش فو الذي
نفسي بيده لكانما تنضحونهم بالنبل • وقد يجوز ان يكون ذلك ماخوذا
من قولهم نضح الشجر وينضح نضحا اذا انفطر للتوريق فكانه عليه السلام
قال شققوا جلودهم بنبلكم كما تنشق الحبة الشجر عن طوالع اوراقه
وتوالج افنانه ومن ذلك قوله عليه السلام وقد كسا اسامة بن زيد
قبطية فكساها امراته فقال له عليه السلام اخاف ان تصف حجم عظامها
وهذه استعارة والمراد ان القبطية برقتها تلصق بالجسم فتبين حجم
الثديين والرادفين وما نشز من لحم العضدين والفخذين ويعرف
الناظر بها مقادير هذه الاعضاء حتى تكون كالظاهرة للنظر و
المكشوفة له فجعلها عليه السلام لهذه الحال كالواصفة لما خلفها و
المخبرة عما استتر بها وهذه من احسن العبارات عن هذا المعنى • و
هذا الغرض يرمي عمر بن الخطاب في قوله اكسوا ولا تلبسوا القباطي فانها
الا تشف تصف فكان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله اعلم بذلك منا
المعنى ومن بعده انما سلك فجره وطلع فجره ومن ذلك قوله عليه السلام

لا تعضية في ميراث الا فيما حمل القسم • وهذه استعارة والمراد بالتعضية
التفريق من قولهم عضى الجزور اذا جزأها وقسم اعضاءها وفرق
اشلاءها فشبه عليه السلام الميراث المقسم بالاعضاء المفرقة و
الاشلاء الموزعة ومعنى الا ما حمل القسم اي ما احتمل اذا قسم ايضا
وفرق اجزاء الا يكون ذلك مضرا به ولا مفسدا له • وما لا يحتمل القسم
كالحمام من العقار واللؤلؤة من العروض وما في معنى هذين الجنسين من
المال الموروث وعلى ذلك قول الشاعر • وليس دين الله بالمعضى
اي ليس الدين بالمفرق الموزع ولكنه المضموم المجتمع ومن ذلك
قوله عليه السلام في كلام ولا تسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح
بيضتهم • وهذه استعارة • والمراد بالبيضة هاهنا مجتمع امته
عليه السلام وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم • وشبه ذلك
بالبيضة لاجتماعها وتلاحك اجزائها واشتداد ظاهرها الى باطنها
واشتمال باطنها بظاهرها • وقد يجوز ان يكون المراد بالبيضة هاهنا
المغفر الذي هو من لامة الحرب • فكانه عليه السلام شبه مكان اجتماعهم
ومظنة التقائهم والتئامهم بالبيضة الحديد التي تحصن الدارع و
ترد القوارع • وكان شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله يقول قولهم
هما الجناء العقير يريدون بالبيضة التي هي المغفر وسموها [illegible]

وتغبيرًا لمعظمها كأنهم بهذا الكلام يصفون قومًا بالقوة والاجتماع
والكثرة والاحتشاد فشبهوا قوتهم بالحديد الذي هو الهمائم في الشدة
وشبهوا كثرتهم في أن بعضهم يستر بعضًا بالغفر الذي هو غطاء لما يخمر من
الهامة. وفي هذا الكلام مسائل من الاعراب وهي من مسائل الكتاب
وليس كتابنا هذا مقتضيًا لذكرها فتعاطاها ولا استيفاء وغرضنا فيه اتباع
نهج الاختصار والانحراف عن طريق الاطناب والاكثار ومن
ذلك قوله عليه السلام من كسب مالا من نهاوش انفقه في نهابر. وفي
هذا الكلام مجاز والمراد بالنهاوش على ما قاله اهل العربية اكتساب
الاموال من النواحي المكروهة والوجوه المذمومة ومن غير حلها ولا جهة
سبلها. وذلك مأخوذ من نهش الحية كأنما تنهش من ههنا وههنا
لا تتقي متهمًا ولا تجتنب ملتبسًا. وذلك ضد قوله عليه السلام على
احد النا ويلين اطلبوا المال من حسان الوجوه اي من وجوه المكاسب
الطيبة التي يحسن الطلب منها. ولا يذم التعرض لها. وقال ابو عبيدة
يروي نهاوش بالميم يريد اخذ المال من اللصوص نحو لصوص بني سعد. وقال
غيره ذلك مأخوذ من الهوش يقال تهاوش القوم اذا اختلطوا. و
منه قوله عليه السلام اياكم وهوشات الاسواق اي اختلاطها بها و
فسادها والميم زائدة في بناء الكلمة والمعنى راجع الى ما قاله ابو عبيدة

لان الاموال المأخوذة من اللصوص موصوفة بالاختلاط في انفسها
وللآخذ لها موصوف بالتخليط فيها. وقوله عليه السلام انفقه في نهابر
اي في الوجوه المحرمة التي يضيع الانفاق فيها ولا يعود عليه نفع منها
وذلك مأخوذ من نهابر الرمل واحدتها نهبورة وهي وهدات
تكون بين الرمال المستطيلة اذا وقع البعير فيها استرسخت قوائمه
ولم يكد يتخلص منها ويقال الحفر بين الاكام يصعب السلوك لها و
تكثر العاثر فيها. فكأنه عليه السلام شبه ما يكسب من الحرام وينفق
في الحرام بالشيء الواقع في عجمة الرمل لا يرجى وجوده ولا ينشد مفقوده
ومع ذلك فقد ارصد لمنفقه عظيم العقاب واليم العذاب ومن
ذلك قوله عليه السلام في كتاب كتبه لبعض الوفود لا يباح مالك ولا
يعضد مرعاه. وهذه استعارة والمراد انه لا يقطع ما فيه من شجر او
كلاء الا باذن صاحبه فشبه عليه السلام ما يقطع من الشجر بما
يعقر من الابل وذلك من التشبيهات الواقعة والتمثيلات النافعة
لان سقوط الشجر عن قطعها كسقوط البدنة عن عقرها ومن ذلك
قوله عليه السلام الولاء لحمة كلحمة النسب لا يباع ولا يوهب. وهذه
استعارة لانه عليه السلام جعل التحام الولي بولية التحام النسيب في
استحقاق الميراث وفي كثير من الاحكام وذلك مأخوذ من لحمة



الثوب لسداه لانهما يصيران كالشي الواحد بما فيهما من المداخلة
الشديدة والمشابكة الوكيدة ويقال لحمة البازي ولحمة النسب ولحمة
الثوب فاحد وهي المشابكة والمخالطة الا انهم فرقوا بين اللفظين
ليكون ذلك بينا **ومن ذلك قوله عليه السلام** المؤمن موق راقع
وهذه استعارة والمراد ان المؤمن اذا اساء احسن واذا اخطأ
ندم فكانه يوهي دينه بمعصيته ويرقعه بتوبته فشبهه عليه السلام
بمن يخرق ثوبا ثم يبادر رقع ما خرق ونصح ما فتق **ومن ذلك
قوله عليه الصلاة** من خلع يدا من طاعة لقي الله ولا حجة له
وهذه استعارة والمراد بخلع اليد هاهنا الخروج عن طاعة الامام
العادل فشبه عليه السلام من يخرج عن طاعة سلطانه بالاسير الذي
نزع يده من ربقته واخرج عنقه من جامعته وكانه عليه السلام اقام لوازم
الطاعة في الاعناق مقام الجوامع في الايدي والرقاب وجعل الخارج
منها كالمارق من ربقة الاسر والناصل من شباة الحبل **ومن
ذلك قوله عليه السلام** من كانت نيته الاخرة جعل الله سبحانه
غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة • وهذه استعارة والمراد
اتته الدنيا من حيث لا يطلبها ودرت عليه منافعها من حيث لا يحتسبها
فاقام عليه السلام مواتاة الدنيا له من غير طلب مقام اتيانها اياه راغمة

واتيانها اياه راغمة واصل الرغم ان يلصق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل الرمل وليس يكاد يكون ذلك الا عن غاية الخشوع ونهاية الخضوع
ومن ذلك قوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة المهديين من بعدي
وعضوا عليها بالنواجذ وهذا مجاز والمراد ان اقطعوا عليها وقفوا
عندها ولا تجاوزوها الى غيرها كما ان من شدد العض بنواجذه على الشي
الذي يأتي فيه القطع قطعه والنواجذ اقصى الاضراس وهي اقواها وامضاها
وقد يجوز ان يكون المراد الامر بلزوم سنته عليه السلام كما ان العاض
بنواجذه على الشي الذي لا يأتي فيه القطع يلزمه اشد اللزوم لقوة المواقع
واستحصاف اللوازم **ومن ذلك قوله عليه السلام** حبك الشي يعمي
ويصم وهذا مجاز لان الحب للشي على الحقيقة لا يعمي ولا يصم وانما
المراد ان الانسان اذا احب الشي اغضى عن مواضع عيوبه فكانه لا ينظرها
واعرض عن الملاوم والمعايب من اجله فكانه لا يسمعها فصار من هذا الوجه
كالاعمى لمغاضيه والاصم لمعايبه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
تنام عيناي ولا ينام قلبي • وهذا القول عند المحققين من العلماء مجاز
لانه عليه السلام لو كان قلبه لا ينام على الحقيقة كقلوب الناس لكان ذلك من
اكبر معجزاته واعظم اياته ولوجب ان تتظاهر الاخبار بنقله كما تظاهرت
بنقل غيره من اعلامه ودلالاته ومما يحقق قولنا ما رواه عبد الله بن عباس

رحمهما الله من انه صلى الله عليه وعلى آله نام ونفخ فصلى ولم يتوضأ
فقيل له عليه السلام في ذلك فقال ليس الوضوء على من نام قاعدا انما
الوضوء على من نام مضطجعا • وفي بعض الروايات او متوركا فانه اذا
نام كذلك استرخت مفاصله فبين عليه السلام انه لو نام مضطجعا لزمه
الوضوء لاسترخاء مفاصله فلو كان قلبه لا ينام لما وجب عليه الوضوء
اذا نام مضطجعا كما لا يجب عليه اذا نام قاعدا • وقد يجوز ان يكون المراد
بقوله عليه السلام تنام عيناي ولا ينام قلبي انه لا يعتقد في حال نومه من
الرؤيا الفاسدة والمنامات المتضادة ما يعتقده غيره من سائر
البشر فيكون في حكم المستيقظ وبمنزلة المتحفظ **ومن ذلك قوله عليه**
اياكم والمشارة فانها تحيي العرة وتميت الغرة • وهذه استعارة عجيبة
والمراد بها ان مشارة الناس تظهر المعايب وتخفي المناقب لان الملاحي
المشاغب لا يقدر لمخاصمه على مثلبة الا اعتمدها ولا يجد لمنقبة الا دفنها
فكانه يميت محاسنه ويحيي مساويه وجعل عليه السلام الغرة في مكان المنقبة
لجمال الانسان بنشرها وجعل العرة في مكان المثلبة لتهجين الانسان
بكشفها • وقد قيل المراد بالعرة ههنا القنية من المال ومنه قول
الشاعر • شهاد لانجية الكرام مرزأ • عن الثلاد مقيل مطعام • اراد
بعزيز الثلاد كرايم المال • والمراد بالعرة البلاء والهلاك مأخوذ من

العرة وهي قرح يصيب الابل وهذا القول ذكره ابو عبيدة والقول
الاول اشبه بنظام الكلام وابعد من الاعتساف والاستكراه • ومما
يؤكد ذلك ما روي عن جدنا الصادق جعفر بن محمد عليه وعلى آبائه
السلام انه قال اياكم والمراء فانها تكشف العورة وتورث المعرة
فهذا كالبيان لذلك الاجمال والاخراج من ذلك الاحتمال **ومن**
ذلك قوله عليه السلام دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء
والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر • وهذه استعارة
والمراد بالحالقة ههنا المبيرة المهلكة اي هذه الخلة المذمومة تهلك
الدين وتستاصله كما تستاصل الموسى الشعر والمقراض الوبر وعلى
هذا قول الشاعر • ارسل عليهم سنة قاشورة • تحتلق المال احتلاق
النورة • اي تبير الناس فتاتي على نفوسهم او تاتي على اموالهم من الابل
والشاء فتكون كانها قد اتت على نفوسهم باتيانها على ما به قوام نفوسهم
وانما جعل عليه السلام البغضاء حالقة الدين لانها سبب التقاطع
والتهالك والايقاع في المعاطب والمهالك والداعي الى سفك الدم
الحرام واحتمال اعباء الاثام **ومن ذلك قوله عليه السلام** قيدوا
العلم بالكتاب • وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل ضروب العلم بمنزلة
الابل الصعاب التي تشرد ان لم تعقل وتند ان لم تقيد • وجعل

الكتاب لها بمنزلة الابقاء للناقة والعقل للاقدام ومن هناك
ايضا سموا شكل الخط تقييدا فقالوا هذا خط مقيد بالشكل كأن الخط
على ايضاحه وابهامه ولولا الشكل لحصل جايزا وانكروا غير جايز وتباينه
ذلك الحال التي من اجلها سمي العقل عقلا وهو عندنا اسم لعلوم مخصوصة
يطول تعدادها الكتاب منها العلم بمجاري العادات ومنها العلم بان
وهو اقوى من العلوم اولاها بالتقديم لان الانسان اذا لم يعلم ذلك
لم يصح ان يعلم شيئا غيرها من المعلومات ومنها العلم بان التي لا تخلو
من وجود او عدم والموجود لا يخلو من حدوث او قدم • وان الجسم لا يجوز
ان يكون في مكانين في وقت واحد والجسمين لا يصح كونهما في مكان
واحد في حال واحدة • ومنها العلم بقبح كثير من القبائح كنحو الظلم
والكذب الذي لم يرثه نفع ولا دفع مضرة والامر بالقبيح و
كفران النعمة • ومنها العلم بحسن كثير من المحاسن كنحو ارشاد الضال و
بذل الافضال • ومنها العلم بوجوب كثير من الواجبات كنحو الانصاف
والعدل وشكر النعمة وترك الظلم • ومنها العلم بتعلق الفعل بالفاعل في
الاضطرار عند احوال مخصوصة الكثير من قصود المخاطبين • ومنها
معرفة ما يدرك الانسان من الصنايع المعاطاة والحرف المعاناة •
ومنها معرفة ما يسمع من مخبر الاخبار اذا كان المخبرون عددا مخصوصا

وكانوا عالمين بما اخبروا به اضطرارا وقد تركنا ذكر كثير من هذه الاقسام
عدولا الى جانب الاختصار • وذكر قاضي القضاة ابو الحسن عبد الجبار بن
احمد عند قراءتي عليه ما قرأته من كتابه الموسوم بالعمد في اصول الفقه • ان
هذه العلوم المخصوصة انما سميت عقلا لانها تعقل عن فعل القبيحات
وذلك لان العالم بها اذا دعته نفسه الى ارتكاب شيء من القبيحات
منعه علمه بقبحه من ارتكابه والاقدام على الطرق فشبهها بعقال الناقة
لها من الشرود والحائل بينها وبين النهوض ولهذا المعنى لم يوصف القديم
تعالى بانه عاقل لان هذه العلوم غير حاصلة له اذ هو عالم بالمعلومات
كلها لذاته • قال وقيل ايضا انما سميت هذه العلوم المخصوصة عقلا
لان ما سواها من العلوم يثبت بثباتها ويستقر باستقرارها تشبيها
بعقال الناقة الذي به تثبت في مكانها • ولمثل ذلك قيل معقل
الجبل للمكان الذي يلجأ اليه ويعتصم به • ولم سميت المرأة عقيلة وهي
التي يمنعها شرف بيتها وكرم اصلها وقوة حزمها من الاقدام على ما يشينها
والتعرض لما يعيبها • والكلام في تفصيل هذه العلوم وبيان لما لا
احتيج الى كل واحد منها يطول وليس هذا الكتاب من مظان ذكره و
مواضع شرحه **ومن ذلك قوله عليه السلام** ستحرصون بعدي على
الامارة فنعمت المرضع وبئست الفاطم • وهذه استعارة كانه عليه السلام

اقام الامارة وحلاوة اولها ومرارة اواخرها مقام المرضع التي تحسن
الرضاع وتسيء الفطام وهذا من اوقع تشبيه واحسن تمثيل لان مداخل
الامارة محبوبة ومخارجها مكروهة لما في المداخل اليها من قضاء الارب وعلو
الرتب ولما في المخارج عنها من طروق الذل وشمات العدو **ومن
ذلك قوله عليه السلام** لا تغالوا بمهور النساء فانما هي سقيا الله سبحانه
وهذه استعارة والمراد اعلامهم ان وفاق النساء المنكوحات وكونهن على
ارادات الازواج ليس هو بان يزاد في مهورهن ويغالى بصدقاتهن وانما
ذلك الى الله سبحانه في كل الاحوال من الاقسام والجدود ودواعي الارزاق
فقد تكون المراة منزورة الصداق وافرة الوفاق وقد تكون ناقصة
المقدار وان كانت زائدة الصداق فشبه ذلك عليه السلام بسقيا الغيث التي ربما يسقاها
واحد ويحرمها الاخر ويصاب بها بلد ويمنعها بلد وهذه من احسن العبارات
عن المعنى الذي اشرنا اليه ودللنا عليه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
في جملة كلام ضرب مثلا ان الله سبحانه جعل الاسلام دارا والجنة
مادبة والداعي اليها محمدا صلى الله عليه وعلى آله وهذا الكلام
مجاز لانه عليه السلام اقام الاسلام مقام الدار المتخذة والجنة مقام
المادبة المصطنعة والنبي عليه السلام مقام الدال عليهما والداعي اليها
وانما شبه عليه السلام الاسلام بالدار من حيث كان يجمع اهله كما

لمن فيه وشبه الجنة بالمادبة من حيث كانت مجتمع الشهوات ومنتجع اللذات
وشبه نفسه عليه السلام بالداعي اليهما من حيث كان المرشد الى الاسلام
الهادي للانام صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الاخيار **ومن ذلك
قوله عليه السلام** انا النذير والموت المغير وهذا من الاستعارات العجيبة
والمجازات الواضحة لان الاستعارة على ضربين ظاهرة تروق بحليتها
وغامضة تفتقر الى استنباط خبيئتها فكانه عليه السلام شبه الموت الذي
يطلع الثنايا ويطلب البرايا بالجيش المغير الذي يهجم هجوم السيل ويطرق
طروق الليل وشبه نفسه عليه السلام بالنذير المتقدم امام جيشه الناس
من مجيئه ليعدوا العتاد ويتزودوا الازواد وهذا القول منه عليه السلام
تصديق لقول الله سبحانه فيه ان انا الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وقد تكلمنا على هذه الاية في كتابنا الموسوم بمجازات القرآن ويقال
انه عليه السلام لما نزلت هذه الاية اوفى على ابي قبيس ونادى يا صباحاه
فلما اجتمع الناس اليه قال لهم يا معشر قريش لو كنت مخبركم بان جيشا طالع
عليكم من هذه الثنية اكنتم مصدقي قالوا اجل والله ما علمناك الا
صادقا مصدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فلما سمعوا
ذلك انفضوا اغرارا تكاسلا في الحوائج وابتغاء للضلال ولقد احسن صلى
الله عليه وعلى آله ضرب المثل لهم وسلك الطريق الاوضح في جانبهم وقد

الا من ظلمهم ولكن عشوا عن النور الابلج واعتسفوا الطريق الاعوج ومن
ذلك قوله عليه السلام في وصف الفرس الذي جاء سابقا انه بحر . وهذا مجاز
وربما طعن بعض الجهال بمدايح كلام العرب في هذا القول بان يقول كيف
شبه سرعة جري الفرس بالبحر والبحر راكد لا يجري وقائم لا يسري فجوابه
ان يقال انما شبهه عليه السلام اتساعه في الجري باتساع ماء البحر
الا تراهم يقولون انه لواسع الخطو ووساع الخطو يريدون بهذا المعنى
والبحر في كلام العرب بمعنى الواسع ومن هنا سموا البلدة المتسعة الاطراف
بحرة . وقد يجوز ان يكون المراد بتشبيهه بالبحر ان جريه غزير لا ينفد
كما ان ماء البحر كثير لا ينضب . ويقال للفرس الكثير الجري بحر وفيض
وسكب . وعلى هذا قول الشاعر . وفي البحور تعرف الجياد . وقيل اراد
الخيل السابقة التي سبقتها خيل ابن منها فقيدا ان السبق واقع
موقعه وان الطاعن فيه لم يفهم غرضه ومن ذلك قوله عليه السلام
الا اخبركم باحبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيامة احاسنكم
اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون الا اخبركم
بابغضكم الي وابعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون
فقوله عليه السلام الثرثارون المتفيهقون استعارة والمراد بها الذين يكثرون
الكلام ويتسعون فيه طلبا للتكلف وخروجا عن القصد وتباعدا عن

الى

الحق واصل الثرثار ماخوذ من العين الثرثارة وهي الواسعة الارجاء
الغزيرة الماء يقال عين ثرة وثرثارة وبذلك سمي الثرثار وهو النهر
المعروف بالشام . وقال الاخطل . لعمري لقد لاقت سليم وعامر
على جانب الثرثار راغية البكر . قال المبرد . وليست الثرة عند النحويين
البصريين من لفظ الثرثارة ولكنها في معناها . وقوله عليه السلام المتفيهقون
يريد بهم ما يريد بقوله الثرثارون ومتفيهق متفيعل من قولهم فهق الغدير
يفهق اذا كثر ماؤه وطفحت جماته ومن ذلك قوله عليه السلام
في وصيته لمعاذ بن جبل وامت امر الجاهلية الا ما حسنه الله . وهذه
استعارة والمراد بوصيته بان يخمل امر الجاهلية بنقض احكامها وخفض
اعلامها حتى يميت ذكرها ويعفو اثرها فتكون كالميت الذي نسي ذكره
وانقطع خبره ومن ذلك قوله عليه السلام الصوم جنة والصدقة
تطفي الخطيئة . وهاتان استعارتان احداهما قوله عليه السلام جنة الصوم
والمراد ان الصايم الذي يخلص في صومه ويستكمل اجر يومه يكون اخلاصه
في ذلك الصوم كانه قد لبس جنة من العقاب واخذ امانا من النار
وللصوم مزية على سائر العبادات في هذا المعنى وان كانت اذا اديت على
شروطها بهذه الصفة وذلك ان الصيام لا يظهر اثره بقول اللسان
ولا فعل الاركان وانما هو سر في القلب وامساك عن حركات المطعم

نحو يقع من الانسان بين الله وبين الناس من غير رياء ولا نفاق وسائر
العبادات وضروب القرب والطاعات قد يجوز ان تفعل على وجه الرياء
والسمعة دون حقائق الاخلاص والطاعة • وقال لي ابو عبد الله محمد
بن يحيى الجرجاني الفقيه عند اصحابنا ان الصلوة افضل من الصيام
لانها تتضمن معنى ما في الصيام من الامساك وفيها مع ذلك الخشوع و
تلاوة القران • وقال النبي عليه السلام لا يزال العبد في جهاد الشيطان
ما دام في صلوته فجعل الصلوة ايضا تتضمن معنى الجهاد • فاما ما ورد
في الخبر من انه عليه السلام قال حاكيا عن الله تعالى كل عمل ابن ادم له الا الصوم
فانه لي وانا اجزي به فليس ما فيه من تفضيل الصوم بدال على ان غيره من
العبادات ليس بافضل منه وانما وجه اختصاصه بالذكر من بين العبادات
على التعظيم له لاجل ما قدمنا ذكره من انه لا يفعل الا على جهة الخلاص
ولا يتاتى في حقيقته شيء من الرياء والنفاق • وقد جاء عنه عليه السلام
انه قال ليس في الصوم رياء وهذا بيان للمعنى الذي كلمنا عليه •
وحكي عن سفين بن عيينة في تفسير هذا الخبر انه قال الصوم هو الصبر
لان الانسان يصبر عن المطعم والمشرب والمنكح • وقد قال تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب • يقول فثواب الصوم ليس له حساب
يعلم من كثرته على قدر كلفته ومشقته • وقد جاء عنه عليه السلام انه قال

ليس

ليس في الصوم رياء وهذا بيان المعنى الذي كلمنا عليه • والاستعارة الاخرى
قوله عليه السلام والصدقة تطفي الخطيئة • وذلك انه عليه السلام جعل الخطيئة
بمنزلة النار من حيث كانت مفضية الى عذاب النار وجعل الصدقة مطفئة
لها اذا كثرت فاورثت في سقوط عقابها وهذا القول يصح على طريقة من يقول
بالموازنة فاذا كان عقاب الخطيئة مائة جزء وكان ثواب الصدقة خمسين جزءا
سقط من اجزاء العقاب بعدد اجزاء الثواب فكان الصدقة نقصانها من
قدر العقاب كذا طفات وقللته وكسرت سورته • وكان ابو هاشم يذهب الى
الاحباط والتكفير والموازنة وكان ابو علي يقول ان الزائد يحبط الناقص من
الثواب والعقاب لا على طريق الموازنة • ولا يجوز ان يتساوى ما يستحق على
الطاعة وما يستحق على المعصية لانهما لو تساويا لسقطا ولم يكن المكلف
مستحقا لحمد ولا ذم ولا مستوجبا لثواب ولا عقاب وقد انعقد الاجماع
من ذلك في الاخرة على ان كل من كلفه الله سبحانه في الدار الدنيا فهو
يوم المعاد في احدى الدارين مثابا او معاقبا ويبين ذلك قوله سبحانه
فريق في الجنة وفريق في السعير • والكلام على تفصيل هذه الجملة يخرجنا
عن غرض الكتاب ويدخلنا في باب الاطناب ومن ذلك قوله عليه السلام
لكعب بن عجرة في كلام طويل يا كعب بن عجرة الناس غاديان فغاد مبتاع
نفسه فمعتقها وغاد بايع نفسه فموبقها • وهذه استعارة والمراد

ان احدهما يعصم نفسه ويقيها من اتباع الشهوات وركوب الموبقات
وقام بوظايف الواجبات فامن حذر العقاب ونقاش الحساب فكانه
ابتاع نفسه بذلك فاعتقها واستخلصها واستنقذها، والآخر اتبع
نفسه هواها فاوردها ورداها بالهبوط في المهاوي والارتكاس في
المهاوي والنقاعس عن الواجبات والاسراع الى القبيحات فكانه باع نفسه
بذلك فاوبقها وعرضها للهلكة فاوردها وهذه من احسن العبارات عن
المطيع الناجي بطاعته والعاصي الهالك بمعصيته ومن ذلك قوله
عليه السلم ان من اشراط الساعة فشو البخل وقطيعة الارحام وان
يعطل السيف من الجهاد وان تختل الدنيا بالدين وهذه الكلمة الاخيرة
داخلة في باب المجاز والمراد بها النهي عن طلب منافع الدنيا وحطامها
واستدرار احلابها وموادها باظهار الورع وابطان الطمع فكان
الانسان بذلك يختل الدنيا ليرمي غرتها ويصيب عزتها كالقناص
الذي يختل الوحش بضروب الحيل حتى تعلق في حباله وتحتبس في اشراكه
وعلى ذلك قول الكميت بن زيد واني على حبيهم وتطلعي الى نصرهم امشي الضراء
واختل وقد يجوز ان يكون المراد وان تختل اهل الدنيا بالدين فحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه على مثال قوله سبحانه واسال القرية
وهذا النوع في الكلام لا يحصى كثرة ومن ذلك قوله عليه السلام

في كلام طويل ولا تكلم اليوم بكلام تعتذر منه غدا واخزن لسانك، و
هذه استعارة والمراد بخزن اللسان حفظ فلتاته وكف جماحه حتى لا
يسرع الى ما تسوء مغبته ولا تؤمن عاقبته فاقام عليه السلام ضبط
اللسان عن ذلك مقام الخزن له فاجراه مجرى المال الذي يحفظ فلا ينفق
في الوجوه الفاسدة والمخارج المضرة ولا يكون انفاقه الا في اجتلاب منفعة
او دفع مضرة ومن ذلك قوله عليه السلم من جملة كلام العلم خليل
المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه واللين اخوه والرفق
والده والصبر امير جنوده. وهذه الالفاظ كلها مستعارة ونحن
بتوفيق الله نتكلم عليها ونبين مواضع الاستعارة منها. فالمراد
بقوله عليه السلم العلم خليل المؤمن انه يانس به من الوحشة ويسكن اليه
في الوحدة كما يانس الخليل بخليله ويسكن الحميم الى حميمه. والمراد
بقوله عليه السلام والحلم وزيره انه يتقوى به على الامور ويوازره
على كظم الكروب. والمراد بقوله عليه السلام والعقل دليله انه بالعقل
يستدل في ظلم المشكلات ويتخلص من مضايق الغمرات فهو كالدليل الذي
يرشد الضال ويحجز عن الزلل. والمراد بقوله عليه السلام والعمل
قيمه ان العمل يثقف ميله ويقوم زلله ويسد خلله فهو كالقيم الذي
يتأتى لمصالح ما يقوم عليه ومراشد ما يوكل اليه. والمراد بقوله

عليه السلام واللين اخو ان اللين يفيد مواخاة الاخوان ومخالصتهم
ويحفظ عليه صفاءهم ومودتهم فجعله عليه السلام اخا من حيث
كان سببا لاجتلاب الاخوان اليه وحفظ المودات عليه • والمراد
بقوله عليه السلام والرفق والد كالمراد بقوله واللين اخو لان الرفيق
يقبل اليه بالقلوب ويطار عليه كوامن الضغائن ويصير كل احد
في الحنو عليه والميل اليه كالوالد الرؤوف والحدب العطوف • والمراد
بقوله عليه السلام والصبر امير جنوده ان الصبر ملاك الامر وعماد
ازمة وبه تبلغ الاراب وتدرك الحاجات فهو كامير جند الذي يقوى
به على اعدائه ويصل به الى اغراضه وطلباته • وقد يجوز ان يكون
المراد ان الصبر راس خلاله ورئيس خصاله فهو متقدم عليها • و
كالامير لسايرها كما ان الامير متقدم على رعيته وشاف على من
طبقته ومن ذلك قوله عليه السلم في جملة كلام والمهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه • فقوله عليه السلام شح مطاع
استعارة كانه اقام الشح مقام الامر بالامساك والتخوف من عواقب
الانفاق واقام البخيل مقام المطيع لامره والمنصرف على حكمه وقد قال
عليه السلام ذلك في خطبة له فقال فاياكم والبخل فانه اهلك من كان
قبلكم امرهم بالقطيعة فقطعوا وامرهم بالفجور ففجروا فقوله عليه السلم

كيف

كيف يكون البخل امرا مطاعا وقايدا متبوعا وهذه ايضا استعارة
اخرى لان البخل على الحقيقة لا يكون امرا ناهيا ولا قايلا مخاطبا
والمراد بقوله عليه السلام امرهم بالقطيعة فقطعوا ان البخلاء يقسون
بالهم على اهل الحاجة من اقربائهم واولي الخلة من ذوي ارحامهم فيكونون
بذلك قاطعين للرحم القريبة وعاقين للاعراق الوشيجة • والمراد
بقوله عليه السلام وامرهم بالفجور ففجروا ان البخل حسن لهم منع الاموال
من الانفاق في الحقوق واسلاكها سبل المعروف فاجرى عليهم لهذه
الحال اسم الفجور ومن ذلك قوله عليه السلم الكلمة الحكمة ضالة
الحكيم حيثما وجدها فهو احق بها • وهذه استعارة وذلك انه عليه السلم
جعل الكلمة الحكمة للحكيم بمنزلة الضالة التي هو ناشدها وساع
في طلبها لانها اشبه بحكمه واولى بالانضمام الى اخواتها في قلبه فحيث
ما سمعها من قايل غير حكيم او مرشد غير رشيد فهو احق بالحيازة لها
والغلبة عليها • ويشهد بذلك ما روي في الحديث الاخر ان الكلمة الحكيمة
تكون في قلب المنافق فلا تزال تتنزع حتى تلحق بصواحباتها في قلب المؤمن
فكانها جعلت في قلب المنافق بمنزلة الغريبة التي هي في غير وطنها
ومع غير اهلها وجعلت في قلوب المؤمن بمنزلة المستقر في الوطن
والساكن الى السكن وهذه ايضا استعارة اخرى ومن ذلك قوله عليه

في خطبته الا وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة وان الاخرة قد ارتحلت مقبلة
وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل الدنيا بمنزلة الهارب المولي والاخرة
بمنزلة الطالب المجلي وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات لان
ابناء الدنيا بمنزلة الهاربين من علايق الحمام وبوايق الايام والموت الذي
هو من اسباب الاخرة بمنزلة المغير على الارواح والهاجم على الاجساد
وهذه الصفة مستمرة للدنيا في شبابها قبل ان تهرم وفي ابتدائها قبل
ان تنصرم لان كون الموت طالبا لاهلها ومبيدا لنسلها معلوم من
اثنايها وتصويبا بابنايها ، وقد يجوز ان يكون المراد بارتحال الدنيا
مدبرة معنى اخر يختص بحال الدنيا في اواخر مدتها وعند تناهي غايتها
وهو ان توصف بتصرم الامد ونقصان العدد كما يقول القايل قد
ارتحل عمر فلان وقد ادبرت مدة فلان اذا مضى صفوان ايامه وذهب
اوقات جمامه ، ويروى هذا الكلام على تغيير في الفاظه لامير المؤمنين
علي بن ابي طالب عليه السلام وقد اوردناه في كتابنا الموسوم بنهج البلاغة
وهو المشتمل على مختار كلامه عليه السلام في جميع المعاني والاغراض و
الاجناس والانواع ومن ذلك قوله عليه السلام الاحتباء حيطان العرب
والعمائم تيجان العرب وهاتان استعارتان عجيبتان فاما قوله عليه السلام
الاحتباء حيطان العرب فانما اراد به انها اذا استعملت الحبى في قعودها

قامت لها مقام الحيطان في الاستناد اليها والاعتماد عليها كما تستند
الظهور الى الجدران او كما تستروح الجناب الى الاجدال ، واما قوله عليه
السلام والعمائم تيجان العرب فانما اراد ان بها العرب يكون بعمائمها كما
يكون بها ملوك العجم بتيجانها فان الاعتمام يخص الهامة ويتم القامة
ويفخم الجلسة ويوقر الجملة حتى ان العرب لتقول على التعارف بينها انما
معتم قط وبهذا المعنى فسر قول الفرزدق اذا مالك القى العمائم فاحذروا
بوادر كفي مالك حين يغضبا اراد انه اذا القى العمامة طاش حلمه وخف
سطوه وما دام معتما فهو مامون الهفوة ومعقود السطوة على مجرى
عادتهم وعرف طريقتهم وقد فسر ايضا قول الاخر انا ابن جلا وطلاع
الثنايا متى اضع العمامة تعرفوني على مثل هذا المعنى فكانه توعدهم عند
القاء العمامة بادرته وان يفيض عليهم ما يستجن من شذاة سطوته و
قوله تعرفوني ليس يريد به العرفان الذي هو ضد الانكار وانما اخرجه
مخرج الوعيد واطلعه مطلع التهديد كما يقول القايل لغيره اذا اراد
هذا المعنى ستعرفني واما تعرفني والمراد ستعرف عقوبتي واما تعرفن غضبي
وسطوتي ومن ذلك قوله عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه و
هذا مجاز لان المراد من امتنع من مواقعة المعاصي الموبقة واستعصم من الخطايا
المردية فجعله عليه السلام بمنزلة من بازاء قرن ينازله وعدو يقاتله

من الشغف في مغالبة نوازع قلبه ودواعي نفسه وما يعركه من أذيتها
ويعلكه من شكيمتها ومن ذلك قوله عليه السلام في خطبة طويلة النساء
حبائل الشيطان. وهذه من أحاسن الاستعارات، وذلك أنه عليه السلام
جعل النساء من أقوى ما يصيد به الشيطان الرجال فهن له كالحبائل
المنصوبة والأشراك المضروبة لأنهن مظان الشهوات ومقاود الخطيات
وبهن يستخف الركين ويستخون الأمين ومن ذلك قوله عليه السلام
في كلام والشباب شعبة من الجنون. وهذا القول مجاز والمراد أن الشباب
يحسن القبيح ويسفه الحليم ويجاذب أزمة التماسك ويكون عذرًا للتهالك
فمن هذا الوجه يشبه صاحبه بالسكران من الخمر والمغلوب على العقل ومن هنا
قيل سكر الشباب كسكر الشراب ومثل ذلك قول الشاعر. إن شرخ الشباب
والشعر الأسود ما لم يعاص كان جنونا ومن ذلك قوله عليه السلام
ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم ألم تروا إلى حمرة عينيه و
انتفاخ أوداجه في حديث طويل. وهذه استعارة كأنه عليه السلام جعل
اهتياج الطبع واحتدام الغيظ بمنزلة الجمرة التي توقد في جوف الإنسان
فيظهر آثار اتقادها في احمرار عينيه وانتفاخ وريديه فلا يزال كذلك
حتى يطفيها برد الرضا أو عواطف الحلم والبقيا ومن ذلك قوله
عليه السلام العلم رائد والعقل سائق والنفس حرون. وهذا

الكلام مجاز وذلك أنه عليه السلام شبه علم الإنسان بالرائد الذي
يتقدم أمام الحي فيدلهم على المنزل الوسيع والمرعى المريع لأن العلم
يأخذ بصاحبه إلى المناجي ويعدل به عن المهاوي. وشبه العقل
بالسائق لأنه يحث الإنسان على سلوك النهج الأسلم ويحمله على الذهاب
في الطريق الأقوم وشبه النفس بالدابة الحرون لأنها تتقاعس عن مراشدها
وتنزع بسوط الأدب حتى تسلك طرق مصالحها ومن ذلك قوله عليه
كل واعظ قبلة. وهذا القول مجاز والمراد أن الناس يقبلون على
الواعظين والمتكلمين بأخذ الرشاد بأن يتيمم أصغاء إلى كلامهم و
تفهما للمقاصد خطابهم كإقبالهم على القبلة التي يصلون إليها ويحومون
نحوها ولا يجوز لهم الانحراف ومن ذلك قوله عليه السلام نعم وزير الإيمان
العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق ونعم وزير الرفق
اللين. وهذا الكلام مجاز والمراد أن كل خلة من هذه الخلال المذكورة
توازر صاحبتها وتعاضد قرينتها وتقوى كل واحدة منها بأختها كما
يوازر الرجل صاحبه على الأمر يطلبه والعدو يحاربه فتشتد قناتها و
تستحصف قواها ومن ذلك قوله عليه زاد المسافر الحداء و
الشعر ما لم يكن فيه خناء. وهذا القول مجاز والمراد أن التعلل بإنشاد
الحداء وإنشاد القريض يقوم للمسافر مقام الزاد المبلغ في إمساك

الارماق والاستعانة على قطع المسافات والى هذا المعنى ذهب الشاعر
بقوله ان الحديث طرف من القرى **ومن ذلك قوله عليه السلام**
من عدّ غدا من اجله فقد اساء صحبة الموت • وهذا القول مجاز لانه
عليه السلام اقام الموت للانسان مقام العشير المخالط والرفيق الملازم
وجعل من اغتر بطول اجله واتساع مهله بمنزلة من اساء صحبة ذلك
الرفيق المصاحب والخليط المقارب اذ كان الاولى ان يعتقد انه غير
مفارق له وان الذي بينه ينفرج بينه وبينه • وعلى ذلك قول الشاعر
والمنايا قلائد الاعناق **ومن ذلك قوله عليه السلام** انا مدينة العلم
وعلي بابها ولن تدخل المدينة الا من بابها • وهذا القول مجاز لانه
عليه السلام شبه علمه بالمدينة الحصينة التي لا يطمع طامع في دخولها
ولا الوصول اليها الا من بابها واقام عليا امير المؤمنين عليه السلام
لتلك المدينة مقام الباب الذي تفتتح من جهته ويوصل اليها منه
ومن ذلك قوله عليه السلام لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة
فلا يشينن احدكم وجه دينه ولكل شيء انف وانف الصلاة التكبير
وهذا القول مجاز والمراد ان الصلاة تعرف بها حلية الدين كما ان الوجه
تعرف به حلية الانسان لانها اظهر العبادات واشهر المفروضات وجعل
انفها التكبير لانه اول ما يبدأ من شرائطها ويسمع من اذكارها واركانها

ومن ذلك قوله عليه السلام اطيعوا الله يطعكم • وهذا القول مجاز لانه
سبحانه قال لا هو يطيع ولا يطاع والمراد اطيعوا امر الله الذي امركم بطاعته
وجعلكم بسبيل الارزاق يجازيكم على ذلك بجزيل الثواب ويكثر لكم من اعداد
الاعواض **ومن ذلك قوله عليه السلام** العلم خزائن ومفتاحها السؤال
فاسألوا رحمكم الله فانه يوجر اربعة السائل والمجيب والمستمع والمحب لهم
وهذا القول مجاز والمراد تشبيه العلم في قلوب العلماء بالخزائن المستبهمة
والابواب المستغلقة وانما تستفتح بسؤال السائلين ويستخرج ما فيها
بحث الباحثين **ومن ذلك قوله عليه السلام** الموت ريحانة المؤمن
وهذا القول مجاز والمراد ان المؤمن يستريح الى الموت تعوذا من كروب الدنيا
وهمومها ودواعيها وخطوبها كما يستروح الانسان الى طيب المشمومات
ونظر المستحسنات **ومن ذلك قوله عليه السلام** الدعاء سلاح المؤمن وعمود
الدين • وهذا القول مجاز والمراد ان المؤمن يستدفع بالدعاء كيد
الكائدين وظلم الظالمين فيقوم له مقام السلاح الذي يرد به الاعداء
ويفل الاعداء • وجعل عليه السلام الدعاء عمود الدين لانه لا يصدر
الا عن قلب المخلص لا الشاك المرتاب في الاخلاص وقطب الدين
الذي عليه المدار واليه المحار **ومن ذلك قوله عليه السلام** من كلامه في صفة
النساء • ومنهن ربيع مربع وغل قمل • وهذا القول مجاز والمراد تشبيه

المرأة الحسناء المستوقفة بالربيع المزهر والروض المنور وتشبيه المرأة الشوهاء
المستثقلة بالغل الذي يثقل الرقاب ويطول العذاب وجعله عليه السلام
قملاً ليكون اعظم لعذابه وابلغ في تكوين البلوى ومن ذلك قوله عليه السلم
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة في النار اذا انقبضت واجتمعت
وهذا الكلام مجاز وفيه قولان احدهما ان المسجد يتقبض من النخامة
وهي البصقة بمعنى انه يجب ان يكرم عنها ولا يبتذل بها فاذا رايت عليه
كانت شائنة له وزارية عليه فكان منها بمنزلة الرجل ذي الحشمة يشمئز
مما يحشمه وينقبض عما يدنسه واصل الانزواء الانحراف مع تقبض
وتجمع والقول الاخر ان يكون المراد اهل المسجد فاقام المسجد مقام الذكر لهم
لما كان مشتملا عليهم وعلى ذلك قول الشاعر واستب بعدك يا كليب
المجلس والمراد اهل المجلس لان الاستباب لا يكون من القاعات والجدرات
انما يكون من الانسان والانسان فالمعنى ان اهل المسجد ينقبضون عن
النخامة اذا راوها فيه ذهابا به عن الادناس وصيانة له عن الادران ومن
ذلك قوله عليه السلم من القتلى رجل وقى على نفسه من الذنوب
الخطايا حتى اذا لقي العدو قاتل حتى قتل فذلك ممصمصة محت ذنوبه
وخطاياه ان السيف محاء للخطايا وهذا الكلام مجاز لان السيف في
الحقيقة لا يمحو شيئا من الذنوب ولكن القتل بالسيف لما كان سببا

للشهادة التي يستحق بها دخول الجنة وحقيقتها شهادة الملائكة للقتيل
بانه من اهل الجنة اذا بذل مهجته في طاعة الله مجتهدا ووطن نفسه على الم
الجراح والثبات للقاء صابرا محتسبا كان السيف كانه قد محا ما سلف
من ذنوبه وليس يبلغ الانسان الى هذه المنزلة في طاعة الله تعالى من توطين
النفس للقتل وتوطينها على الهلاك في الاغلب الاكثر الا وهو تائب من
جميع الذنوب التي توجب العقاب وتحبط الثواب فتكون الشهادة
حينئذ دالة على انه من اهل الجنة وسببها السيف فكانه قد محا
ذنوبه اي ازالها وابطلها وعلى ذلك قول الشاعر فلا تكثروا
فيها الضجاج فانه محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا اي ازاله
وابطله وقوله عليه السلم فذلك ممصمصة محت ذنوبه مجاز آخر كان
القتل غسله من دون الذنوب قال ابن السكيت يقال مصمصت
الاناء ومضمضته بالصاد والضاد اذا غسلته ويقال انضاص
الثوب بالصاد غير معجمة اذا غسله ومن ذلك قوله عليه السلم لا تحا
اتحبون ان تكونوا سوءا وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد بيوت الشعر
وبيوت المدر على الحقيقة وانما اراد انكم تكونون لعلو قدركم واشتهار
اخباركم شيئا لا تنقضي نسيا ولا ذكركم عندكم ولا تتجاوز ذكركم الى من فوقكم
وهذا لا يكون الا للناس الا الادنى واستغنائهم بالناس عن الاعلى

كما يقال لمن نسب الى امير المؤمنين علي عليه السلام علوي ولمن ينتمي الى
يقال هاشمي او منافي وكما يقال لمن كان من ولد عمر عمري ولا يقال
عدوي ونظاير ذلك كثيرة • وانما سميت المناسب المخصوصة بهذا الاسم لتمامها
على ضروب الرجال المتصلين بها والمضافين اليها تشبيها بالبيت المبني
واشتماله على الدعايم والعماد والاوتاد والاطناب • ونظير ذلك
من الشعر قول الطائي الاكبر وصف الفرس • هذب في جنسه ونال المدى
ونجابته الذي بنفسه فهو وحده جنس اراد ان نسله ينسب اليه ولا يحتاج
الى من وراه من ابايه وامهاته كما يقال هذا الفرس من نسل ذي
العقال ومن نتاج ذي الخمار وما اشبههما ومن ذلك قوله عليه السلام
في الكلام الذي تكلم به يوم الغدير واني سائلكم عن ثقلي كيف خلفتموني
فيهما فقيل له وما الثقلان يا رسول الله فقال الاكبر منهما كتاب الله
سبب طرف منه بيد الله وطرف بايديكم • هذه رواية زيد بن ارقم
وفي رواية ابي سعيد الخدري حبل ممدود من السما الى الارض والاصغر
منهما عترتي اهل بيتي انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض • وفي رواية
اخرى حبلان ممدودان من السما الى الارض فان الكلام يعود على الثقلين
وهذه استعارة لانه عليه السلام شبه كتاب الله تعالى بالحبل الممدود بين
الله وبين خلقه يعصم منهم من اعتصم به ويستنقذ من المهاوي والمعاطب

من اعتلق بطرفه وليس انما ذلك على الحقيقة يعصم المتعلق وينتشل المتحير
وانما ذلك على التمثيل والتشبيه لان المستنقذ من الورطة والمتخلص من الورطة
في الاكثر انما يجتذب بحبل ويستنقذ بسببه فاخرج عليه السلام كلامه على
العرف المعروف والامر المعهود ومن روى حبلان ممدودان واراد باحد الحبلين
السنة فالمعنى انه عليه السلام اقام عترته مقام الحبل الممدود الذي يكون معتصم
المستعصم ونجاة المستسلم كما قلنا في القرآن • ومن ذلك الخبر باسره خبر يوم
الغدير الذي يقول فيه صلى الله عليه وعلى آله من كنت مولاه فعلي مولاه
اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واخذل من خذله وانصر من نصره
وقد رواه من مشهوري الصحابة عشرة اولهم امير المؤمنين عليه السلام وهو
الصادق المصدق وزيد بن ارقم وحذيفة بن اسيد والبراء بن عازب
وسعد بن ابي وقاص وابو هريرة وجابر بن عبد الله وابو ايوب خالد بن
زيد وانس بن مالك وبريدة بن الحصيب فقد روى عنهما في هذا الخبر من
كنت وليه فعلي وليه ووافقهما ابن عباس على ذلك • واخبرنا بهذه الرواية
خاصة وهي احدى الروايات ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال اخبرنا
ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي قال حدثنا عبيد الله بن جرير بن جبلة قال
حدثنا مسلم بن ابرهيم قال حدثنا نوح بن قيس قال حدثنا الوليد بن صالح
عن ابن امراة زيد بن ارقم عن زيد بن ارقم اخبرنا بذلك ابو عبيد الله المرزباني

فى جملة ما اخبرنا به من رواياته ومصنفاته • وعلى هذه الرواية يخرج
اللفظة من الاحتمال ويكون اقرب الى المعنى المراد لان ولى الشى اولى به
من غيره واحق بالاستيلاء عليه من كل من لم يضرب فيه بمثل حقه
روى عمران بن الحصين عن النبى عليه السلام انه قال على ولى كل مؤمن بعدى
وفى هذا الخبر تصريح بانه من بعده ولى الامر والقائم مقامه فيه كما قال
الكميت بن زيد فى ذلك • ونعم ولى الامر بعد وليه ومنتجع التقوى ونعم المؤدب
والكلام فى هذا المعنى يطول وليس كتابنا هذا من مظان استقصائه ومواضع
استيفائه • وفى هذا الخبر مجاز اخر وذلك تسميته عليه السلام الكتاب
والعترة بالثقلين وواحدهما ثقل وهو متاع المسافر الذى يصحبه اذا
رحل ويسترفق به اذا نزل فاقام عليه السلام الكتاب والعترة مقامه فى صحبته
فى السفر ورفاقته فى الحضر وجعلهما بمنزلة المتاع الذى يخلفه بعد وفاته
فلذلك احتاج الى ان يوصى بحفظه ومراعاته • وقال بعض اهل العلم انما
سميا ثقلين لان الاخذ بهما ثقيل • وقال بعضهم انما سميا بذلك
لانهما العدتان اللتان يعول فى الدين عليهما ويقوم امر العالم بهما ومنه
قيل للانس والجن الثقلان لانهما اللذان يعمران الارض ويثقلانها
ومن ذلك قول الشاعر • تعمر الارض ما عمرت فينا • وتبقى ما بقيت
بها ثقيلا • لانك موضع القسطاس منها فتمنع جانبيها ان تزولا

ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض ازواجه احسنى جوار نعم الله فانها قل
ما نفرت عن قوم فكادت ترجع اليهم • وهذه استعارة لانه عليه السلام جعل
النعم المفاضة على الانسان بمنزلة الضيف النازل والجار المجاور الذى
يحسن بعد قراه ويكرم مثواه ويصفى مشاربه ويوطئ مضاربه فان اخيف
سربه ورنق شربه وضيعت قواصيه واعتنت مقاربه كان خليقا بان
ينتقل وجديرا بان يستبدل فكذلك النعم اذا لم يجعل الشكر قرى لها
والحمد مهادا ومنزلها كانت وشيكة الانتقال وخليقة بالزيال • وفى
رواية اخرى احسنوا جوار نعم الله فانها وحشية وباقى الخبر على لفظه
فعلى هذه الرواية كانه عليه السلام شبه النعم بأوابد الوحش التى تقيم
مع الايناس وتنفر مع الايحاش ويصعب رجوع شاردها اذا استمر وورود
نافرها اذا بعد ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سمع مؤذنا يقول
اشهد ان لا اله الا الله فقال صدقت كل رطب ويابس • وهذا
الكلام مجاز لان الرطب واليابس من الشجر والاعشاب والماء والتراب
لا كلام لهما ولا روح فيهما وانما اراد عليه السلام ان تصديقهما بلسان
الحال لا بلسان النطق فجميع المخلوقات شاهدة بان لا اله الا الله سبحانه
بما فيها من آثار الصنعة واتقان الصيغة وشواهد الصانع الحكيم والمقدر
العليم فهى من هذه الوجوه متكلمة وان كانت خرسا ومفصحة وان كانت

مجمّا وعلى هذا المعنى خرج قول الشاعر • وفي كل شيء له آية تدل على انه
واحد ومن ذلك قوله عليه السلام الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار
الحطب وهذه استعارة والمراد ان الحسد يخرج بصاحبه الى الاقدام على
المعاصي والارتكاس في المهاوي فيقع في الآثام [illegible] ويحبط جلائل
الأعمال ويشرع في نقل النعم من اماكنها وازعاجها عن مواطنها فيكون عقاب
هذه المحظورات محبطا للحسنات ومسقطا للثواب على المذهب الذي
اشرنا اليه فيما تقدم فيصير الحسد الذي هو السبب في استحقاق العقاب
احباط الثواب كأنه يأكل تلك الحسنات لانه يذهبها وينفيها ويسقط اعيانها
ويعفيها • وانما شبه عليه السلام في اكله الحسنات بالنار التي تأكل الحطب
لان الحسد يجري في قلب الانسان مجرى النار لاهتياجه واتقاده و[illegible]
واحراقه ومن هنا قال بعضهم ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد نفس
متصعد وزفير متردد وحزن بعده ومن ذلك قوله عليه السلام في عهد
كتبه لعماله على اليمن • فان هذا القرآن حبل الله المتين فيه اقامة العدل
وينابيع العلم وربيع القلوب • وفي هذا الكلام ثلث استعارات الاولى
قوله عليه السلام فان هذا القرآن حبل الله المتين • وقد تقدم كلامنا على
نظيرها وبينا ان المعنى شبه القرآن بالحبل الممدود من الله سبحانه الى
خلقه في انه عصمة لمستعصمهم وممسك لمستمسكهم • والاستعارة الثانية قوله

عليه السلام في صفة القرآن وينابيع العلم وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم
شبه ما يفتحه القرآن لمتفهميه ويبينه للناظرين فيه من ابواب العلوم وطرقه
وينفتق من اكمامه وغلفه بينابيع الماء المتفجر وعيون المستنبطة ولان العلم
ايضا ينقع الغليل بعد الشك المحير كما يبرد الماء الغلة بعد العطش المبرح فلذلك
شبهه عليه السلام بعيون الماء وينابيع الرواء • والاستعارة الثالثة قوله عليه السلام
وربيع القلوب وذلك انه جعل القرآن للقلوب الواعية بمنزلة الربيع للابل
الراعية لان القلوب تنتفع بتدبر القرآن وتأمله كما ينتفع الابل بخصب
الربيع ويتقلب فيه غذاء للارواح كما ان ذلك غذاء للاجسام • وقد يجوز ان
يكون المراد ان القلوب تفرح بحكم القرآن وآدابه كما تفرح العيون بانوار
الربيع واعشابه • والربيع اسم للغيث في الاصل ثم صار اسما عندهم لما
ينبت عن الغيث من افانين النور والعشب الا ترى الى قول الشاعر • وحي
يريد الغيث انت ربيعي والربيع ينتظر • وخير انواء الربيع ما بكر • وهذا
كما سموا الغيث سماء لانه نزل يكون من جهة السماء • قال الشاعر •
اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا • اراد اذا سقط
الغيث ثم قال رعيناه فرد الكلام على ما ينبت عن الغيث من الرعي الجميم
الكلاء العميم • ومثل هذا في كلامهم كثير مستفيض • والربيع ايضا
النهر الصغير • وفي الحديث وما سقى الربيع وما جعل الربيعا على ...

الضياء • ومن ذلك قوله عليه السلام في هذا العهد وهو مذكر اوقات الصلوة
والعصر اذا كان ظل كل شيء مثله وكذلك ما دامت الشمس حية والعشاء
اذا غاب الشفق الى ان يمضي ثلث الليل وههنا استعارتان اولاهما
قوله عليه السلام ما دامت الشمس حية والمراد بحياة الشمس ها هنا كونها
في بقية من الاحمرار من قبل ان تفضي الى الحؤول والاصفرار ومن هنا
قالوا الشمس مريضة اذا ولى احمرارها واقبل اصفرارها • وعلى هذا
قول الشاعر • لئن غدوة حتى ترحل عشية • وقد مات شطر الشمس
والشطر مدنف • فجعل نصفها ميتا لما انضم الى الترحل وجعل
نصفها مدنفا لما كان من الضعف على شفا ومثل ذلك قول الراجز •
والشمس قد كادت تكون دنفا اي قد قاربت ان تشفي على الغروب كما
يشفي الدنف المريض على الحتوف فجعلها دنفا بالمرض ووصفها
بنقصان اللون وحؤول الضوء على اصل وصفهم لها بالمرض وكنّوا عن
الشمس بالموت في اشعارهم وجه اخر وهو انا ارادوا ان يصفوا يوم
الحرب باشتداد الحر واسوداد الافق للقتام المتراكب والنقع المتطاول
فيقيمون مغيب الشمس واحتجابها مقام انقراضها وذهابها • و
الاستعارة الاخرى قوله عليه السلام الى ان يمضي ثلث الليل والمراد
الى ان يمضي اوايله فجعلها ثلثا تشبيها لليل بالمطايا السائرة التي

تفقد

تفقد اغبانها وهواديها وتتبعها اعجازها وتواليها • ومن هنالك
قالوا في السارى ليلا اتخذ الليل جملا ويقولون ركب الليل وامتطى الليل
لما جعلوه بمنزلة الظهر المركوب والبعير المرحول • ومن ذلك قوله عليه السلام
مفاتيح الجنة لا اله الا الله • وهذه استعارة والمراد ان هذا القول
به يوصل الى دخول الجنة فجعله عليه السلام بمنزلة المفاتيح التي تستفتح
بها الاغلاق وتستفرج الابواب • واراد عليه السلام هذه الكلمة وما
يتبعها من شعاير الاسلام وقوانين الايمان الا انه صلى الله عليه
وعلى اله عبر عن جميع ذلك بهذه الكلمة لانها اول تلك الشعاير وسايرها
تابع لها ومتعلق بحبالها كالزمام القايد والمقدم الرايد وذلك
كما يعبر عن حروف المعجم ببعضها فيقال الالف با تا والمراد جميعها
وكذلك يقولون هوز ابجد ويريدون ساير هذه الحروف الا ان
هذه الحروف لما كانت اوايلها وسوابقها ومتقدمة لتاليها حسن ان يعبر
بها عن جميعها • ومن ذلك قوله عليه السلام في وصيته لمعاذ بن جبل
لما بعثه الى اليمن وصل الظهر بعدما ينفس الظل وتبرد الرياح •
وهذه استعارة والمراد بعدما يزيد امتداد الظل من قولهم تنفس النهار
اذا اخذ في الطول • ومنه قوله تعالى والصبح اذا تنفس • اي اذا زاد
ضياؤه وانتشرت انواره وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتاب

للمختص بالبيان من مجازات القرآن وأصل هذا مأخوذ من نفس الحيوان
وهو امتداد الريح الخارجة من مجاري صدورها عن ترويح لباتها عن
قلوبها بانقباضها وانبساطها وانضمامها وانفراجها ومن ذلك
قوله عليه السلام اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم فان احدكم
ليعثر وان يده لبيد الله يرفعها • وهذا القول مجاز والمراد بذكر اليد
هاهنا معونة الله تعالى ونصرته • فكانه عليه السلام اراد ان احدهم ليعثر وان
معونة الله له ولم تنهضه من سقطته وتقيله من عثرته الا انه عليه
السلام لما جاء بلفظ العثار اخرج الكلام بعده على عرف العادة لان
العادة جارية بان يكون المنهض للعاثر والمقيم للواقع انما يستنهضه
بيده ويستعين عليه بجلده والمراد بذوي الهيئات هاهنا ذوو الاديان
لا ذوو الملابس الحسان كما يظن من لا علم له لان هيئة الدين تظاهره صح
احسن الهيئات والظواهر وافخر المعارض والملابس ومن ذلك قوله
عليه السلام جبريل ناموس الله • وهذا القول مجاز واصل الناموس
المكان الذي يستخفي فيه الصائد عن الوحش للاقتناص فنقل عن
ذلك فسمي من يجعله الانسان موضع سره ومستودع نفثه ناموسا لانه
منه بمنزلة ناموس الصائد • فكانه عليه السلام انما شبهه بذلك
لانه يستخفي بما يودع من الله سبحانه الى الانبياء عليهم السلام من امر الله

التي تقنص القلوب بحبائل الخوف والرجاء وتجتذبها بعلائق الوعد والايعاد
تشبيها بالصائد الذي يختل صيده حتى يصيب غرته ويقتحم غفلته • وقد
قال بعضهم ان الناموس في كلام بعض العرب اسم للنمام فكان جبريل عليه السلم
هو الذي يظهر امر الله لانبيائه لا على الوجه المذموم الذي يقصد به
النمام ويعتمده ناقل الكلام • وقال بعضهم الناموس من اسماء الملائكة فيكون
في الخبر اذا حملناه على هذا الوجه تقدير مضاف حذف لدلالة الكلام
عليه فكانه عليه السلام قال جبريل حامل علم الله او صاحب علم الله والحذف
انما يحسن في الكلام اذا كان فيما بقي دليل على ما يلقى كقوله تعالى واسأل
القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها فلما كانت القرية والعير لا
تسألان ولا تجيبان علم ان المطلوب غيرهما وانه المضاف اليهما ولا يجوز
على هذا جاء زيد وانت تريد غلام زيد لان المجيء قد يكون من الغلام كما
يكون من صاحب الغلام فلا دليل في مثل هذا على المحذوف كما كان في الخبر
الاول ومن ذلك قوله عليه السلم بلغني عن فلان كلام تشذر لي
من ايعاده • فوصف الكلام بالتشذر مجاز واصل التشذر ان الناقة
اذا لقحت عقدت ذنبها ونصبته على عجزها • قال الشاعر • لها ذنب [illegible]
قد [illegible] • واسمح الخطار بعد التشذر فكانه عليه السلام اراد ان الكلام
الذي سمعه اغرب لما في ضمنه من الوعيد كما ان تشذر الناقة يشعر بـ[illegible]

دليل على لقاح بطنهما. ويجوز ان يكون المراد صفة ذلك الكلام بالارتفاع
والعلو والاشتطاط والغلو تشبيها بذنب الناقة اذا عقدته لاخذ ورمته
شائلة. **ومن ذلك قوله عليه السلام** الايمان هيوب. وفي هذا الكلام
مجاز لان فيه تقدير كلام محذوف. فكانه عليه السلام قال صاحب
الايمان هيوب والعرب تقول الباب لئيم اي مغلق الباب دون الاضياف
لئيم والمراد ان صاحب الايمان بما معه من حواجز ايمانه وبصائر ايقانه
يهاب تطرق الحوب ومواقعة الذنوب فلا يقدم عليها اقدام المنكس
الهاوي والضال الغاوي **ومن ذلك قوله عليه السلام** الاستغفار
ممحاة للذنوب. فوصف الاستغفار بانه يهدم الذنوب مجاز لان
المعاصي الكثيرة لما كانت كالبناء في تراكب اجزائها واستعلاء اجرامها
كان استغفار النادم واقلاع التائب كانهما هدم لذلك البناء من سلم
كب له على ام راسه **ومن ذلك قوله عليه السلام** ما اذن الله لشيء
كاذنه لنبي يتغنى بالقران. وهذا القول مجاز والمراد ما استمع الله
لشيء كاستماعه لنبي يداوم تلاوة القرآن فيجعله دابه وديدنه وهجيراه
وشغله كما يجعل غيره الغناء مستروح حزنه ومستفتح قلبه لعيانه
هنالك غناء به على الحقيقة وهذا كما يقول القائل قد جعل فلان
الصوم لذته والصلاة طربه اذا اقامهما مقام شغل غيره باللذات

وطربه الى المستحسنات. وقد قيل ان المراد بذلك تحزين القراءة لتكون اشجى
للسامع واخذ بقلب العارف وسمي هذه الطريقة غناء على الاتساع لانها
تقود ازمة القلوب وتستميل نوازع النفوس الى ذلك ذهب عليه السلام بقوله
زينوا اصواتكم بالقران في حديث اخر وليس المراد بذلك لحون القراء وتطريبها
فان الاخبار قد وردت بذم هذه الطريقة حتى ذكر عليه السلام في اشراط
الساعة امورا عددها ثم قال وان يتخذ القران مزامير وقال بعضهم يتغنى
بالقران اي يذكر القران من قولهم تغنى فلان بفلان اذا ذكره في شعره اما
هجاء واما مدحا. فاما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام ليس منا من
لم يتغن بالقران. فليس المراد به هذا المعنى وانما اراد عليه السلام ليس منا
من لم يستغن بالقران عما سواه وتغنى ههنا بمعنى استغنى وهو تفعل
من الاستغناء من الغناء. قال العجاج. اري الغواني قد غنين عني. و
قلن لي عليك بالغنى اي استغنين عني وقلن لي استغن عنا كما استغنينا
عنك وهذا عند موت الشباب وانقضاء الاراب ويؤكد ذلك الحديث
الاخر وهو قوله عليه السلام من قرا القران فراى ان احدا اعطي افضل
مما اعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيما. ولو كان المراد بالتغني في
هذا الخبر ترجيع الصوت بالقران لكان من لم يقصد هذه الطريقة في
تلاوته ويعتمدها في صلواته داخلا تحت الذم ومقارفا للذنب لانه

عليه السلام قال ليس منا من لم يتغن بالقرآن فبان ان المراد به الاستغناء لا الغنا **ومن ذلك قوله عليه السلام** لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وهذا مجاز وذلك ان العرب كانت اذا وقعتها القوارع ونزلت بها النوازل وحطمتها السنون الحواطم وسلبت كرايم اعلاقها من مال ثمر او ولد او قتل او حميم صرخت باللوم على الدهر فقالت تبّه كلاكلها واجتاحها وارجازها واشارها استقادها الدهر وعاد علينا الدهر وربما نابها من الدهر كقول القائل منهم وهو عدي بن زيد ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال • وكقول الآخر • اكل الدهر عليهم وشرب • وكقول الاخر • والدهر غيّر ناو ما يغير • والاستشهاد وذلك اكثر من ان نخطبها او نأتي على جميعها فكانه عليه السلام قال لا تذموا الذي يفعل بكم هذه الافعال فانه الله سبحانه لانه هو المعطي والمنتزع والمغير والمرتجع والرايش والهايض والباسط والقابض • وقد جاء في التنزيل ما هو كشف عن هذا المعنى وهو قوله تعالى • وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون • فقبح تعالى مذهبهم على اعتقادهم ان الدهر يهلكهم ويملكهم ويعطيهم و يسلبهم ودل مفهوم الكلام على انه سبحانه هو المالك للامور والمصرف

للامور **ومن ذلك قوله عليه السلام** الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة وهذه استعارة وذلك انهم يقولون هذه غنيمة باردة اذا حازوها من غير ان يلقوا دونها حز السلاح والم الجراح لانه ليس كل الغنايم كذلك بل في الاكثر لا تكاد تنال الا باصطلاء نار الحرب ومباشرة الطعن والضرب فكانه عليه السلام جعل صوم الشتاء غنيمة باردة لان الصايم يحوز فيه الثواب الجزيل والاجر الكثير بلا معاناة مشقة ولا ملاقاة كلفة لقصر نهاره وعدم اواره • وقد قيل ايضا انما وصف الصوم في الشتاء بانه غنيمة باردة لبرد النهار الذي يقع الصيام فيه وانه بخلاف نهار الصيف الذي تشتد فيه المعاطش وتطول المخامص ويقصر ليله عن القيام بوظايف العبادة التي تجتذب عقبى وتقرب الى الله زلفى والشتاء على خلاف هذه الصفة لقصر نهار الصايم وطول ليل القايم **ومن ذلك قوله عليه السلام** اتقوا الله في النساء فانهن في ايديكم عوان • وهذا مجاز لانه عليه السلام جعل النساء عوان واجراهن بمنزلة الاسراء وذلك لان المراة تجري على احكام الرجل في الصدر والورود والوقوف و الحقوف فهي مستقرة في اقياد حصره وناشبة في حبايل تدبيره وامره ومن هذا قيل فلان في حبال فلان اذا كان يعلقها العلقة المغلقة ذكرها • والعاني الاسير والجمع عناة والاسيرة عانية والجمع عوان

وقد يقال للاسير ايضا الهدي • وقال المتلمس في قتل عمرو بن هند
طرفة بن العبد العبدان بحجر زمانا • كطريفة بن العبد كان هديهم
ضربوا صميم قذاله بمهند • وقيل انما سميت المراة المنقولة الى زوجها
هديا لانها بمنزلة الاسير عنده • وقيل انما سميت بذلك لانها
تهدى الى زوجها فهي فعيل في موضع مفعول فهدي في مكان مهدية
يقال هديت المراة الى زوجها اهديها هداء وهو من الهداية وليس
من الهدية لانه لا يقال من الهدية الا اهديت • وقد قيل ان في بعض
اللغات اهديت المراة واللغة الاولى هي اشدهما والمعول عليها
ومن ذلك قوله عليه السلم استعيذوا بالله من طمع يهدي الى طبع
وهذا مجاز والمراد ان الطمع يصير بصاحبه الى معايب الاخلاق
ومدانيها ويوقعه في مذامها ومناقصها والطبع الدنس والعيب يقال
فلان طبع كدنس وجشع فلما كانت عواقب الطمع صائرة الى معادن
الطبع جعل عليه السلام الطمع كانه هاد اليها ودليل عليها على المجاز
والاتساع • والطبع على ما سمعته من شيخنا ابي الفتح النحوي رحمه الله
ماخوذ من الطابع وهو الخاتم كانه يسم صاحبه بالمعايب وليسمه
بالشنار فيكون كالخاتم الذي يظهر رسمه ويوثر وسمه ومن ذلك
قوله عليه السلم في حديث مشهور للرجل الذي نعق ابنه عليه في

ما له عقر وبذي اردد على ابنك فانما هو سهم من كنانتك وهذه
استعارة لانه عليه السلام جعل ابن الرجل بمنزلة السهم الذي في كنانته
ولذلك وجهان • احدهما ان يكون انما شبهه بالسهم من سهامه لان
الاب يحب نفعه وضره ويقيه ونباله نقيفه وتاديبه كما ان النابل يباري
السهم ويرايشه ويثقفه ويقومه • والوجه الاخر ان يكون المراد انه
بمنزلة السهم في كنانته من حيث كان في حضنه كان وحاصلا تحت
ضبنه وانه متى شاء صرفه في ماربه كما ان صاحب السهم متى شاء رمى به
الى اغراضه • ومعنى قوله عليه السلام اردد على ابنك اي استرجع ما فوقه
من ماله في وجوه التبذير ومظان التبديد فرده الى ملكك اشطها انا
له واشيا الاعليه اذ ليس له ان يفتات عليك بمال ولا يعصيك في
حال ومن ذلك قوله عليه السلم الخلق عيال الله عز وجل فاحبهم
اليه انفعهم لعياله • اخبرنا بهذا الحديث ابو القسم عيسى بن علي بن عيسى
داود بن الجراح في جملة اجزاء من الاحاديث قال حدثنا ابو القسم عبد
الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في سنة سبع وثلثمائة قال حدثنا احمد بن
ابرهيم الموصلي قال سمعت المامون في الشماسية وقد اجرى الحلبة فجعل
ينظر الى كثرة الناس فقال ليحيى بن اكثم اما ترى الى هذا الاثر ثم قال حدثنا
يوسف بن عطية عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وعلى اله قال الخلق

عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله • وقد حدثنا بهذا الحديث ايضا
سهل بن احمد بن عبد الله بن سهل الديباجي عن محمد بن يحيى الصولي فيما
صنفه مما رواه خلفاء بني العباس من احاديث النبي عليه السلام على
خلاف هذه الحكاية • وهذا القول مجاز لان عيال الانسان من يعوله
ثقلهم ويهمه امرهم والله سبحانه لا تؤوده الاثقال ولا تبهظه الاحوال
ولكنه سبحانه لما كان متكفلا بمصالح عباده ويدر عليهم حلب الارزاق
ويلم لهم شعث الاحوال ويعود عليهم بمرافق الابدان ومراشد الاديان
شبهوا من هذه الوجوه بالعيال الذين في ضمان القائل وكفالة الكافل
على طريق الاتساع وعلى مجاري العادات ومن ذلك قوله عليه السلام
الخمر ام الخبائث ومن شربها لم يقبل الله منه صلاة اربعين يوما
فان مات وهي في بطنه مات ميتة جاهلية • سمعنا هذا الحديث من
عمر بن ابرهيم بن احمد المقرئ ابي حفص الكتاني في جملة ما رواه لنا من
الاحاديث قال حدثنا [illegible] النيسابوري قال حدثنا علي بن اشكاب قال
حدثنا محمد بن ربيعة قال حدثنا الحكم بن عبد الرحمن بن ابي نعيم عن الوليد
بن عبادة قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وعلى اله الخمر ام الخبائث وذكر باقي الحديث • وهذه
استعارة وانما سماها عليه السلام ام الخبائث على تغليظ النهي عن شربها

وتعظيم قدر العقاب عليها فكانها جماع الخبائث المردية ومعظم الذنوب
الموبقة كما ان الام جامعة لاولادها ومشتملة عليهم بميلادها
والغاية في تقدمها على غيرها من المعاصي ان الاغلب في شربها
ان يكون طريقا الى ارتكاب الكبائر وجر الجرائر فان السكران قد يحمله
سكره على القذف والافتراء واراقة الدماء واستحلال الفروج
والاموال وغير ذلك من مقاحم الذنوب ومعاظم العيوب وكل منها
فالسكر من اقوى اسبابه واوثق ابوابه ومن ذلك قوله عليه السلام
كل امر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله اقطع • وحدثنا بهذا الحديث
ايضا عمر بن ابرهيم ابو حفص المقرئ قال حدثنا ابو القسم عبد الله بن محمد
البغوي ابن بنت منيع قال حدثنا داود بن رشيد قال حدثنا الوليد بن
مسلم عن الاوزاعي عن قرة عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن ابي هريرة
قال قال النبي صلى الله عليه وعلى اله كل امر ذي بال لا يبدأ
فيه بحمد الله اقطع • وهذا القول مجاز وانما شبه عليه السلام الامر
الذي يهم الافاضة فيه ومس الحاجة الى الكلام عليه اذ لم ينطق فيه
حمد الله سبحانه بالاقطع اليد من حيث كان قاصرا عن السبوغ
وناقصا عن البلوغ • ومما يقوي ذلك ما رواه ابو هريرة قال
قال عليه السلام الخطبة التي ليس فيها شهادة كاليد الجذماء

فاقام عليه السلام نقصان الحظ مقام نقصان الخلقة • ومما
يشبه هذا الخبر الحديث الاخر الذي ذكره ابو عبيد القسم بن سلام
في كتاب غريب الحديث وهو قوله عليه السلام من تعلم القران ثم نسيه
لقي الله سبحانه وهو اجذم • قال والاجذم المقطوع اليد واستشهد
على ذلك بقول الشاعر • وما كنت الا مثل قاطع كفه بكف له اخرى
فاصبح اجذما • واعترض هذا القول عبد الله بن مسلم بن قتيبة فاعاد
فيه وطاعنا عليه فقال انما اتى ابو عبيد في فساد هذا التفسير من
قبل البيت الذي استشهد وليس كل اجذم اقطع اليد • واذا نحن
حملنا الحديث على ما ذهب اليه ابو عبيد كانت عقوبة الذنب لا تشاكل
الذنب لان اليد لا سبب لها في نسيان القران والعقوبات من الله سبحانه
تكون بحسب الذنوب كقوله تعالى • الذين ياكلون الربا لا يقومون
الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس • يريد ان الربا الذي
اكلوه اثقل بطونهم فهم يقومون ويسقطون كما يصيب من يتخبطه
الشيطان • ولقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله رايت ليلة
اسري بي قوما تقرض شفاههم بالمقاريض كلما قرضت وفت فقلت يا
جبرئيل ها ولاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون لانهم
قالوا بافواههم فعوقبوا فيها ومثل هذا كثير • قال والاجذم هنا

المجذوم يقال رجل اجذم وقوم جذمى مثل احمق وحمقى وانوك ونوكى الا
ان يكون روي في حديث اخر انه يحشر اقطع اليد او ما يدل على ذلك فيقع التسليم
هنا • وانما سمي من به هذا الداء اجذم لانه يقطع اصابع يديه وينقص
خلقته والجذم القطع وكل شيء قطعته فقد جذمته وجذذته • ولهذا
قيل للمقطوع اليد اجذم كما قيل له اقطع وهذا اشبه بالعقوبة لان
القران كان يدفع عن جنبه كله الماهر ويحفظ عليه الصحة فلما
فارقه ذلك فنادته الافة من جميع ولا داء اشمل للبدن من الجذام ولا اقبح
للخلقة • انقضى كلام ابن قتيبة ملخصا وقد خلط هذا الرجل في اعتراضه
هذا تخليطا كثيرا لانه انكر غير منكر وطعن في غير مطعن وذلك ان ابا عبيد
انما فسر الاجذم في الحديث بانه المقطوع اليد على اصل صحيح وهو ما
ذكرناه في الخبر الاول من ان الاقطع هناك كالاجذم هاهنا والمراد انه
يلقى الله تعالى بعد نسيان القران ناقصا بعد تمام كالذي قطعت يده
فظهرت نقيصة اعضائه وان كان ابو عبيد لم يبين هذا البيان فانه
لم يرد الا هذا المراد • فاما قول ابن قتيبة ان عقوبة الذنب يجب ان
تكون مشاكلة للذنب تعلقا بالمثلين اللذين اوردهما فقد غلط فيما
ظنه ووهم فيما توهمه لان العقوبات لا يجب ان تكون مقصورة على
الاعضاء المباشرة للذنوب وانما المعاقب بها جملة الانسان ولو كان

الاسر على ما ظنه لكان الزاني فان زنا غير المحصن يضرب ذكره والقاذف
اذا قذف يجلد لسانه لانهما واقعا المعصية وباشرا الخطيئة فلما رأينا
ذين الذنبين عاقبت منهما غير المواضع التي باشرتا الذنب وواقعت
الجرم علمنا ان المقصود بالعقوبة جملة الانسان دون اعضاء الجسم فاما
يد السارق فلم تكن علة قطعها انه باشر بها السرقة الا ترى انه لو حمل
حرزا فاخرج شيئا بفيه دون يده لما يجب ومثله القطع فقطعت يده ولو
اخذ الشيء المسروق بفمه وايضا فلو اخذ في اول مرة بيده اليسرى لقطعت
يده اليمنى واذا سرق ثانيا بعد قطع يده اليمنى قطعت رجله اليسرى ولا تقطع
يده اليسرى وان باشر السرقة بها وكذلك على مذهب من يرى استيفاء
الاعضاء الاربعة في تكرير السرقة وهو مذهب الشافعي فبان انه لا
يقطع ما باشر اخذ السرقة من اعضاء الانسان وسقط ما اعتمد عليه
ابن قتيبة من تشقيق الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام حين قال
له حذيفة بن اليمان وقد ذكر الفتن ابعد هذا الشر خير يا رسول الله
فقال هدنة على دخن وجماعة على اقذاء • وفي هذا الكلام استعارتان
احداهما قوله عليه السلام هدنة على دخن وقيل ان الدخن ها هنا
اسم للون الذي فيه كدورة والصحيح انه ماخوذ من الدخان لكنه
واراد الواقعة فكانه عليه السلام شبه الهدنة التي تؤذن بالفتنة والسلم

التي تكشف عن المحاربة بالدخان الذي يؤذن بمواطنه بالنار الموقدة
ويخلو عن الجواحم المضطرمة ويقال دخان ودواخن وعثان وعواثن
وهما جمعان على غير القياس • ويجوز ان يكون المراد بالدخن ها هنا
قسطل الحرب لانه يشبه بالدخان في الحقيقة فكانه عليه السلام قال هدنة
تكشف عن رهج القراع وغبار المصاع وانما قال على دخن اي ان تلك
الهدنة كانها غطاء تحته رهج الحرب وذلك الخطب فليس باطنها كظاهرها
ومبتداها كعاقبتها • والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام وجماعة
على اقذاء فكانه صلى الله عليه وعلى آله شبه الاجتماع على فساد القلوب
ونغل القلوب بالعين المغضية على القذى المنطبقة على الاقذاء فالظاهر
سليم والباطن سقيم • وفي رواية اخرى زيادة في هذا الحديث فيها مجاز
آخر • وهي قوله عليه السلام وفتنة عمياء صماء ودعاة ضلالة على
ابواب جهنم من اجابهم قذفوه فيها فوصف الفتنة بالعمى والصمم مجازا
والمراد ان اهلها عمي عن الرشاد صم عن المواعظ فلما كانت الفتنة
سببا لعماهم وصممهم جاز ان ينسب العمى والصمم اليها دونهم • وقد يجوز
ايضا ان يكون المراد انها تعمي الابصار برهج غبارها وتصم الاسماع
بزجل اصواتها والقول الاول اقرب الى الصواب واشبه بمقاصد
الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام لرجل حلب له ناقة دع داعي اللبن

وهذه استعارة والمراد ان يبقى فى خلف الناقة شيئا من لبنها من غير
ان يستفرغ جميعه لان ما يبقى منه يستنزل لحاقهما ويستجم دونهما مكانه
يدعو ببقية اللبن اليه ويكون كالمثابة له واذا استنفد الحالب ما فى الخلف
ابطا عوده وتقلص دره ومن ذلك قوله عليه السلام ما نزل من القرآن
آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع
وفى هذا الكلام استعارتان احدهما قوله عليه السلام ما نزل من القرآن
آية الا ولها ظهر وبطن • وقد قيل فى ذلك اقوال منها ان يكون المراد
ان القرآن يقلب وجوها ويحتمل من التاويلات ضروبا كما وصفه
امير المؤمنين على عليه السلام فى كلام له فقال القرآن حمال ذو وجوه
اى يحتمل التصريف على التاويلات والحمل على الوجوه المختلفات وقد
ذكرنا هذا الكلام فى كتابنا الموسوم بنهج البلاغة • ومن ذلك قول
القائل قلبت امرى ظهرا لبطن اى صرفته واديرته ليتبين لى منه وجه الراى
فاتبعه وطريق الرشد فاقصده • وانشدنا ابو الفتح النحوى رحمه الله قول
الشاعر • اما ترانى قالبا مجنى • اقلب امرى ظهره للبطن • قد قتل
الله زيادا عنى وكان رحمه الله يقول فى قوله قد قتل الله زيادا عنى
سر لطيف وهو انه اقام قتله مقام عزله فكانه قال قد عزل الله زيادا
عنى لانه اذا قتل فقد زال سلطانه وامنت سطواته • وقال آخرون

الظهر تنزيل القرآن وكلامه والبطن تاويله واحكامه • وقال
بعضهم معنى الظهر هاهنا ما قصه الله سبحانه علينا فى القرآن من انباء
القرون واخبار الملوك وما اوقعه بهم من سطواته وانزله بهم من نقماته
لما جمحوا فى عنن الطغيان وابعدوا فى مذاهب البغى والعدوان وجميع
ذلك احاديث قصها سبحانه علينا فهى فى الظاهر اخبار منه لنا • واما
المراد بالباطن فانه سبحانه جعل تلك الانباء المقصوصة والامثال المضروبة
عظة نبهنا بها على طريق الرشد وحذرنا بها مصارع البغى فنتناهى
عما كان السبب فى اهلاك القرون الماضية والامم الخالية • وذلك
بمنزلة مخبر اخبرنا عن ايقاع السلطان بجماعة من الجناة فقوم قتلهم لما قتلوا
وقوم قطعهم لما سرقوا وقوم جلدهم لما سكروا فظاهر ذلك انه اخبار
لنا عن هذه الافعال الواقعة بمستحقيها من الجناة والباطن انه وعظ
وتنبيه لعقولنا على ان من اقدم منا على مثل تلك المحظورات انزل به
مثل تلك العقوبات • وقد مضى فيما تقدم من كتابنا هذا كلام مختصر
على نظير هذا الخبر الا انا فى هذا الموضع شرحنا ذلك فضل شرح وبسطناه
فضل بسط • والاستعارة الاخرى قوله عليه السلام ولكل حرف حد
ولكل حد مطلع • قال بعضهم معنى المطلع هاهنا ان يطلع قوم يعملون به
وروى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من حرف او قال آية الا وقد

علم بها قوم اولها قوم يستعملون بها • وقال بعضهم المراد بالمطلع هاهنا
المرتقى الذي يوتى منه حتى يعلم تاويل القرآن من جهته • وقال بعضهم
المطلع هو المنحدر من المكان المشرف الى المكان المنخفض • وقد يكون
ايضا المصعد من المكان المنخفض الى المكان المشرف فهو من الاضداد
على هذا التقدير فكان الانسان يكون في التوصل الى علم تاويل القرآن
بمنزلة الراقي الى الذروة والصاعد الى الجو • او يكون في التولج على
غوامضه بمنزلة الهابط من المكان المشرف الى المكان المنخفض • وقال
بعضهم الحد هاهنا الفرايض والاحكام والمطلع الثواب والعقاب فكانه
تعالى جعل لكل حد من حدوده التي حدها من الحلال والحرام مطلعا
من الثواب والعقاب يلاقيه الانسان في العاقبة ويطلع عليه في
الاخرة • ومن ذلك ما يكثر على الالسنة من ذكر هول المطلع انما يراد
به ما يشرف الانسان عليه بعد الموت من اعلام الساعة واشراط
القيامة وعندي في ذلك وجه اخر • وهو ان يكون المراد ان لكل
حرف حدا يجب على التالي ان يقف عنده ويعرف مغزاه ومغيبه
فانه اذا فعل ذلك افضى به ذلك الحد الى مطلع يشرف منه على حقيقة
المعنى وجلية المغزى فكان الوقوف عند تلك الحدود والتمهل فيها
والتثبت فيها يفضي بالانسان الى مطالع معرفتها ومغالق مكنونها

كطالع الثنية والاشراف على ما تحتها والادراك لما استتر عن
الناظر قبل الارتقاء عليها وهذا القول من استنباطي وما اظن
احدا سبقني اليه • ومن ذلك قوله عليه السلام من احيا
ارضا ميتة فهي له وليس لعرق ظالم حق • وهذا مجاز والمراد به
ان يجي الرجل الى ارض قد احياها من قبله فيغرس فيها غرسا او
يحدث فيها حدثا فيكون ظالما بما احدثه وغاصبا لحق لا يملكه
وانما اضاف عليه السلام الظلم الى العرق لانه انما ظلم بغرس عرقه
فنسب الظلم الى العرق دون صاحبه وذلك كما قالوا ليل نايم ونهار
صايم اي ينام فيه ويصام فيه • وروى سفيان بن عيينة عن هشام
بن عروة عن ابيه عروة بن الزبير قال العروق اربعة عرقان ظاهران و
عرقان باطنان اما الظاهران فالغرس والبناء واما الباطنان فالبير
والمعدن • وربما روي هذا الخبر على الاضافة فيكون ليس لعرق ظالم
حق فان كانت هذه الرواية صحيحة فقد خرج الكلام من حيز الاستعارة
ودخل في باب الحقيقة • ومن ذلك قوله عليه السلام اللهم المم شعثنا
وهذه استعارة والمراد اللهم اجمع كلمتنا وانظم ما انتشر من امرنا وتلافى
من شملنا فاقام عليه السلام تفرق الكلمة وانصداع الامور المنتشرة مقام
الشعر المنتشر الذي كثر تشعثه واستطارت الصداع فيه • وقد مضى

الكلام على نظير هذه الكلمة ومن ذلك قوله عليه السلام قلدوا الخيل
ولا تقلدوها الاوتار • وهذه استعارة على احد التاويلين • وهو
ان يكون المراد النهي عن طلب اوتار الجاهلية على الخيل بشن الغارات
الثايرات • ومعنى لا تقلدوها اي لا تجعلوها كانها قد قلدت وتر
الوتر فتقلد ثم ركضت لاخذ الثار فضيعته وذلك عبارة عن فرط
جدهم في الطلب وحرصهم على الادراك فكانه عليه السلام قال قلدوا الخيل
طلب اعداء الدين والدفاع عن المسلمين ولا تقلدوها طلب اوتار
الجاهلية ودخول مصارع الحمية • واذا حمل الخبر على التاويل الاخر
خرج عن ان يكون مجازا وهو ان يكون المراد النهي عن تقليد الخيل اوتار
القسي • وقيل في وجه النهي عن ذلك قولان • احدهما ان يكون عليه
السلام انما نهى عنه لان الخيل ربما رعت الاكلاء والاشجار فنشبت
الاوتار التي في اعناقها ببعض شعبها فتوغلها من ذلك فخنقها او حبسها
على عدم الماكل والمشارب حتى تقضي نحبها • والوجه الاخر انهم كانوا في
الجاهلية يعتقدون ان تقليد الخيل بالاوتار تدفع عنها حمة العين
وشر نظر المستحسن فيكون كالعوذة لها والاحراز عليها • فاراد
عليه السلام ان يعلمهم ان تلك الاوتار لا تدفع ضررا ولا تصرف حذرا • و
ان الله سبحانه الدافع الكافي والمعيذ الواقي ومما يقوي هذا التاويل

ما روي من امره عليه السلام بقطع الاوتار من اعناق الخيل وتقليد
الخيل وتجماخر • وهو ان العرب كانت اذا قهرت وظفرت قلدت الخيل
العمايم • وذكر ان معوية بن ابي سفين لما تغلب على الامر ودخل الكوفة
بعد صلح الحسن بن علي عليهما السلام فعل ذلك بخيله فقالت ام الهيثم بنت
الاسود • اورعتني ان جاءت مقلدة خيل الشاميين في اعناقها الورق
ومن ذلك قوله عليه السلام ضالة المومن حرق النار • وهذا مجاز لان
الضالة على الحقيقة ليست تحرق النار • وانما المراد ان اخذها الركون
والاشتمال عليه والحؤول بينه وبينها يستحق به العقاب بالنار فلما
كانت الضالة سبب ذلك حسن ان يسمى باسم ما تعاقبه اخذها او
الحريق النار وتفضي الى اليم العقاب • وقد نهى رسول الله عليه السلم
عن اخذ ضوال الابل وهواميها والهوامي الضايعة • قال الشاعر •
حتى فعلها بالسيلحين واوفض بوادي ثيل من حين عبد •
اوضاعت تعل هذه الناقة بهذا الموضع المذكور وذلك لا يكون
الا عند تقطع حبلها واجحاف السير بها ومن ذلك قوله عليه السلم
ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة
الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى • ووصف الدين بالمتانة
هاهنا مجاز والمراد انه صعب الظهر شديد الاسر ماخوذ من متن الانسان

وهو ما اشتد من لحوم بكيه . وانما وصفه عليه السلام بذلك لمشقة
القيام بشرايطه والاداء لوظايفه فامر عليه السلام ان يدخل الانسان
ابوابه مترفقا ويرقا هضابه متدرجا ليستمر على تجشم مشاقه ويربث
على امتطاء مصاعبه وشبه عليه السلام العابد الذي يجهد نفسه ويستنفد
طاقته بالمنبت وهو الذي يغذ السير ويكد الظهر منقطعا من رفقته
ويسفر ذا عن صحابته فيحسر مطيته ولا يقطع شقته وهذا من احسن الكلام
واوقع التشبيهات . ومما يقوى ان المراد بهذا الخبر ما كشفنا عن حقيقته
الخبر الاخر عنه عليه السلام وهو فيما رواه بريدة بن الحصيب الاسلمي قال
قال عليه السلام عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه

ومن ذلك قوله عليه السلام اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الركب
اسنتها . وفي رواية اخرى فاعطوا الركاب اسنانها . وهذه استعارة
والمراد بالاسنة هاهنا على ما قاله جماعة من علماء اللغة الاسنان
وهو جمع الجمع لان الاسنان جمع سن والاسنة جمع الاسنان والركب
جمع الركاب فكانه عليه السلام امرهم بان يمكنوا ركابهم زمان الخصب من
المرعى في طرق اسفارهم وعند نزولهم وارتحالهم فيكون ذلك عطاء
اسنانها والمراد تمكينها من استعمال اسنانها في اجتذاب الاكلاء وانتشاط
الاعشاب فكانهم بتمكينها من ذلك قد اعطوها اسنانها وهذا كما يقول

القايل

القايل لغيره اعط الفرس عنانها واعط الراحلة زمامها اى مكنهما من التوسع
في الجري ومد العنق في الخطو . وعندي في ذلك وجه اخر وهو ان يكون
المراد مكنوا الركاب في الخصب من ان تمتنع بكثرة الرعي والاستكثار من المراتع
لانهم قد عبروا في اشعارهم عن سمن الابل وبدنها بالسلاح تارة وبالاسنة
قال الشاعر . ولا تاخذ الكوم الجلاد سلاحها له عند عثرات الشتاء الصنابر
اى لم تمنعه سمن ابله وشارتها في عينه من ان ينحرها لاضيافه وينيلها
لطارقه فجعل السمن لها كالسلاح الذي تدافع به عن نحرها وتماطل
به عن عقرها وقد قال الاخر في مثل ذلك وعنى الابل . حاليت فيها
ولم تاخذ اسنتها . ومن ابيات لابن رسلة الاسلمي يمدح بها النبي
عليه السلام . وابلك حقا ان ابل محمد عزل اذا ما راح ان يهب شمال
وانا راين لدى الفنا غريبة فاضت لهن على الخدود سجال . يقول
ان ابله تبذل عند نزول النازل وطروق الطارق فلا تمنع من
عقرها بركابها وشارتها فكانها عزل لا سلاح معها كما جعل
الاول هذه الحال بمنزلة السلاح لها . واراد بقوله واذا راين لدى
الفناء غريبة . اى راين ذبحة غريبة بفناء النبي عليه السلام
بكين وثبا وحزنا علما بانهن يجزرن لها ويعقرن لاجلها وكذلك اذا
هبت الشمال وهجم الشتاء اذن بالعقر وانتظار النحر . وسقا

يقوى ذلك ما جاء في الحديث المشهور عنه عليه السلام وهو قوله ان الجفاء
والقسوة في الفدادين الا من اعطى في نجدتها ورسلها • والفدادون
ها هنا على اصح الاقوال هم اصحاب الابل الكثيرة • فكانه عليه السلام
قال الا من اعطى من ابله في حال كثرة شحومها وشارة جسومها وسمى
ذلك نجدة لها على ما قدمنا القول فيه لانها اذا كانت في تلك الحال
كانت كالمانعة لصاحبها من نحرها لنفاستها وشحا عليها فكانت بهيئتها
كالنجدة لها والسلاح الذي تدفع به عن انفسها • وقد قيل في رسلها
ها هنا قولان احدهما في حال كثرة البانها موافقة لقوله عليه السلم
في نجدتها اذا كان ذلك بمعنى حسن شارتها • والقول الاخر ان يعطيها
في حال هون عليه اعطاؤها فيها وفي حال نقصان شحومها وخفة
جسومها من قولهم تكلم فلان على رسله اي في الكلام هين عليه غير
متمهل فيه غير عجل وساكن غير قلق فكان المعنى الا من اعطاها في
حالي كرامتها وهوانها واستقباحها واستحسانها كقولك في حال
العسر واليسر وعند الطوع والكره والقول الاول هو المعتمد • ومن
ذلك قوله عليه السلم انا بريء من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول
الله قال لا تراءا ناراهما • وهذه استعارة وقد قيل في تراءي النارين
قولان احدهما ان يكون المراد ان المسلم لا ينبغي له ان يساكن المشرك في بلد

بلد

فيكون منه بحيث اذا اوقد كل واحد منهما نارا رآها الاخر فجعل التراءي
للنارين وهو في الحقيقة للموقدين والاصل في ذلك المدانات والمقابلة
يقول القائل دور بني فلان تتناظر اي تتدانى وتتقابل ويقولون
للمسترشد اذا اخذت في طريق كذا فنظر اليك الجبل فخذ عن يمينه او عن
يسارك والمراد اذا قابلك الجبل فنظرت اليه فجعلوا النظر له لانهم
اقاموا الجبل مقام الربيئة الناظر او الرفيق المساير • وقال الشاعر •
على الدار من حسنى جبين فواهب لنا دار اي هضب القليب المضيح • و
هضب القليب والمضيح موضعان متقاربان يجعلهما لتحاذيهما كانهما
يترايان • ومثله قول الاخر حيث ترى الاثير والمناذر • والوجه الاخر ان
يكون المراد بالنار ها هنا نار الحرب لانهم يكنون عن الحرب بالنار لما فيها
من رهج الضراع ووهج القراع • ومن ذلك قول الشاعر • هما حيان
يصطليان حر نار نار الموت بينهما جليل • وعلى هذا المعنى جاء التنزيل
بقوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله • فكانه عليه السلام
قال فناراهما مختلفتان اي حرباهما متباينتان هذه تدعو الى الهدى
والرشاد وهذه تدعو الى العمى والضلال وقد يجوز عندي في ذلك وجه
اخر وهو ان يكون المراد لا يجتمع ميسماهما ولا يختلط سرحاهما لان النار
عندهم اسم لسمات الابل يقولون على هذه الابل نار بني فلان اي سمتهم

وعلى هذا قول بعض خزاب الابل في ذكر اذواد استبلها واراد عرضها
ليبيعها ليتلقى الباعر بها جارها · اذ زعزعوها فسمت ابصارها
فكل دار لاناس دارها · وكل نار العالمين نارها اي هي ماخوذة
من قبائل شتى فوسمها غير مشتبه ونجارها غير متفق وهذا الوجه
يعود الى معنى الوجه الاول لان المراد بان المسلم والمشرك لا يجوز
اجتماعهما في دار حتى تجتمع اذوادهما في المرعى واورادهما في الورد
فقوله عليه السلام على هذا الوجه لا تترايا ناراهما اي لا تختلطا وسمًا
واما الحديث الاخر وهو قوله عليه السلام لا تستضيئوا بنار اهل
الشرك فقيل ان المراد به لا تستشيروهم في اموركم فتعملوا بارائهم
وترجعوا الى اقوالهم · وهذا ايضا مجاز لانه عليه السلام شبه
الاستشارة بالراي بالاستضاءة بالنار اذ كان مثله كمثلها في
تبيين البهم وتنوير المظلم **ومن ذلك قوله عليه السلام** ان عم الرجل
صنو ابيه · وهذه استعارة والمراد ان اصلهما من منبت واحد فهما
كالنخلتين من الصنوان يجمع اصلاهما ويفترق راساهما فيكونان
اثنين في الرؤية وفي الاصل واحدا في الحقيقة يقال صنو والجمع صنوان
مثل قنو والجمع قنوان · قال سبحانه صنوان وغير صنوان · وقيل
ايضا الصنوان المجتمع وغير الصنوان المفترق **ومن ذلك قوله عليه**

تمسحوا بالارض فانها بكم برة · وهذه استعارة والمراد بقوله
فانها بكم برة يرجع الى انها كالام للبرية لان خلقهم منها ومعاشهم
عليها ومرجعهم اليها · فلما كانت الارض تجمع اليها الناس الوجوه
التي ذكرناها كان قوله عليه السلام فانها بكم برة يرجع الى وصفها
بالامومة لانهم يقولون الارض ولود يريدون كثرة انشاء الخلق
منها واستيلادهم عليها · وقال ذو الرمة في وصف الام البرة وهو
يذكر فراخ النعام جاءت من البيض زعرا لا لباس لها الا الدهاس وام
برة والدهاس الرمل · وللقول عليه السلام تمسحوا بالارض وجهان
احدهما ان يكون المراد التيمم منها في حال الطهارة وحال الجنابة
والوجه الاخر ان يكون المراد مباشرة ترابها بالجباه في حال السجود
عليها وتعفير الوجوه فيها ويكون هذا القول ارتياديا لا امر
وجوب لان من سجد على جلدة الارض ومن سجد على حائل بينها وبين
الوجه واحد في اجزاء الصلوة الا ان مباشرتها بالسجود افضل وقد
روي ان النبي عليه السلام كان يسجد على الخمرة وهي الحصير الصغير يعمل من
سعف النخل فبان ان المراد بذلك فعل الافضل لا فعل الاوجب وفيما
يقرب بشبهنا من هذا الخبر ما روي من قوله عليه السلام نعمت العمة لكم النخلة فكانما
لانتفاعهم بها وتعويلهم على ثمرتها قد قامت مقام القرابة الحاضنة وذات

الرحم المحضة • ولم يجعلها عليه السلام بمنزلة الام للناس كما جعل الام
في الجزء الاول لانهم في الحقيقة لم يخلقوا منها ولم ينتسبوا اليها فجعلها
من حيث الانتفاع بها بمنزلة اقرب الاناث القرايب من الانسان بعد
الام والبنت واللاتي ولدهن هو وتلك عمة الانسان وخالته الا
ان اخت الاب بمنزلة اخت الام ولذلك جعلها عمة ولم يجعلها
خالة • ومن ذلك قوله عليه السلام في دعاء كان يدعو به رب تقبل
توبتي واغسل عني حوبتي • وهذه استعارة والحوبة والحوب الاثم
والمراد احطط عني وزري وتعهد ذنبي وخطيئتي ولكن المعصية لما
كانت كالدرن الذي يصيب الانسان فيخشن اثره ويقبح منظره اقام
عليه السلام اماطتها ونزعها واسقاطها مقام غسل الادران
واماطة الادناس لان الانسان بعدها يعود نقي الاثواب طاهرا من
العاب • وهذا الدعاء من النبي عليه السلام على وجه التعبد والخضوع
والتطامن والخشوع لا ان له عليه السلام حوبة يستحط وزرها ولا
يستغسل درنها • او يكون قوله عليه السلام ذلك على طريق التعليم لامته
كيف يتوب العاصي وينيب الغاوي ويستامن الخائف ويستقيم
الجانف • والسبب الذي لاجله • قلنا ان الانبياء عليهم السلام لا يجوز
ان يواقعوا المعاصي ويقدموا على المغاوي ان الحكيم تعالى اذا ارسل

رسولا اجتباه كما ينفر عنه ويصرف عن القبول منه وتجويز ما يقطع على
انه منفر ماخوذ من عادات الناس وكباير المعاصي كلها منفرة لانها
تخرج من ولاية الله تعالى الى عداوته وتوجب عاجل مقته وآجل
عقوبته وفي الصغاير خلاف ليس كتابنا هذا موضع بيانه واستقصا
محاجته وقد بسطنا الكلام على ذلك في باب مفرد من جملة كتابنا
الكبير في متشابه القران فمن اراد استيعاب معانيه ومعرفة الخلاف
فيه فليقصد مظانه من هناك بتوفيق الله • ومن ذلك قوله
عليه السلام من سره ان يذهب كثير من وحر صدره فليصم
شهر الصبر وثلثة ايام من كل شهر • فقوله عليه السلام وحر صدره •
استعارة والمراد غشه ودغله وفساده وغله وذلك ماخوذ من
اسم دويبة يقال لها الوحرة وجمعها وحر وهي شبيهة بالحرباء • وقال
بعضهم هي تشبه العظاية اذا دبت على اللحم فاكل منه انسان وحر صدره
اي اشتكى لاجلها فيه ويقال انها شبيهة باليعسوب الاحمر تسكن القلب
والاباء • قال الراجز • في كل يوم قربة موكن • [illegible]
فشبه عليه السلام ما يسكن صدر الانسان من الغش والبلابل ويجوب
في قلبه من مذمومات الخواطر بهذه الدويبة المعروفة فكانه عليه السلام
شبه القلب [illegible] وشبه ما يجن فيه من غله بما يجني في القلب من [illegible]

ومن ذلك قوله عليه السلام اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
من همزه ونفثه ونفخه فقيل يا رسول الله ما همزه ونفثه ونفخه
فقال اما همزه فالموتة واما نفثه فالشعر واما نفخه فالكبر ف
في هذا الكلام استعارات ثلث . الاولى منها الاستعاذة من همز
الشيطان واصل الهمز الغمز والدفع وكل شيء دفعته فقد همزته و
يروى بيت القطامي . تراهم يهمزون من استركوا ويجتنبون من
صدق المصاعا . ويروى يغمزون فالهمز على ما فسره النبي عليه
السلام هاهنا الموتة وهي الجنون . وعلى الحقيقة فان الشيطان لا
يهمز الانسان ولا يصرعه ويوسوس له وينزغه وقد صرح التنزيل
بذلك فقال تعالى . وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم
وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي الاية فعلمنا انه لا سلطان له على الانسان
الا بالوساوس والتخاييل وضروب التساويل فلما كان ما يلحق المجنون
من الافزاع وما يأخذه من الهزء والانزعاج عن وساوس الشيطان
جاز ان ينسب ذلك الى همزه وغمزه على طريق المجاز والاتساع في
نطاقه . والاستعارة الثانية الاستعاذة من نفث الشيطان
وهو الشعر على ما فسره النبي عليه السلام وذلك مخصوص في شعر المشركين

الذين كانوا يهجون به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وخيار المسلمين
او ما يجري مجراه من اشعار المسلمين الاسلاميين لانه عليه السلام قد
قال ان من الشعر لحكمة فلا يجوز ان يكون هذا القول عاما ولا لجميع الشعر
عموما وموضع الاستعارة ان الشيطان لما كان يزين للمشركين الطعن
في اعراض المسلمين وكان الشعر ما تلفظ به السنتهم شبهه عليه السلام
بالشيء الذي تنفثه افواههم ونسبه الى الشيطان لان تزيينه ما زين
لهم كان سببا لما نفثته السنتهم . وقد يجوز ان يكون انما نسبه الى
نفثه لان الشيطان كانه نفثه في افواههم وتكلم به على السنتهم كما
يقولون للمتكلم بالكلمة الغاوية ربما نطق على لسانك الشيطان وقال
الفرزدق في قصيدته التي يهجو فيها ابليس وهي مشهورة . لان ابن
ابليس وابليس البنا لهم بعذاب الناس كل غلام . هما نفثا في فيّ
من فويهما . على النابح العاوي اشد لجام . ويروى رجام ويقولون
النساء لكل غلام أي سقياه اللبن وكانهما غذياه بذلك فدربه ونشأ
عليه تعوّده . والاستعارة الثالثة الاستعاذة من نفخ الشيطان
وهو على ما فسره عليه السلام الكبر والعجب ولا نفخ هنالك على الحقيقة
وانما المراد بما يسوله الشيطان للانسان من تعظيم نفسه واستعلا
شيء وتصغير الناس في عينه فكانه بهذا الفعل نفخ في روعه ما يستشعر

بالتراحق من عينه بالمعظم وأولى بالتفخيم تشبيها بالشيء الأجوف
كالزق وما في معناه لأنه إذا نفخ فيه انتفخ فيه ضخم وعظم بعد صغر
ومن قولهم للمتكبر إذا انحرف في الكبر وانشطا من العجب قد نفخ
الشيطان في مناخره يريدون به المعنى الذي قدمنا ذكره ومن
ذلك قوله عليه السلام العين وكاء السه فإذا نامت العين
استطلق الوكاء. وهذه من أحاسن الاستعارات والسه اسم
للسبه. قال الشاعر: شأتك قعين غثها وسمينها وأنت السه
السفلى إذا دعيت نصر. فكأنه عليه السلام شبه السه بالوعاء
وشبه العين بالوكاء فإذا نامت العين انحل صرار السه كما أنه إذا
زال الوكاء دسم بما فيه إلا أن حفظ العين للسه على خلاف حفظ
الوكاء للوعاء فإن العين إذا شرجت لم تحفظ السه والأوكية
إذا حلت لم تضبط أوعيتها ومن الناس من ينسب هذا الكلام إلى
أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد ذكر ذلك محمد بن يزيد المبرد في الكتاب
المقتضب في باب اللفظ بالحروف وفي الأظهر الأشهر أنه للنبي عليه
السلام ومن ذلك قوله عليه السلام وهو يسأل عن سحائب مرت
كيف ترون قواعدها وبواسقها وكيف ترون رحاها في حديث
طويل. وفي هذا الكلام استعارات ثلاث فإنه عليه السلام شبه أصولها

ومناشيها

ومناشيها وحواملها ومباديها بقواعد البيت التي هي أصل بنايه وأول
الناير وشبه فروعها المستطيلة إلى أوساط السماء وأعاليها البعيدة عن
الآفاق بفروع الشجر الباسقة التي هي ملتفة ذوائبها ومن ثم أفنانها وبقاء
ينبت الجرع والنخل بسقان سوقا إذا طالتا وكل طويل باسق وفي
التنزيل والنخل باسقات لها طلع نضيد. وشبه مستدارها في السماء
عند استوائها بالرحا المستديرة على قطبها. ومن ذلك قيل رحا الحرب وهو
الموضع الذي يستدار فيه لمعاركة والجلاد والتفاف الرجال بالرجال
ومنه قول سليمان بن صرد الخزاعي في حديث لم أثبت عليا أمير المؤمنين
حين نبع بي عن مرتحا الجمل يريد عن مجتمع ملك الحرب بالمكان المخصوص
الذي دارت به رحاها وبلغت فيه منتهاها وعلى ذلك قول الكميت
بن زيد يصف السحاب كأنما الزجل والصهيل به رحى مراس الحروب ذو الجلب
يريد بالزجل والصهيل حفيف ودوي وإرزام رعده. ويحتمل قولهم رحا
الحرب وجهين. أحدهما أن يريد به اللبث والاستقرار والآخر أن
يريد به الجولان والدوار. وقد يجوز أن يكون قوله عليه السلام في السحابة
كيف ترون رحاها يريد به صوت رعدها كما شبهه من لمع برقها وكثيرا
ما تشبه أصوات الرعود القاصفة بقعقعة أصوات الأرحاء الدائرة ولا
يمنع أن يعبر عما تسمعه الأذن بعبارة ما تشاهده العين كما يقول القائل

لمن اذا سأله عن سماع الغناء المطرب والحداء المعجب كيف ترى هذا
الغناء وكيف ترى هذا الحداء وذلك شائع عند اهل اللسان ومن
ذلك قوله عليه السلام كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملؤه وليس لاحد على
احد فضل الا بالتقوى في حديث طويل فقوله عليه السلام طف الصاع
ههنا استعارة والمراد ان كل من كان من ولد آدم عليه السلام فهو بعض
لا يوصف بالتمام ولا يعطى منزلة الكمال وانما يتفاضل الناس باعمالهم و
يفضلون بكسب فضائلهم وانما يوصف الانسان بانه فاضل اذا اضيف
الى الناقص والا فلا بد من نقايص تتخلل فضائله وتتوسط محاسنه
اما بان يكون فاضلا في حال وناقصا في حال واما بان يكون فاضلا من
وجه وناقصا من وجه . وقوله عليه السلام طف الصاع لم تملؤه من
العبارات العجيبة عن هذا المعنى يريد ان كلكم قاصر عن غاية الكمال تشبيها
بطفاف المكيال وهو ان يقارب الامتلاء من غير ان يمتلئ يقال طف
المكيال وطفافه اذا اريد به هذا المعنى وهو ضد الطلاع والطفاح لان
هاتين اللفظتين يعبر بهما عن بلوغ غاية الامتلاء واللفظة الاولى
يعبر بها عن الوقوف دون حد الامتلاء ويقال اناء طفحان اذا بلغ المساء
الكثير ولم يبلغ غايته ولو قال عليه السلام انتم بنو آدم كطف الصاع خرج
الكلام عن ان يكون مستعارا لان دخول كاف التشبيه في الكلام يخرجه عن باب

المجاز ومثل قوله عليه السلام في حديث خرجت حين بزغ القمر كانه فلقة جفنة
ومثل قوله عليه السلام في حديث فان الشاعر كالحامل المتم التي لا يدري اهلها
متى يفجأهم بولادها ليلا او نهارا . ولو قال القمر فلقة جفنة والشاعر
حامل متم كان الكلام من حسن الاستعارة ومن هذا القبيل قوله عليه السلام
المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا لكان من قبيل المجاز ومثل ذلك
ايضا قوله عليه السلام لقوم كانوا يرفعون ايديهم في الصلوة ما لي اراهم
يرفعون ايديهم كانها اذناب خيل شمس ولو قال ايديهم اذناب خيل
شمس لكان الكلام مستعارا ولذلك نظاير كثيرة يطول بذكرها الكتاب
وللمريض عليه السلام بقوله طف الصاع في ارادة الغرض الذي كنا
عليه في المنحى قال لم تملؤه فزاد المعنى ايضاحا والكلام اوضاحا
وفي بعض هذا القول نهي عن الافتخار على الناس الا بالفضائل الدينية
دون الفضائل الدنياوية وهو معنى قوله عليه السلام ليس لاحد على
احد فضل الا بالتقوى لان فضائل الدين وصلة يتوصل بها الى
النعيم الباقي والربح الطوال وفضائل الدنيا لا تعدو اعيانها ولا
تتوصل الى ما بعدها فهي كالغرس الذي لا يثمر والزاد الذي لا يبلغ ومن
ذلك قوله عليه السلام اللهم انا نعوذ بك من الايهمين . و
قيل انهما السيل والحريق . وقيل بل هما السيل والجمل الصؤول

وتسمية كل واحد من هذه الثلثة بالايهم مجاز وذلك ان الايهم ههنا
اسم للشي الذي لا يملك دفعه ولا يستطاع رده ولا له نطق فيكلم ولا سمع
فيستجيب ولا معقول فيستعتب ومن ذلك قيل للفلاة يهماء اذا كانت
عمياء المسالك لا يهتدى بآيابها ولا يستدل باعلامها • وقال
الاعشى ويهماء بالليل عطشى الفلاة يؤنسني صوت فيادها
الفياد اسم طاير وقيل انه ذكر البوم • ومثل تسميتهم الشي ايهم اذا كان
على الصفة التي ذكرناها ما انشدناه شيخنا ابو الفتح عثمن بن جني النحوي
رحمه الله واظنه من ابيات الكتاب وذاهبة تقتعها الرجال برهوة
الحذ لا فالها قال والمراد بقوله لا فالها اي ليس لها جهة واحدة تنحى
منها كما ينحى الحيوان العادي من جهة انيابه او ناجره اظفاره بل كل
جهاتها محذورة وكل نواحيها مخوفة • وقد روي في هذا الخبر كان يتعوذ
من الايهمين المعوذ من الاعميين والمعنى فيهما متقارب لان الايهم هو
الذي لا يعلم كيف يدفع ومن اي وجه يضبط والاعمى هو الذي لا يعلم
على اي يده ولا لاي وجه يقصد **ومن ذلك قوله عليه السلم**
لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الامين ويؤتمن الخاين
وتهلك الوعول وتظهر التحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم • و
التحوت الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يؤبه لهم • فقوله عليه السلم

الوعول والتحوت مجازان على التفسير الذي ذكره صلى الله عليه وعلى آله
لانه شبه علية الناس وجلتهم بالوعول لانها تعلو اقلال الجبال وتكون في
شعف الهضاب فهي ابدا عالية المنازل بعيدة على المتناول وقوله
التحوت وهو جمع تحت يريد الخاملين المغمورين والقليلين الذليلين
لانهم الطبقة السفلى من الناس وهم الذين نزلوا عن غايات العلية وقعدوا
بمهابط الذلة فكانهم تحت نعال الناس واشرافهم والاشراف والوجوه
فوق لهم • ويفسر عليه السلام التحوت بانهم الذين كانوا تحت اقدام
الناس لا يعلم بهم مجاز آخر وليس المراد انهم كانوا تحت مواطئ الاقدام على
الحقيقة • وانما المراد انهم كانوا من خمول الذكر وغموض القدر بحيث يشبهون
بالشي الموطوء للذلة والمنبوذ للمهانة **ومن ذلك قوله عليه السلم**
في الكتاب الذي كتبه لصاحب دومة وهو المعروف باكيدر صاحبها
صلى الله عليه وعلى آله من محمد رسول الله ان لنا الضاحية من البعل
ولكم الضامنة من النخل • وفي رواية اخرى ان لنا الضاحية من الضحل
ولكم الضامنة من النخل • والضحل الماء القليل والرواية الاولى
اصح والضاحية من البعل هي النخل التي في ضواحي البلدة وصحاريها
والبعل اسم لما شرب الماء بعروقه من الارض ولم يسقه احد بالسقي • ويقال
عذ العذبة واخر • هذا الذي لا يبالي الماء يحمل ولا يسقى وان عظم الاناء

ويروى بخل يغل. وقوله عليه السلام ولكم الضامنة من النخل مجاز
والمراد بالضامنة هاهنا ما تضمنته القرى والامصار من النخل فسماها
عليه السلام ضامنة وهي في الحقيقة مضمونة وهذا موضع المجاز. و
مثل ذلك قول الشاعر. ومحترش ضب العداوة منهم بحلو الخلا حرش
الضباب الخوادع فجعل الضباب خوادع وهي في الحقيقة مخدوعة لانها
تخدع بضروب من الحيل حتى تخرج من مجاحرها وتستذل لو تمكن منها
والخلا مقصور اسم من اسماء الحشيش وهو ايضا اسم لحسن الكلام وهو
المراد في هذا المكان يقال انه لحسن الخلا اذا كان حسن الكلام ومن
ذلك قوله عليه السلام في حديث تاستذكروا القرآن فلهو اشد
تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها. كذا رواه ابو عبيد و
رواه ابو عبيدة تعاهدوا القرآن بالدرس فلهو اشد تفصيا من صدور
الرجال من الابل المعقلة تنزع الى اوطانها. فقوله عليه السلام فلهو اشد
تفصيا من صدور الرجال مجاز. والمراد بالتفصي هاهنا الذهاب
والانفلات. قال الشاعر. يا حفص ما كنت ذا التفصي والانـ
البين المقض. فكانه عليه السلام شبه تفلت القرآن وذهابه من
الصدور اذا لم يحادث بالتلاوة ويتعهد بالقراءة بتفلت النعم
المعقلة من عقلها اذا لم يستظهر باحكام عقلها فاقام عليه السلام

الاستكثار من درس القرآن فانه يجمع متشتته ويضبط منفلته
مقام الاستظهار بعقل النعم فانه يقصر منتزعها ويحبس نوازعها
والكلام هاهنا يدل بمفهومه على ان القرآن هو المتفصي من الصدور
والحقيقة ان القلوب هي المتخلية منه والتاركة له فلما كان الامر
كذلك جاز على طريق المجاز ان يقال ان القرآن هو التارك لها والمتفصي
منها ومن ذلك قوله عليه السلام وقد سئل عن الابل فقال اعنان
الشياطين لا تقبل الا مولية ولا تدبر الا مولية ولا ياتي نفعها الا
من جانبها الاشأم. فقوله عليه السلام اعنان الشياطين مجاز و
الاعنان النواحي. ومنه قولهم اعنان السماء اي نواحيها. و
قال بعضهم الصحيح اعناء الشيء نواحيه. فالاول قول
البصريين. والثاني قول الكوفيين. والمراد بقوله عليه السلام نواحي
الشياطين على القولين جميعا المبالغة في وصف الابل بالاخلاق
السيئة والطباع المستصعبة. فكان الشياطين تحاطها وتنفرها
وتهيجها وتؤزها. ومما يقوي ذلك الحديثان الاخران في ذم الابل
فاحدهما قوله عليه السلام ان الابل خلقت من الشياطين. والحديث الاخر
قوله صلى الله عليه وعلى آله ان على ذروة كل بعير شيطانا. وهذا
ايضا مجاز لانه عليه السلام بالغ بذلك في وصف الابل بالحران والنفار

وانما اضاف عليه السلام الاطلاق والايثاق الى العمل لان العمل سببهما
وصلاحه وفساده موثر فيهما وقوله يوتغه المراد به يهلكه يقال
وتغ الرجل يوتغ وتغا اذا هلك وقد اوتغه غيره اذا اهلكه ومنه
قولهم اوتغ فلان دينه اذا اثمه وافسده ويروى او يوبقه والمعنيان
متقاربان ومن ذلك قوله عليه السلام في كتاب كتبه لثقيف
وان ما كان لهم من دين الى اجل فبلغ اجله فانه لياط مبرأ من
الله وهذه استعارة والمراد باللياط هاهنا الربا المضاف الى
روس الاموال كانه عليه السلام شبهه بالشي الملصق بالشي والمضاف
اليه وكل شي الصق بشي فقد ليط به ومنه لياط الحوض وهو ما يلصق
بعض احجاره الى بعض عند بنايه او اصلاحه من طين او ما يقوم مقامه
يقال قد لاط فلان حوضه اذا مدره واصلحه وفي حديث امير المومنين
عليه السلام مع الفرزدق وان اباه غالبا جاء به اليه صلى الله عليه وهو
يلوط حوضا له وفي قوله عليه السلام مبرأ من الله سر لطيف وهو
انه لما جعل الربا ملصقا الى اموالهم على الوجه المذموم جعله
مبرأ من الله سر لطيف وهو انه لما جعل الربا ملصقا الى اموالهم
على الوجه المذموم جعله مبرأ من الله سبحانه فكان ذلك الالصاق
بالاموال سببا للتبري من الله تعالى والمراد مبرأ من رضا الله او من

دين الله او من ثواب الله لا بد من تقدير واحد من هذه المضافات لان
الله سبحانه لا يجوز ان يتصل به شي على الحقيقة لان ذلك من صفات
الاجسام المكتنفة والابعاض المولفة التي يجوز عليها ان تتدانى فتلتصق
وان تتنائى فتفترق تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وليس هذا من
مواضع استقصاء الكلام على هذا المعنى وقد يجوز ان يكون المراد
باللياط هاهنا القشر يقال ليط ولياط وقال الشاعر
يصف قوسا عربية فلك بالليط الذي تحت قشرها كغرقئ بيض
كنه القيض من عل فقوله فلك اي شدد بترك قشر النبع عليها ما
تحته من عودها فتقويت بانضمام القشر اليها وذلك ماخوذ من
قول القايل ملكت العجين اي احكمت عجنه وموضع الذي هاهنا
نصب بفلك كانه قال فقوى الليط عود القوس والغرقئ القشر
الرقيق الذي بين جسم البيضة وبين قشرها الاعلى والقشر الاعلى هو القيض
والليط ايضا لون الشي ذكر ذلك ابو عبيد في الغريب المصنف فيكون
الربا المضاف الى روس الاموال على هذا القول شبيها بالقشر المضاف
الى العود فان العود مثل القايم بنفسه والقشر كالتبع له والمنوط به
ومن ذلك قوله عليه السلام ان الشيطان نشوقا ولعوقا ودساما
وهذه الكلمات الثلث محمولة على المجاز لان النشوق ما استنشق

بانفذ اللعوق ما لعقه بلسانه والادام هاهنا الشيء الذي يجعله
لادنه يقال منه دسمت الشيء ادسمه دسما اذا سددته والمراد بهذه
الكلمات قريب من المراد بالحديث الذي تقدم كلامنا عليه في هذا
الكتاب وهو استعاذته عليه السلام من همز الشيطان ونفثه ونفخه
عليه السلام شبه ما يخيل الشيطان للانسان من العجب بنفسه والازدراء
على غيره حتى يبتهج بانفه ويتاى بعطفه بالشوق الذي يشغل بالا ويحدث
لهذا الخلق الذميم والطبع اللئيم • وقوى ذلك بذكر اللعوق فكان
الشيطان يلعقه بهذا التسويل لعوقا اذا وصل الى جوفه احدث له
خيلاء الكبر ومثله في غلو العجب • وشبه عليه السلام صرف الشيطان
للانسان عن مراشده واصمامه عن سماع قول مرشده بالادام وبالصمام
الذي تسد به الاذن فيحجز عن سماع الاصوات وزواجر العظات
ومن ذلك قوله عليه السلام خير الناس في آخر الزمان الرجل المؤمن
وهذا مجاز والمراد بالمؤمن هاهنا الرجل الخامل الشأن الخفي المكان
لا الكبير النوم على الحقيقة ومثله الحديث الاخر • رب ذي طمرين
لا يؤبه له لو اقسم على الله لابر قسمه • لان الخاشع العابد المنقطع الزاهد
كثيرا ما يكون خامل الشخص ميت الذكر لخفائه عن النواظر وانقطاعه
عن المجامع ومن ذلك قوله نام [illegible] ان [illegible] وسقط

نهم

ارتفاعه قال الشاعر • نامت جدودهم واسقط نجمهم والنجم يسقط والجدود
نيام ومن ذلك قوله عليه السلام من فارق الجماعة فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه • وهذه استعارة والربقة حبل يربط فيه عودين ثم
تجعل فيه عرى تشد فيها السخال اي تربط بها • ويقال في ابل الصدقة
عقال عام واحد لان الغنم ترتبق • والمراد بذلك صدقة عام واحد من
الابل او الغنم فشبه عليه السلام ما في عنق الانسان من لوازم الاسلام
وعلائق الايمان بالربقة التي في عنق السخل لانها تصونه اذا هم بالشرود
وتمسكه اذا جاذب الى الشرود وكذلك الاسلام يمنع صاحبه من الارتكاب
في المحظورات والتهوك في الضلالات ومن ذلك قوله عليه السلام
في حديث طويل يؤخرون الصلاة الى شرق الموتى • وقد قيل في ذلك
اقوال كلها بعيد عن المجاز ومع ذلك فمخرج الكلام من جنس الاستعارة
عند قول واحد وهو ان يكون المراد انهم يؤخرون الصلاة الى ان لا يبقى
من النهار الا بقدر ما بقي من نفس الميت الذي قد شرق بريقه وعجز
بقية نفسه فشبه عليه السلام ذلك ببقية شفا الذماء التي قد آن
انقضاؤها وحان فناؤها ومن ذلك قوله عليه السلام لا ترفع
عصاك عن اهلك • وهذا القول مجاز على اكثر الاقوال • وذلك
انه عليه السلام لم يرد الضرب بالعصا على الحقيقة لان ذلك يكون عنفا

وتعذمونهم فاعله الانزاه عليه السلام يوصي امته بان يرفقوا بمن ملكت
ايمانهم ويحنوا عليهم ويرافقوهم ويعطفوا اليهم فكيف بالاحرار من الاهل و
الولد الذين حقهم اوجب والحنو عليهم اولى واوكد وانما المراد لا تنزع الادب
عنهم ولا تغب التقويم لهم فكنى عن ذلك بالعصا لان الكلام على عرف
العرب لان المتعارف بينهم ان التاديب في الاكثر لا يكون الا بقرع
العصا • وقد يجوز ان يكون المراد بذلك الاجتماع والايتلاف من قولهم
فلان قد شق عصا المسلمين اذا فرق جماعتهم وبدد الفتهم ومن قول
صلة بن اشيم لابي السليل اياك وقتيل العصا يقول اياك ان تكون قاتلا
او مقتولا في شق عصا المسلمين ومنه قول جرير • فلما التقى الحيان القيت
العصا ومات الهوى لما اصيبت مقاتله • يقول لما التقى الحيان
وقع الايتلاف والالتئام وزال التشعب والتنبو • فكانه عليه السلام اراد بقوله
لا ترفع عصاك عن اهلك اي احملهم ابدا على الصلاح والايتلاف وامنعهم
من الفساد والخلاف ويقال للرجل اذا كان رفيق السير جيد الايالة
انه للين العصا قال معن بن اوس المزني عليه شريب وادع لين العصا
يساجلها جماته وتساجله • وقد تكلمنا على نظير هذا الحديث فيما تقدم
ومن ذلك قوله عليه السلام لبعض اصحابه كيف تصنع في فتن تنجم
من اطراف كانها صياصي بقر • وفي هذا الكلام مجاز على بعض الاقوال

وهو ان يكون المراد تشبيه الفتن الناجمة من اطراف الارض بنجوم صياصي صح
البقر وهي قرونها وانما سميت صياصي تشبيها لها بالصياصي التي هي
الحصون فكانها تحتمي بقرونها كما تحتمي الرجال بحصونها فاراد عليه السلام
ان الفتن تنجم صغارا ثم تعظم وتبدو ضئيلة ثم تستشري كنجوم قرون البقر
لانها تبدو اولا ضئيلات ثم تكون شككا شائكات • وقد يجوز ان يكون
المراد تشبيه الفتن هاهنا بقرون البقر البالغة في وصفها بالحدة والشرع
وكثرة العديد والعدة • وقد يجوز ايضا ان يكون شبهها بقرون البقر لكونها
ما يشرع فيها من الاسنة الا ترى الى قول بعض العرب الاسنة قرون الخيل
لانها توضع منها مكان القرون من ذوات القرون وسلاح الخيل عواليها
كنطح البقر بصياصيها وليس موضع المجاز من هذا الكلام قوله عليه السلام
كانها صياصي بقر لانا قد ذكرنا فيما تقدم ان دخول كاف التشبيه
في الكلام يخرجه من باب المجاز ولكن الموضع الذي يكون فيه هذا المعنى
من جنس المجازات قوله عليه السلام في فتن تنجم من اطراف الارض فجعلها بمنزلة
النبات الذي يكون خافيا فيظهر والقرون الناشئة التي تكون صغارا
فتكبر • ومن ذلك قوله عليه السلام في حديث يذكر فيه اشراط
الساعة فعند ذلك تقيء الارض افلاذ كبدها • وهذا من الاستعارات
العجيبة لانه عليه السلام شبه الكنوز التي استودعتها بطون الارض بافلاذ

الكبد وهي شحمها وقطعها لان شعب الكبد من شرايف الاعضاء الرئيسة فكذلك الكنوز من جواهر الارض النفيسة. ولما شبههما عليه السلام بافلاذ الكبد من الوجه الذي ذكرناه جعل الارض عند اخراجها كانها تقيأت ودفعت بما استودعت منها. وفي قوله عليه السلام تقيء الارض افلاذ كبدها زيادة فايدة في المعنى المراد وهو وصف الارض بالمبالغة في اخراج كنوزها حتى لا يخفى منها خافية ولا تبقى باقية وذلك كما يقول القايل قد تقيأ فلان كبده اذا اراد المبالغة في وصفه باستفراغ جميع ما في جوفه وذلك معروف في كلامهم وموضوع على قاعدة العرف بينهم. ومن ذلك قوله عليه السلام في حديث من قال كذا وكذا غفر له ولو كان عليه طفاح الارض ذنوبا. وهذه استعارة والمراد ولو كان عليه ملاء الارض ذنوبا. وجعل الارض كالاناء الذي طفح ماؤه وبلغ الغاية امتلاؤه. وفي قوله عليه السلام طفاح الارض زيادة معنى على قوله ملاء الارض او طلاع الارض لان الطلاع والملاء يفيد ان بلوغ الحد في الامتلاء والطفاح يفيد مجاوزة الحد في الامتلاء. وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب. ومن ذلك قوله عليه السلام ان القرآن شافع مشفع وماحل مصدق. وهذا القول مجاز والمراد ان القرآن سبب لثواب العامل به وعقاب

العادل عنه فكانه يشفع للاول فيشفع ويشكو من الاخر فيصدق والماحل هاهنا الشاكي وقد يكون ايضا بمعنى الماكر يقال محل فلان بفلان اذا مكر به قال الشاعر الازدي ان هذا الناس قد نقضوا لنا على طول ما غشوا وما محلوا. ومن ذلك قوله عليه السلام لا تكونوا مغويات بال الله. وهذه استعارة والمغواة في الاصل زبية تحفر للسباع والذئاب ويترك راسها يخفى قعرها ويجعل فيها سخل ليستدعى به السبع او الذيب اليها فيكون مهلكه اذا وقع فيها فاراد عليه السلام بهذا القول لا تكونوا كالمهالك لمال الله بان تاخذوها بالمكر والخداع وتنفقوها في الحرام والضلال فتكونوا اذا كالمغويات التي تخدع ظواهرها وتهلك بواطنها وقال رؤبة بن العجاج يعني الدهر. الى مغواة الفتى بالمرصاد كانه قال يسوق الفتى الى مهلكته فشبهها بالزبية التي ذكرنا حالها ووصفنا الحيلة فيها. ومن ذلك قوله عليه السلام اياكم والمغمضات من الذنوب. وهذه استعارة والمراد بالمغمضات هاهنا على ما فسره الثقات من العلماء الذنوب العظام يركبها الرجل وهو يعرفها فكانه يغمض عينيه تعاشيا عنها وهو يبصرها ويتناكرها اغماضا وهو يعرفها ومثل ذلك قول ابي النجم يصف ناقة. يرسلها التغميض ان لم ترسل وذلك ان الناقة اذا غشيت الحوض الذي تذاد عنه حملها

شدة العطش على الاقتحام اليه فنفضت بقيتها وحملت على معنى الذادة
حتى تردها • وربما روى هذا الخبر بفتح الميم من المقضات فيكون المراد
على هذا الوجه ضد المراد به على الوجه الاول لان المقضات بالكسر
كما قلنا الذنوب العظام والمقضات بالفتح الذنوب الصغار و
انما سميت مقضات لانها تدق وتخفى فيركبها الانسان بضرب من
الشبهة ولا يعلم انه عاص بفعلها ولا معاقب من اجلها ومن
ذلك قوله عليه السلم وقد اتاه رجل فقال السلام عليك يا نبي الله
فقال وعليك ورحمة الله ثم اتاه آخر فقال السلام عليك يا نبي
الله ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقيل له يا رسول الله لم لم
تقل لهذا كما قلت للذين قبله فقال انه قد اشتفها يريد
انه استفرغ جميع التحية فلم يدع منها شيئا يرادّ به على لفظه ويرد
عليه جوابا عن قوله والاولان بقيا من تحيتهما بقية رددت عليهما
فاعدتها اليهما واصل ذلك ماخوذ من الشفافة وهو شرب بقية الماء في الاناء
او الحوض حتى يستنفد جميع ما فيه وتلك البقية تسمى الشفافة
قال الشاعر • اخو قفرات دبّت في عظامه شفافات اعجاز الكرى
فهو اخضع • يريد بقايا الكرى وصباباته ودليل ذلك قوله اعجاز
الكرى اي اواخره واعقابه • ومن امثال العرب ليس الري عن التشاف

يقولون ليس يروى العطشان تشتف بقية الماء حتى يستفرغ جميع
ما في الاناء • ومن ذلك قوله عليه السلم سيد الايام يوم الجمعة
وهذا القول مجاز والمراد ان ليوم الجمعة شرفا ومناقب يبين بها من
سائر الايام فيكون متقدما لها وعاليا عليها لما يختص به من
صلاة الجماعة التي يشترك فيها ويعظم اجرها كما يتقدم السيد
على من دونه ممن يعلوا الفضل ومناقب الذكر • ومن ذلك قوله عليه السلم
تزوجوا الشواب فانهن اغر اخلاقا • وفي هذا الكلام مجاز لان وصف
الخلق بانه اغر انما يراد به ناصع والبياض هاهنا عبارة عن الحسن كما
ان السواد في قولهم فلان اسود الخلق عبارة عن القبح فكانه عليه السلم
قال فانهن احسن خلقا كما ان الغر من الخيل احسن خلقا • ومن
ذلك قوله عليه السلم وقد سمع ناسا من اصحابه يتذاكرون القضاء
والقدر انكم قد اخذتم في شعبين بعيدي الغور • وهذا القول
مجاز لانه عليه السلم شبه القضاء والقدر وحقيقة علمهما ومعرفة
كنههما بالشعبين اللذين غورهما بعيد واقتحامهما شديد وطالب
غائضهما مجهود • يقول عليه السلم ان علمهما لا يدرك كالماء الغائر الذي
لا يقدر عليه ولا يهتدى اليه • ومن ذلك قوله عليه السلم في حديث طويل
ثم يكون ملك عضوض يستحل الفرج والخمر • وفي هذا الكلام مجاز

احدهما قوله عليه السلام ملك عضوض يستحل الفرج والخمر والعضوض في الاصل من
الرجل الداهية المنكر وربما سمي ايضاً بذلك الرجل السيئ الخلق النكد
قال حسان بن ثابت وصلت به ركني ووافق شيمتي ولم اك عضّاً
في الندامى ملوّما . فكأنه عليه السلام شبه الملك الذي اوسعاه الرزق المطلق
والعسف والطماح والنزوع بذي الدهاء والنكر وبذي الشموخ الكبير
والمجاز الآخر قوله عليه السلام يستحل الفرج والخمر . وانما اراد ان اهله
يستحلون ذلك فحذف المضاف الى الملك لما كان الاستحلال واقعاً
في الملك ونظائر ذلك كثيرة . وقد جاء في رواية اخرى لهذا الخبر
ثم يكون ملك عاض . وهذه استعارة وذلك كقول القائل قد
عضني الدهر اذا ارثّت فيه نوائبه وانشبت فيه مصائبه فوصف
هذا الملك بالعاض لتأثيره في الناس بوقائع العسف وقوارع الظلم
وقد جاء في اشعارهم من ذكر عض الزمان وعض الايام ما هو اشهر
من ان تكلف التنبيه عليه والايماء اليه ومن ذلك قوله عليه
الصوم جنة ما لم يخرقها . وهذه استعارة وذلك انه عليه السلام
شبه الصوم بالجنة التي يلبسها الانسان في الحرب فتقيه مضارب
الصفاح ولهاذم الرماح فكذلك الصوم الذي يجن صاحبه من لوازع
العذاب وقوارع العقاب اذا اخلص له النية واصلح فيه السريرة فجعل

عليه السلام من اعتصم في صومه من الذنوب وتوقى جرائر القول والعمل كمن
صان تلك الجنة وحفظها وجعل من اتبع نفسه هواها واوردها
ردى آثامها كمن خرق تلك الجنة وهتكها فصارت بحيث لا تجن من جارح
ولا تعصم من جائحة وذلك من احسن التمثيلات واوقع التشبيهات و
من ذلك قوله عليه السلام ان المسلم اذا توضأ ثم صلى تحاتت
خطاياه كما يتحات الورق . وهذه استعارة والمراد ان الله تعالى
يكفر عنه خطاياه ويسترها فتسقط عنه آصارها وتحط اوزارها كما
تتساقط الاوراق عن اغصانها اذا هزتها الرياح او زعزعتها
الرياح . ولا بد ان يكون في الكلام مضمر مراد جعلت الصلاة مجزئة عنه
وعلما عليه وهو اجتناب الكبائر والقيام بسائر الفرائض فاكتفى عليه
السلام بذكر الصلاة من ذكر جميع ذلك لان الصلاة افضل شعائر
الاسلام واظهر معالم الايمان وليس لسائر الاوامر والعبادات في
الفرائض الواجبات من التأكيد ما لها وذلك لان من الفرائض ما
اوجبه تعالى على الاغنياء دون الفقراء ومنها ما سقط عن بعض
ومنها ما ينوب عن كل بعض . وجميع العبادات تختص اما بالفعل
او بالذكر والصلاة قد جمعت الامرين اذ كان اركانها القيام والقعود
والركوع والسجود والقراءة والتسبيح والثناء على الله سبحانه والصلاة

على الرسول وعلى آله والاستغفار للمؤمنين • ولانهما اجسر في اليوم والليلة
خمس مرات على كل عاقل بالغ قادر عليها لا يؤديهما عنه غيره ولا يسقطهما عنه
فقره ولا يؤلانهما الرواية وباقي العبادات يتعلق بزمان مخصوص ووقت معلوم
كالصوم الذي يفعل في السنة دفعة والزكاة التي تجب في الحول مرة والحج
الذي يتعين في العمر دفعة واحدة ولهذا كانت عامة وصية النبي عليه السلام
لما حضره الموت بالصلوة وفي حديث انه عليه السلام ما زال يكرر قوله الصلوة
وما ملكت ايمانكم حتى جعل يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه
وفي الاكثر ان الانسان اذا ادى الصلوة على شرائطها وفعلها في اوقاتها
وقام بجميع واجباتها وهي التي تكرر في الليل والنهار تفعل على الدوام و
الاستمرار كان احرى بتادية الفروض في سائر العبادات والقيام بحقوق
الطاعات التي هي اخف محلا واسهل متحملا فاراد عليه السلام ان من قام بحقوق
الواجبات التي عددناها واجتنب الكبائر التي توعد بالعقاب عليها اسقط
عنه عقاب صغائر الصغائر كما تساقط الورق المتناثر ويقال تحات الورق
وتحات اذا انسلت من اغصانه والحسر افنانه ومن ذلك قوله
عليه السلام لرجل اقبل اليه ممن يتهم في دينه ارى عليه سفعة من الشيطان
وهذا القول مجاز والسفعة السواد وقيل هو السواد المشرب حمرة
فكانه عليه السلام راى في وجهه اثرا يدل على فعل الضير وفساد اليقين

ذلك الى الشيطان لانه مسول المعاصي ومطرق المغاوي وفي الاكثر
ان يقال لمن خبثت عقيدته وساءت سريرته وجهر فلان مسود الفؤاد
لعظيم كفره وفساد دينه وقد يجوز ان تكون السفعة هاهنا بفتح السين
ماخوذة من قول القائل سفعت راس فلان اذا ضربته بالعصا فاثرت
فيه فكانه عليه السلام قال ارى عليه اثر مس الشيطان وقد يكون السفع
ايضا بمعنى الاخذ والقبض ومنه قوله تعالى لنسفعن بالناصية اي لناخذن
بها ولنقبضن عليها فان حمل على ذلك قوله عليه السلام ارى عليه سفعة من
الشيطان وجميع الوجوه المذكورة في هذا الكلام قريب بعضها من بعض
ومن ذلك قوله عليه السلام خير الناس منزلة رجل اخذ بعنان
فرسه يطلب الموت مظانه • وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام
جعل الرجل المجاهد في سبيل الله الذي تسمع قراع الاعداء ومواطن اللقاء
كطالب الموت في معادنه والمتقلب عنه في مكامنه وان كان غير طالب له
على الحقيقة وانما طلب نصرة الدين ودفع المحادين ولكن ذلك لما كان
في الاكثر مفضيا الى الموت القاضي والاجل الداني كان كانه يعجل مظنة
حتفه وبغية من هلاك نفسه والمظان الاماكن التي اذا طلب الرجل في
فيها يقال موضع كذا مظنة من فلان اي معلمه ومكان يوجد فيه
قال الشاعر • ان يك عامر قد قال جهلا • فان مظنة الجهل الشباب •

كأنه قال ان الشباب موضع الجهل ومسرح سارحته. وفيه نكتة
ضالته. واراد عليه السلام بطلب الموت ومظانه. فلما خلع المجاز
وصل الفعل الى المظان فنصبها. وذلك اقوى في الفصاحة واصرح في
مذاهب البلاغة. ومن ذلك قوله عليه السلام اعوذ بك من شر
الجوع فانه بئس الضجيع. وهذا القول مجاز وانما جعل عليه السلام الجوع
بمنزلة الضجيع لان الانسان اذا بات طاويا كان كانه مضاجع للجوع
في مهاده ومباته على فراشه لانه يخلو في الليل به وينفرد معه في منامه ومكانه
ومن ذلك قوله عليه السلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد
الحلة والخميصة ان اعطي رضي وان منع سخط تعس فلا انتعش وان شيك
فلا انتقش. وهذا الكلام مجاز وذلك انه عليه السلام جعل الرجل
القوي الطمع الشديد الجشع الذي يرضى باعطاء ما سال ويسخط بمنع
ما طلب بمنزلة العبد للدينار والدرهم والثوب والعرض لانه باعطاء
تلك الاشياء يسترق ويملك ويمتهن ويستذل فجعله عليه السلام
عبدا لها على المجاز وهو في الحقيقة عبد لباذلها ومن معروف كلامهم
فلان عبد الطمع وخادم الامل اذا كان ذليلا لمن يجر اليه
الرغائب ضارعا لمن علق طمعه به. وقوله عليه السلام واذا شيك فلا انتقش
من صلة الدعاء عليه يقول واذا دخلت في قدمه شوكة فلا قدر على نقاشها

بمنقش حتى يديم سكنها في اخمصه فيكون ذلك اطول لالمه. ومن
ذلك قوله عليه السلام لا حرج الا على رجل اقترض عرض اخيه ظالما
ومن في استعارة. والمراد بالاقتراض هاهنا القدح في العرض والوقيعة
والنيل منه فهو افتعال من القرض الذي هو القطع ومنه قول ذي الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس. يقول
يقطعن اوساط هذا الموضع المذكور بطي شقته وتجاوز مسافته
وقولهم اقرض فلان فلانا مالا راجع الى هذا المعنى. والمراد انه قطع
له من ماله قطعة فسلمها اليه. وقوله عليه السلام في اول الخبر لا حرج الا على
رجل اقترض عرض اخيه ظالما لا يدل على ان من فعل غير ذلك من الافعال
التي يستحق عليها الذم ويعظم بها الاثم لا حرج عليه في الحقيقة ولكنه
عليه السلام كانه قال لا حرج في فعل ما لا اثم فيه الا على رجل اقترض عرض اخيه
وهذا التقدير في الكلام كانه معلوم بفحواه ومفهوم بمعناه وان كان ظاهر
اللفظ غير دال عليه. ومن ذلك قوله عليه السلام ان السقط ليجر امه
الى الجنة بسرره. وهذا القول مجاز والمراد ان المراة اذا اسقطت الولد
عن حادث اصابها واتفق ان يكون ذلك الاسقاط سبب منيتها كان
لها بذلك اجر يستحق به دخول الجنة اذا كانت سليمة من الكبائر الموبقة و
المعاصي المزهقة فلما كان ذلك السقط سببا لوصول امه الى دار النعيم

البقاء المقيم حسن ان يقول عليه السلم انه عونا الى الجنة بسرره وهو الجلد
الرقيق المتصل بهما يقال قطع سرره وسرره والسرة اسم لما يبقى بعد
القطع منه **ومن ذلك قوله عليه السلم** لا يمنعنكم من سحوركم
الفجر حتى يستطير • وفي هذا القول استعارة والمراد حتى ينتشر ضوء
الفجر فيكون كتحليق الطائر او كالشرر المتطاير والفجر عندهم فجران
مستطيل ومستطير فاما المستطيل فهو الاول ولا يحرم على الصائم
الطعام والشراب • واما المستطير فهو الثاني ويحرم الشراب والطعام
ويسمى الاول ذنب السرحان لدقة خيطه وعرض سمته • **قال**
الكميت بن زيد • ولما علا سطح المضيئين من ليله الذنب الاشعل
واطلع منه اللياح الشميط خدودا كما سلت الانصل جعل الاشعل
لكثرة البياض فيه والمضيئان تثنية مضيء وهو المكان الذي يضيء
الانسان برأي يلزمه ويطالعه واللياح الابيض • ويقال بكسر اللام و
فتحها والشميط الكثير البياض يقال ذنب شميط اذا كان كذلك وهو
بمعنى الاشعل والمراد بهما الصبح وجعل له خدودا باذنه على طريق الاستعارة
كما يقال طرة الصبح وحاجب الشمس • ويسمى الفجر الثاني المستطير لانتشاره
ووضوحه • قال الشاعر • لهان على سراة بني لوي حريق بالبويرة مستطير
اراد حريقا فاشيا منتشرا وعظم اواره • وفي حديث اخر انه عليه السلم

قال ليس الفجر المستطيل الابيض ولكنه المعترض الاحمر **ومن ذلك
قوله عليه السلم** فيصعق اهل الموقف يوم القيمة حتى يبلغ العرق منهم ما
يلجمهم وفي هذا القول مجاز وله وجهان • احدهما ان يكون المراد ان
العرق يزيدهم توهينا حتى يضعفوا عن الكلام فلا يحيروا جوابا ولا
يبيدوا نواطقا الا كما يقول القايل حاججت فلانا فالجمته بالحجر اذا
اسكنته بها عن مراجعته وقطع لسانه عن منازعته فشبه عليه السلام اضعاف
العرق لهم وبلوغه الى ان يملك عليهم نطقهم باللجم التي تملأ افواه الخيل
فتمنعها من تحريك السنتها منطقا بالشرب او ملفظا بالمطعم •
والوجه الاخر ان يكون المراد ان العرق يكثر منهم حتى يخوضوا فيه الى
ان يدخل افواههم فيكون بمكان اللجم لهم • ومن روى هذه الكلمة بالتشديد
فقال يلجمهم • فالمراد بذلك ان العرق يبلغ الملجم من كل واحد منهم
وهو ما يلي الراس من الرقبة • وقيل له الملجم لانه مكان اللجام من
راس الفرس كما قيل المقلد والمسور والمخلخل والموزر لموضع القلادة
والسوار والمئزر والخلخال **ومن ذلك قوله عليه السلام** لما قسم
غنائم حنين فاعطى المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار وكلمهم في ذلك
يا معشر الانصار اوجدتم في قلوبكم من لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما
ليسلموا ووكلتكم الى ايمانكم • وهذه استعارة واللعاعة البقلة

اولما ثبت وا او هو ناعم رقيق. وقيل هي بقلة ناعمة تعرف بعينها ذكر
ذلك ابو عبيد في الغريب المصنف ومن قول العرب خرجنا نتلعّى اي
نتتبع هذه البقلة ومنابتها ونجتنيها من مقاطعها. قال الشاعر
رعى غير مذعور بهن وراقه لعاع تهاداه الدكادك واعد يريد
بواعدها هاهنا ان هذا النبات كثير بعيد ناحية الشبع منه والاكتفاء
به. فشبه عليه السلم حلاوة المال المبذول وتعلق القلوب به وتسرع النفوس
اليه بهذه البقلة الناعمة التي تستطاب مجانيها وتتتبع اماكنها. و
يجري ذلك مجرى قوله عليه السلام في الخبر الاخر لحكيم بن حزام ان هذا المال
حلوة خضرة. وقد ذكرناه فيما تقدم من كتابنا هذا. ومن
ذلك قوله عليه السلم تحفة المؤمن الموت. وهذه استعارة.
واصل التحفة طرف الفواكه التي يتهاداها الناس بينهم فكانه عليه السلم
جعل الموت الوارد على المؤمن كالتحفة المهداة اليه لانه يسر بمجيئه
كما يسر الكاره بنفيس حياته لان المؤمن يخرج من عقال الاعمال والكافر
يخرج من مجال العقاب. ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله
يغفر لعبده ما لم يقع الحجاب. وهذا القول مجاز والمراد ان الله سبحانه
يقبل توبة العبد من جميع المعاصي ما دام في نفس الرجاء وفسحة البقاء
فاذا بلغ حال انقطاع التكليف ووقوع الامر المخوف لم ينفعه التوبة ولم

تقبل

تقبل الانابة وكانه قد حجب عن طريق الاستغفار واخذ على حال الاصرار
وقد يجوز ان يكون المراد بالحجاب هاهنا ضد المراد بالوجه الاول وهو
ان يكون وقوعه بمعنى انكشافه وسقوطه كما يقول القائل وقع الستر
المضروب وسقط الغرام الممدود اي زال وانهتك وانكشف وانفرج
والمراد بانكشاف الحجاب ان تظهر للمرء اشراط الاخرة التي لا تضام التكليف
فيراها بادية بعد ان كانت خافية وظاهرة بعد ان كانت باطنة فيكون
الحجاب هنالك على ضربين حجاب مسدول عما كان خافيا من اعلام الاخرة
وحجاب مضروب دون ما كان ممكنا من احوال المؤمن. ومن ذلك قوله عليه
المعروف والمنكر خليقتان تنصبان للناس فيقول المنكر لاهله اليكم
وما يستطيعون له الا لزوما. وهذا القول مجاز والمراد ان الله
سبحانه جعل للفعل المعروف علامات وعلى الفعل المنكر امارات
ووعد على فعل المعروف حلول دار النعيم واوعد على فعل المنكر خلود دار
الجحيم فكان بين الامرين المجاد البين والفرقان النير فكان المعروف يدعوا
الى فعله لما وعد عليه من الثواب وكان المنكر ينهى عن فعله لما اوعد عليه
من العقاب فلذلك قال عليه السلام فيقول المنكر لاهله اليكم على طريق
الاتساع والمجاز. وقوله عليه السلام من بعد وما يستطيعون له الا
لزوما المراد به انهم مع قوارع النذر وصوادع العبر وزواجر التحذير

وتوالي الوعيد يتسارعون الى فعله ويتسارعون الى وروده وليس
المراد انهم لا يستطيعون لها الا لزوما على الحقيقة وانما قيل ذلك
على طريق المبالغة في صفتهم بالتسرع اليها والاصرار عليها كما يقول
القايل ما استطيع النظر الى فلان او لا استطيع الاجتماع مع فلان
اذا اراد المبالغة في وصف نفسه بشدة الابغاض لذلك الانسان
والاستثقال لرويته والنفور من مقاعدته وان كان على الحقيقة
مستطيعا لذلك بصحة ادواته والتمكن من تصريف ارادته ولو لم يكن
هولاء المذكورون في الخبر قادرين على الانفصال من فعل المنكر
لما كانوا على ما فعلوه مذمومين وبجرايرهم طالبين وذلك اوضح
من ان نستقصي الكلام فيه ونستكثر من الحجاج عليه ومن ذلك
قوله عليه السلام امرت بقرية تاكل القرى تنفي الخبث كما ينفي
الكير خبث الحديد • يريد عليه السلام الهجرة الى المدينة فقوله امرت
بقرية تاكل القرى مجاز والمراد ان اهلها يقهرون اهل القرى فيملكون
بلادهم ويغنمون اموالهم فكانهم لهذه الاحوال ياكلونهم ويخرج هذا
القول على طريقة للعرب معروفة لانهم يقولون اكل فلان جاره
اذا اغار عليه فانتهك حرمته واصطفى حريمته وعلى ذلك قول
عقيل بن علفة لابنه في ابيات • اكلت بنيك اكل الضب حتى وجدت

مرارة الكلاء الوبيل ومن ذلك قوله عليه السلام في غزوة الحديبية ويح
قريش لقد اكلتهم الحرب وانما اراد انها افنت رجالهم وانتهكت اموالهم فكانها
من هذا الوجه كلتها اكلا لهم • ومن ذلك قوله عليه السلام في حديث طويل
والمراد بقوله عليه السلام تنفي الخبث كما ينفي الكير خبث الحديد ان اهلها
يتخلصون فينتفي عنها الاشرار ويبقى فيها الاخيار ويفارقها الاطغام
والاوشاب ولا يصفو عليها الا الصميم واللباب فيكون بمنزلة الكير
الذي ينفي الاخباث والادران ويخلص الخالص والصفاء وهذا ايضا
مجاز ثان • وقد ورد هذا الخبر بلفظ اخر ذكره عمر بن عبد العزيز [illegible]
سمعا عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله انه قال المدينة تنفي خبث
الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد والمعنى في اللفظين واحد ومن
ذلك قوله عليه السلام الرحم لها حجنة كحجنة المغزل وهذه
استعارة والحجنة الحديدة المعقفة في راس المغزل ومنه المحجن وهي
العصا المعوجة الراس فاراد عليه السلام ان الرحم لها علايق تتعلق
بها وشوابك تجتذب بوصلها فكانها تستعطف المعرض عنها
وترد الشارد اليها كما يجتذب الانسان الشيء بالمحجن اليه او
يثني به الذاهب عن جهته ومن ذلك قوله عليه السلام
من قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فقتلته

جاهلية . ومن رواية اخرى بعث عصبيّة يقال العُصبيّة . فقوله
عليه السلام تحت راية عميّة مجاز لانه جعل الراية عميّة والمراد الحرب التي
رُفعت تلك الراية فيها وانما حسن وصفها بالعمى وهو في الحقيقة للحرب
لان الراية علم لها ودليل عليها والحرب العمية هي المشتبهة التي لا
يُهتدى فيها الى القصد ولا يتبين فيها وجه الرشد فهي كالعميا
التايهة والعشوا الخابطة ومن ذلك قولهم عميآء اذا كانوا
في امر مختلط او على راي مشتبه . وربما روي لفظ الخبر على الاضافة
وذلك قوله تحت راية عمية كانه قال تحت راية حرب عمية والعيان
شقاربان ومن ذلك قوله عليه السلم من اراد اهل المدينة
بكيدٍ اماع كما يماع الملح في الماء . وهذه استعارة والمراد انه سبحانه
يمحق كيده ويضمحل امره فيكون كالهباء المتلاشي والبناء المتداعي
فلا يثبت له عماد ولا يمد عمر سناد فعبر عليه السلام عن هذه الحال بالايماع
لان الايماع الا الجسم المتحلل الذي لم يستحصف جبلته ولا استحجر
طينته وتوصف ايضا الاجسام الرقيقة بمثل ذلك فيقال ماع الماء
اذا جرى على وجه الارض . وكذلك الدم واماع السمن اذا ذاب ولذلك
الرُبّ . ويفرق بينهما بان يقال للجسم الذي لا يتماسك اذا خُلّي عنه
ماع كالماء والدم ويقال للجسم الذي اذا اطلق عنه تماسك بعض

التماسك اماع كالتمر والرُبّ . قال الشاعر . كانه في لبد والحمس
بما عليه جسد مورّس . من الدما مائع ويبس والجسد ههنا الدم
من اسماء الدم ومن ذلك قوله عليه السلم لسلمان الفارسي
رحمة الله عليه سلمان ابن الاسلام سلمان جلدة بين عيني . وفي هذا
الكلام مجازان . احدهما قوله عليه السلام سلمان ابن الاسلام . وفي هذا
القول وجهان . احدهما ان يكون المراد بان سلمان يعرف بالاسلام كما
يعرف الناس باباءهم ويضيفون الى اجدادهم لانه كان عبدا غير معروف
الاب ولا مشهور النسب . وانما بالاسلام سما والى الاسلام انتمى . والوجه الاخر ان
يكون المراد ان الاسلام ربّاه وغذاه وشدّ ازره فقام له مقام الحاضن
الكافل والاب العائل . والمجاز الاخر قوله عليه السلم سلمان جلدة بين عيني
وجلدة بين العينين ههنا كناية عن الانف . فكانه عليه السلم جعله
في العزة والقرب منه كالانف الكريم على صاحبه والعزيز على مفارقه
وهذا القول اصح معنى . من قول الشاعر . وجلدة بين العين والانف
سالم . لانه لا جلدة بين العين والانف مذكورة فتقصد قصدها
ويشار نحوها كما قلنا في جلدة بين العينين انما الانف الكريم
موقعه والمشهور موضعه ومن ذلك قوله عليه السلم معترك
المنايا بين الستين والسبعين . وهذا القول مجاز والمعترك موضع

الحرب وتسمى معتركا لالتفاف الرجال واعتراك الابطال • وقوله
عليه السلام في خبر آخر • اعمار امتي بين الستين والسبعين • وقال صلى الله
عليه وعلى آله لا خير للمؤمن في عمر يتجاوز عمري • فكانه عليه السلام شبه سنا
العمر لكثرة الذاهبين فيه وقلة المتجاوزين له بمعترك المنايا يكثر
فيه الارواح وتصطلم الاجال فلا يفلت من ذلك المقام الا من اشتد
حاله وتخاطاه نابلها • ومن ذلك قوله عليه السلام لا تسبوا
الابل فانها رقوء الدم • وهذا القول مجاز لان الابل على الحقيقة
ليست برقوء الدم • وانما المراد انها اذا اعطيت في الديات كانت
سببا لانقطاع الدماء المطلولة والثارات المطلوبة فشبه عليه السلام
تلك الحال بالعرق العاند والدم السائل الذي اذا ترك لج واستشرى
واذا عولج انقطع ورقأ • وعلى هذا المعنى قول الكميت بن زيد • و
لكني رقوء دم وراق لادواء الضغاين والذحول • ويروى هذا
الخبر على لفظ آخر • وهو قوله عليه السلام فان فيها رقوء الدم • ومن
ذلك قوله عليه السلام ان ذا الوجهين لخليق الا يكون عند الله
وجيها • وهذا القول مجاز لانه عليه السلام لم يرد تثنية الوجه
الذي هو العضو المخصوص على الحقيقة لان استحالة ذلك في الانسان
معلوم ضرورة • وانما اراد ذم المنافق الذي ظاهره يخالف باطنه

ويخاصم بضاد غايته فكانه يلقى اخاه في مشهده بصفحة المودة ويلقاه
في مغيبه بلسان الذم والعضيهة فشبهه عليه السلام بما بين الحالتين لاحدهما
بالوجهين المختلفين لتباين ما بينهما • ومن ذلك قوله عليه السلام
الايمان يمان والحكمة يمانية • وهذا قد ما اورده ابو عبيد في
كتابه من هذا الخبر • وقد ذكر عنه في زيادة كثيرة وهي قوله عليه السلام
بعد الكلام المتقدم • رحا الاسلام دائرة في قحطان حمير رؤوس
العرب ذنابها واوشابها والاسد كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها • و
غلصمتها في حديث طويل • وفي هذا الحديث عدة مجازات • احدها
قوله عليه السلام الايمان يمان والحكمة يمانية • والمراد اهل الايمان واهل
الحكمة يمانون • وامثال ذلك في الكلام معروف كثير • ويدخل في
هذا الوصف اهل مكة واهل المدينة فاما مكة فهي من جهات اليمن
وتهامة من ذلك الشق والسمت واما المدينة فعظم اهلها الانصار و
هم من اهل اليمن بالاصل وان كانوا من اهل الحجاز بالدار • وقد قيل
انه عليه السلام قال هذا الكلام بتبوك وهي من ارض الشام وكانت
مكة والمدينة حينئذ بينه وبين اليمن فاشار الى جهات اليمن وهو يريد
مكة والمدينة • والمجاز الاخر قوله عليه السلام رحا الاسلام دائرة في
قحطان والمراد ان امر الاسلام يدور عليها كما تدور الرحا على قطبها

وقد مضى في صدر الكتاب من الكلام على رحاء الاسلام ما فيه كفاية
والمجاز الاخر قوله عليه السلام حمير رأس العرب ونابها والازد
كاهلها وجمجمتها ومذحج هامتها وغلصمتها . والمراد ان حمير
في التقدم كالرؤس الاعاظم والاسد في الاشتداد والاجتماع كالكواهل
والجماجم ومذحج في السمو والذرى كالهامات والغلاصم ومن
ذلك قوله عليه السلام ينادي منادٍ يوم القيامة
لتلحق كل امرءٍ ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد صنما
الا ذهب حتى يقع في النار ويبقى غبرات اهل النار . فقوله عليه
السلام غبرات اهل النار استعارة والمراد عقابيلهم وبقاياهم
وذلك ماخوذ من غبر اللبن وغبر بالتشديد والتخفيف وهو
بقيته في الحلب والضرع وغبر الليل آخره ماخوذ من ذلك
قال الطرماح بن حكيم في الغبر مثقلا . فيا صبح كمش غبر الليل
مصعدا . ببم ونبه ذا العفاء الموشح . يريد الديك . وقال
اخر في الغبر مخففا منقلين انساوها عن فاق كالقرطاس
غبس لا يرضع . قال الاخفش هو بالتخفيف لا غير . وانشد هذا
البيت شاهدا على قوله ومن ذلك قوله عليه السلام الرؤيا على
رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا تحدث بها الا

او لبيبا . روى هذا الخبر عن النبي عليه السلام ابو رزين العقيلي وهو
لقيط بن عامر بن المنتفق . وفي هذا الكلام مجاز والمراد بالطائر
ها هنا الامر الذي يتطير منه ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه يريد ما يتطير منه ويخاف دنو عره من جزاء اعماله
السيئة او اوزاره المثقلة . وذلك ماخوذ من زجر الطير على مذهب
العرب وكانوا يتيمنون باياميها ويتشاءمون باشائمها . وعلى ذلك
قول الشاعر . ولقد غدوت وكنت لا اغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم . والواق بكسر
القاف الصرد وكانهم سموه بحكاية صوته . قال الشاعر . و
لست بهياب اذا شد رحله يقول عداني اليوم واق وحاتم . والحاتم
الغراب فكانه عليه السلام جعل رؤيا الانسان التي يتروع لها و
يخاف عررها بمنزلة الشيء الذي يتطير به وقد يجوز ان يكون و
يجوز الا يكون فاذا عبرها فعبرت له على ما يكره وقع مكروهها
وخلص اليه محذورها . ويشبه ذلك ما حكي عن بعض المتقدمين
انه قال علم النجوم فالكي كان يتفال بالسعود تعرضا
لها ويتطير بالنحوس تباعدا منها وجميع ذلك مما يجوز ان يقع ويجوز
الا يقع . ولما جعل عليه السلام الرؤيا بمنزلة الطائر المتطير به جعل

بتعبيرها على الامر المكروه بمنزلة وقوع الطاير موافقة من اعضاء
الكلام حتى تقع مواقعها وتطبق مفاصلها . وقوله عليه السلام من بعد
فلا تحدث بها الا حبيبا او لبيبا يريد النهي عن قصها الا على محب
ناصح او لبيب ناصح لان المحب للانسان يتمحل امورا على احسنها
ويتوخى ستر ما يحسن منها وبخلاف ذلك يكون المبغض الكاشح
والكاشح الموارب . واما اللبيب وهو العاقل فهو يعبرها على الوجه
الصحيح الذي لا يوطئ فيه غشا ولا يطلب مضرة وبخلاف ذلك
يكون الاحمق الجاهل والغبي الغافل ومن ذلك قوله عليه السلام
ان الشيطان ذيب الانسان كذيب الغنم يأخذ القاصية والشاذة
وفي رواية اخرى فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة والعامة و
هذه من احسن الاستعارات وذلك انه جعل الشيطان للانسان بمنزلة
الذيب للشاء يأخذ البعيدة المنفردة ويختل الشاذة الشاردة
ويكون لجماعتها اهيب ولافرادها اقرب وكذلك الشيطان يقوى
طمعه في الفذ الفريد والشارد الوحيد ليستهويه باجتراره ويجعله
غرضا لرجم الوساوس ويكون في جماعة الناس اضعف طمعا وا
اقل تولعا . وفي هذا الكلام حث للناس على لزوم الجماعة في
طاعة السلطان العادل والامام الفاضل . ويجوز ايضا ان يكون

فيه حث لهم على لزوم الدين القويم والطريق المستقيم وترك الانفراد
بالمذاهب وسلوك الولايج والعوادل ومن ذلك قوله عليه السلام
لينقضن الاسلام عروة عروة كما ينقض الحبل قوة قوة . هذه رواية
يونس الديلمي . وفي رواية اخرى ان امامة الباطل لتنقض عرى الاسلام
عروة عروة وكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فاولهن نقضا
الحكم واخرهن الصلوة . وهذه استعارة والمراد ليتركن العمل بشرايع
الاسلام التي الحكم عقدها ووكد العمل بها حتى تكاد تنمحي مراسمها
وتعفو معالمها فيكون الاسلام كالحبل المنتقض من طرايقه و
المنتكث بعد استحصافه والقوى الطاقات التي يفتل منها الحبل و
الواحدة قوة . وجعل عليه السلام شرايع الاسلام كالعرى له من حيث
كانت ربقا للرقاب وكان المتعلق بها امنا من العذاب . ونظير
هذا الخبر الخبر الاخر الذي رواه البراء بن عازب عنه عليه السلام اتدرون
اي عرى الاسلام اوثق فعدد الحاضرون شيئا شيئا من شرايع الدين
فقال عليه السلام اوثق عرى الاسلام ان تحب في الله وتبغض في الله
ومن ذلك قوله عليه السلام ما من ادمي الا وقلبه بين
اصبعين من اصابع الله . وهذا النوع من جملة الاخبار التي توهم التجسيم
وتقتضي التشبيه وقد ذكرنا في اول كتابنا هذا انا نعقل الكلام عليها

لان جماعة من علماء الشريعة واللغة قد سبقوا الى استقصاء القول
فيها وانما نذكر منها ما له دخول في باب الاستغناء بجملة من الجواب الا
انا نتكلم على هذا الخبر على هذا الضرب من الاستظهار فنقول ان كان
نقله صحيحا فانه يحتمل في كلام العرب وجوها يصح حمله عليها ورده اليها مما
يوافق صفات الله سبحانه الذي لا يشبه الخلق التي خلقها والبرايا
التي براها وصورها وهو ان الاصبع في كلام العرب اسم للاثر الحسن الذي
يظهر منه ويشهر علامته يقال لفلان في ماله اصبع حسن اي اثر
محمود واثر جميل ومن ذلك قول الراعي يصف راعيا للابل ضعيف
العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا
اي ترى له عليها اثرا حسنا وقد قيل ايضا ان المراد بذلك اشارة
الناس اليها بالاصابع لحسنها وشادتها وقوله ضعيف العصا يريد
انه لا يكثر ضربها ولا يعنف بها وذلك احمد بان تحسن ابدانها وتغزر
البانها ومثل هذا قول الشاعر الاخر وقد تقدم ذكره عليها من
وادع لين العصا يحلها جماعة ويتاجله وانشد الخليل بن
بن احمد في كتاب العين لبعض العرب اغر كضوء البدر في كل منكب
من الناس نعمى يحتذيها واصبع يحتذيها هاهنا يعطيها كانه
يفتعل من الحذو كما تقول يصطنعها والمنكب عندهم اسم لكل شيء

عشرة عرافة وكل يحيى عرافة الرجل الذي فوق المنكبا وهو من يلي هذه
العدة من العرفاء وقال شاعر آخر ومعنى الاصبع ايضا من يجعل الله عليه
اصبعا للخير والشر يصادفها اي من يجعل الله عليه اثرا يدل
به على انه من اهل الخير او من اهل الشر يصادف الجزاء على كل الفعلين من
ثواب او عقاب نعيم او عذاب وذلك الاثر الذي يجعله الله عليه هو
استحقاق الحمد من الناس ان كان محسنا او استحقاق الذم منهم ان كان
مسيئا فاذا تمهدت التي قررناها كان معنى لفظ الخبر ما من ادمي الا
وقلبه من الله سبحانه بين نعمتين حسنتين احداهما ما من به عليه من
معرفته الخير وتاثيره والاخرى الغبطة بما انعم به عليه من حسن
خلقه وتوسيع رزقه وذلك يوجب عليه الخضوع لله تعالى من حيث الشكر
على نعمته واحسان الجوار لنعمه وقد عبر بعضهم عن هذا المعنى بعبارة
اخرى فقال المراد بذلك تقلب القلوب بين حسن اثار الله عليها و
هذا القول مجمل والقول الذي ذكرناه من قبل مفصل فاما ما
تذهب اليه المشبهة من الاصبع هاهنا على حقيقتها وان لله سبحانه
اصابع ويدا وساقا وما اشبه ذلك نحو من الجهالات التي تدفعها
العقول باوائلها وتقضي بفسادها قبل اعمال النظر فيها وكيف يصح
هذا القول لهم ويقوم في عقولهم مع اعتقادهم ان الله سبحانه ليس

على العرش كاستواء القاعد في مقعده والمتمهد على مهاده وان بين من
المخلوقين من بني ادم سبع سموات وما بين كل سماء وسماء مسيرة
خمسمائة عام وسمك كل سماء مثل ذلك فكيف يسوغ ان تكون اصابعه
تعالى عن ذلك علوا كبيرا واصلة الى قلوب خلقه مع هذا البعد العظيم المديد و
الطويل ولو كان ذلك على حقيقته لوجب ان تكون لرب الاصابع ما
لانهاية له حتى يخص قلب كل عبد من عبيده باصبعين من اصابع يكون
هذا الغرالله القول الفاسد والظن الكاذب • ومثل هذا الخبر
يجيب من سال عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم الاية فيقول المراد سبحانه انه معهم بالعلم والاحاطة
لا بالدنو والمقاربة لان الامر لو كان على ذلك لكان المعنى مستحيلا و
ذلك انه تعالى لا يجوز ان يكون مع كل ثلثة ولا مع كل خمسة في حالة
واحدة تعالى الله عن تنقل الاماكن وتعاقب الازمنة علوا كبيرا • و
مما يتبين كذب قولهم وفساد ما ذهبوا اليه ما رواه ابو معوية الضرير
وعيسى عن الاعمش عن ابرهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال
اتى النبي عليه السلام رجل من اهل الكتاب فقال يا ابا القسم ابلغك
ان الله يحمل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى
على اصبع والخلائق على اصبع فضحك صلى الله عليه وعلى اله من قوله

وانزل الله سبحانه عقيب ذلك وما قدروا الله حق قدره الاية وقد
روي ايضا في حديث عبد الله بن عباس ان من زعم ان لله خنصرا او
بنصرا فقد اشرك بالله سبحانه • ومجال كلامنا هذا اضيق من ان يتسع
في اقطار الكلام على هذا الخبر اكثر من هذا المبين وقد استقصيناه
في كتاب حقايق التاويل **ومن ذلك قوله عليه السلام** يهرم
ابن ادم ويشب منه اثنتان الحرص على الحياة والحرص على المال • وفي
رواية اخرى الحرص والامل • وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل نماء
هاتين الخلتين في الانسان مع نقصان عمره وتداني اجله بمنزلة الشباب
المقتبل والعمر المستقبل فكلما ازدادت حوامل جسمه ضعفا وانتقاضا
ازدادت جواذب امله قوة واستحصافا فيكون اضعف ما كان بدنا و
شخصا اقوى ما يكون املا وحرصا • وروى هذا الخبر ابو هريرة على
خلاف هذه الرواية قال عليه السلام قلب الكبير شاب على حب
اثنتين حب الحياة وحب المال **ومن ذلك قوله عليه السلام**
من سره ان يقرا القران غضا كما انزل فليقراه على قراءة ابن ام
عبد • وهذه استعارة والغض في كلامهم صفة للثمر والنبت الذي
لم يطل مكثه بعد مجتناه فيؤثر فيه الزمان ويدخله التغيير والفساد و
ويقولون غض وغضيض بمعنى واحد والغضيض ايضا عندهم اسم من

الطلع. فاراد عليه السلام ان من اخذ القران عن ابن ام عبد وهو
عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه او نسلك في القراءة نهجه ونطلع خبره
فقد اخذه سليما من الفساد والتغيير وبريا من التحريف والتبديل
فهو كالبان الغض لم يطل عهده بجانبه ولا دب الفساد فيه. وقد
روي هذا الخبر على وجه اخر وهو قوله عليه السلام من سره ان يقرا
القران رطبا كما انزل والمعنى في الروايتين واحد. وروى ابو
هريرة من احب ان يقرا القران غضا كما انزل. والغض الطري
وهو ايضا في معنى الروايتين الاولين ومن ذلك قوله عليه السلام
لاصحابه لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليلحينكم الله كما
لحيت عصاي هذه لعود في يده. وفي هذا الكلام موضع استعارة. و
هو قوله عليه السلام او ليلحينكم الله والمراد لينقصنكم الله في النفوس
والاموال وليصيبنكم بالمصائب العظام فتكونون كالاغصان التي
جردت من اوراقها وعريت من لحيتها او الياطها فصارت قضبانا
مجردة وعيدانا معروقة وهم يقولون لحا فلان الزمان مالا او حلبة
اولاده واعضاده قد لحاه الدهر ولحي العصا الان ما كان يضم اليه من
ولد وحفدة ويسبغ عليه من جلابيب نعمه بمنزلة اللحاء للقضيب
الورق للغصن الرطيب فاذا اخرج عن ذلك اجمع كان كالعود العاري

القضيب

القضيب العاري ومن ذلك قوله عليه السلام ان من اربى الربا
استطالة المرء في عرض اخيه المسلم. وهذه استعارة لانه عليه السلام
شبه تناول الانسان من عرض غيره بالذم والوقيعة والطعن والعضيهة
اكثر مما تناوله منه ذلك الذي قدح في عرضه واغرق في ذمه بالربا
في الاموال وهو ان يعطي الانسان القليل ليجر الكثير فاشبه ربح
المال بذلك الفعل او بطلب نماه وزيادته واصل الربا عندهم ماخوذ
من الزيادة يقولون ربا الشيء في الماء اذا زاد وانتفخ ومنه الرابية والربوة
لانها علا من الارض وارتفع ومن ذلك قوله تعالى وترى الارض هامدة
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت. اي رطب ثراها وربا وكثر
نبتها وانتشر ومن ذلك قوله عليه السلام وصف الخوارج والحجة
طويل يقرؤن القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا يجاوز حناجرهم. و
هذا القول مجاز والمراد انهم لا يعملون باحكام القران ولا يعتبرون ولا
ياتمرون لاوامره ولا ينزجرون بزواجره فكانهم ليس لهم منه الا الصوت
الخارج من حناجرهم يقول عليه السلام لا يعرف القران منهم الا بهذا
ولا يعتدون بالعمل باحكامه وواجباته وقد روي ايضا لا يجاوز
تراقيهم والمعنى واحد ومن ذلك قوله عليه السلام لخاطبين من اهله
سالاه في حديث طويل والله لا اعطيكما وادع اهل الصفة تطوى

بطونهم لا يجدون ما ينفقون عليهم . وفي هذا القول مجاز لأن أهل الصفة
هم فقراء المهاجرين فكان عليه السلام شبه بطونهم من الخمص والهضم بلفظ
المزاود والطمع بالأوعية الفارغة التي تطوى لفراغها وتنضم لخلو
أجوافها . وقد يجوز أيضا أن يكون إنما شبهها بالبرود المثنية
والحبائص المطوية لانضمام بعضها على بعض من خلو الأحشاء وبعد
العهد بالغذاء . وقد يجوز أيضا أن يكون تطوى بطونهم هاهنا
تفعل من الطوى وهو الجوع . فكأنه عليه السلام قال تجوع بطونهم
وهذا الوجه يخرج الكلام من حيز الاستعارة ويدخله في باب
الحقيقة ومن ذلك قوله عليه السلام الايمان قيد الفتك
وهذه استعارة والمراد بذلك أن الانسان المؤمن يمتنع لأجل إيمانه
أن يسفك الدم الحرام طاعة لأمر الحمية وركوبا لسنن الجاهلية فكأن
إيمانه قيد لفتكه وتماسك ضبطه الكر ومثل ذلك قوله عليه السلام
لخوات بن جبير الأنصاري وكان خليعا قبل إسلامه ما فعل شراد
بعيرك يا خوات فقال قيده الإسلام يا رسول الله الا ترى شبهه عليه
السلام في ريعان خلاعته وعنفوان نزاقته بالبعير الشارد الذي قد
فارق مراحه وتبع ارتياحه وكيف أجاب هذا الانسان من كلام النبي
عليه السلم بما هو من جنسه وماض على نهجه فقال قيده الإسلام لأنه عليه السلم

لما جعله بمنزلة البعير الشارد جعل هو مفارقته عن ذلك الشراد وعكسه
عن تلك الحال بمنزلة القيد والعقال وهذا القول من النبي عليه السلم
أيضا داخل في باب المجاز ومن ذلك قوله عليه السلم الصبر
عند الصدمة الأولى . وفي رواية أخرى الأجر عند الصدمة الأولى . و
هذا القول مجاز والمراد بالصدمة هاهنا أول ما يطرق الانسان من
النوائب ويلم به من المصائب فشبه ذلك عليه السلام في شدة وقعه وعظيم روعته
بصدمة الجسم الشديد وصكة الحجر الثقيل في أنه يوهن ويحطم ويرض و
يؤلم فإذا صبر الانسان لتلك الوقعة وتماسك تحت تلك الروعة وسلم
للأقضية النازلة والأقدار الغالبة ولم يفقد في جوانب الجزع ويركض في
مضمار القلق أعطي الأجر برمته ووفي إليه بأزمته لأن ما يطرق الانسان
وهو داخل ربيعا وهو غافل أعظم نكاية لقلبه وإيجاعا لنفسه مما
يطرقه وقد أخذ له أهبته وأعد له عدته ومن ذلك قوله عليه السلم
والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه في حديث طويل
وهذه استعارة والمراد بإسلام قلبه سلامته من الإحنات وبإسلام
لسانه تسلمه من الآفات فلا يعتقد قلبه شرا ولا يقول لسانه هجرا . و
الدليل على إرادته عليه السلام هذا المعنى قوله في تمام الكلام ولا يؤمن
حتى يأمن جاره بوائقه . وقوله عليه السلام في حديث آخر المسلم من سلم

الناس من لسانه ويده • فكانه عليه السلام جعل تمام اسلام الانسان كف
قلبه عن اعتقاد القبائح ويده عن فعل المحظورات ولسانه عن قول
المنكرات • ومن ذلك قوله عليه السلام ان الله سبحانه لم يحرم حرمة
الا وقد علم انه سيطلعها منكم مطلع وهذا القول مجاز • وذلك
انه عليه السلام شبه ما حرم الله تعالى من محارمه ونهى عباده عن تقحمه
بالحمى الذي يحمى رعيه ويمنع رعيه وشبه عليه السلام المتعرض لحرمة تلك
المحرمات بمن هجم في الحمى مقدما واطلع فيه متسمحا • وقد مضى الكلام
على نظير هذا الخبر فيما تقدم من كتابنا هذا • ومن ذلك قوله
عليه السلام في كلام طويل ذكر فيه بني اسرائيل ونهاهم علماؤهم عن
المعاصي فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم فضرب
الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم • فقوله
عليه السلام فضرب الله قلوب بعضهم ببعض استعارة والمراد بالضرب
هاهنا خلط القلوب بعضها ببعض كانه تعالى خلطها بان يشهد
على جميعها بالضلال ولم يميز بين قلوب العلماء والجهال اذ كان
الضلال شاملا لهم والعقاب ضاربا بجرانه عليهم • ومن ذلك
قول القائل ضربت بعض بني فلان ببعض اذا القى بينهم حربا فاختلطوا
فيها او عداوة يتناوشون عليها • ونظير ذلك الخبر المروي عنه عليه السلام

وهو قوله ابهذا أمرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض اي ان تجعلوا حرامه
حلالا وحلاله حراما فكانكم قد خلطتموه فجعلتم اعلاه اسفله ومقدمه
بينهم • ومن ذلك قوله عليه السلام الايدي ثلث فيد الله العليا
ويد المعطي الوسطى ويد السائل السفلى • وقد مضى هذا الخبر فيما تقدم
الا ان فيه هاهنا زيادة لاجلها اعدنا الكلام عليه • وهي قوله عليه
السلام فيد الله العليا • وهذا القول مجاز ويد الله سبحانه هاهنا
نعمه • وهي اعلى النعم لانها اصل لها وقوام لجميعها لان كل من اعطى عطاء
او حبى حباء فانما اعطى مما خوله الله سبحانه ولولا ذلك لكانت
كفه خامدة وريح اريحيته راكدة • ولاجل ذلك يقول في الحياة
انها اول النعم ويريد بذلك انها اول في الرتبة لافتقار كل نعمة
اليها وصحة وجودها متفردة بنفسها غير مفتقرة الى غيرها فصارت
اولا في الرتبة وان جاز ان يوجد معها غيرها من النعم • وفيما علقته
عن قاضي القضاة ابي الحسن عبد الجبار بن احمد فيما قرأته عليه من
كتابه المعروف بشرح الاصول الخمسة ان النعمة هي المنفعة اذا قصد
بها فاعله وجه الاحسان • فان قيل فما المنفعة قيل اللذات والسرور
وما ادى اليهما اذا لم يعقب ضررا اعظم منها • فان قيل فما اللذات
قيل ما يعلم كل احد من نفسه في ادراك ما يشتهيه من ماء كاف ونسيم

ومناظم وسلاليه الى غير ذلك من الامور التي يدعو العلم بها الى التوصل
اليها فاما السرور فهو اعتقاد ذلك او الظن له وليس يتحقق سوى ما ذكرناه
وما يؤدي الى اللذات في كونه نعمة كاللذات ولذلك نعد من مكن
غيره من الوصول الى الملاذ بالدنانير والدراهم منعما وان كانت اعيان
الدراهم والدنانير لا لذة فيها . ولهذا الوجه نعد التمكين من هذه الامور
نعمة حتى نقول ان الله سبحانه منعم بالتكليف الذي هو وصلة الى النعيم
المقيم والثواب العظيم . ولاجله ايضا قلنا في الصحيح السقيم انه نعمة كما نقول
في الحياة والشهوة وان كانا يتربان . وقد نعد في ذلك ايضا دفع
المضار والغموم وما يؤدي اليهما . ولذلك نقول ان الله سبحانه لو
عفى عن العصاة كان منعما عليهم ولو سهل لهم السبيل الى الفرار من النار
كان محسنا اليهم . وليس يحتمل كتابنا هذا اكثر من القدر المذكور
في هذا المعنى . فكانه عليه السلام جعل يد الله العليا للعطاء التي ذكرناها
وجعل يد المعطي الوسطى لانها تليها وجعل يد السائل السفلى
لانها تليهما مصبا لفضلها وقرارة سيلها . وقد تقدمنا الاشارة الى
جملة هذا المعنى فيما تقدم من الكلام ومن ذلك قوله عليه السلام
ليلة الجمعة غراء ويومها ازهر . وهاتان استعارتان والمراد ان ليلة الجمعة
من سائر الليالي بتعظيم قدرها وتشريف العمل فيها فقد صارت بمنزلة

كالفرس الغراء التي تبين من البهم والشهباء التي تتميز عن الدهم . و
كذلك المراد بكون يومها ازهر والازهر الشديد البياض كأنه لتميزه من
الايام بعظم القدر وشرف الذكر قد زاد عليها انصاحا وكثرها غررا
واوضاحا ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام طويل الا ان عمل الجنة
حزن بربوة الا ان عمل النار سهل بشهوة وما من جرعة احب الى الله
سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد . وفي هذا الكلام مجازان احدهما
قوله عليه السلام الا ان عمل الجنة حزن بربوة الا ان عمل النار سهل بشهوة
فجعل عليه السلام عمل الجنة كالحزن من الارض وهو ما غلظ منها لانه
يصعب تجشمه فكذلك عمل الجنة يشق تكلفه . وزاد عليه السلام الكلام
ايضاحا بقوله حزن بربوة فلم يرض بان جعله حزنا حتى جعله بربوة
وهي الاكمة العالية ليكون تجشمه اشق وتكلفه اصعب . ولم يرض عليه
السلام بان جعل عمل النار سهلا وهو ضد الحزن حتى جعله بشهوة ليكون
اخف على فاعله واهون على عامله . والمجاز الآخر قوله عليه السلام
وما من جرعة احب الى الله سبحانه من جرعة غيظ يكظمها عبد . فكانه
عليه السلام جعل كظم الغيظ بمنزلة الجرعة المرة التي يتجرعها الانسان
فيجد مذاقها مرا وعقبها حلوا ولهذا المعنى شبهوا ما يجده الانسان
من حرارة حزن وحرارة هم بالشجى المعترض في الحلق وشبهوا ما يتجرعه من

منظرا باهرا ونحيط الابصار بالقذى العارض في الطرف لان الاول يحبس
مجاري انفاسه والثاني يمنع مجال الحاظه ومن ذلك قوله عليه السلام
شفاء العي السؤال وهذا القول مجاز والمراد ان الشيء اذا عيي الانسان
برده ولم يثلج صدره بمعرفته كان في السؤال عنه بيان الباسه وسراح الحيا
فاقام عليه السلام التي هو مزيل الالتباس مقام الدواء المطاول والكرب الماحل
اقام السؤال عنه اذا ادى الى العلم به مقام الشفاء المريح والفرج المريح
ومن ذلك قوله عليه السلام في كلمات قالهن لعبد الله بن العباس
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وفي رواية اخرى
تجده امامك وهذا مجاز لان الله سبحانه امامنا وخلفنا وعن ايماننا
وعن شمائلنا من طريق الحفظ لنا والاحاطة بنا فليس يختص ذلك بما
تجاه دون جهة وحالة دون حالة الا ان المراد تجاهك وامامك
هاهنا انك تجد حفظه ومعونته حيث توجهت واي طريق سلكت
وذلك كقول الشاعر في التخويف بالله تعالى وهو نظير الحال التي كلامنا
عليها والله يصبح من امام المدلج اي لا يفوته هارب ولا يضل عنه
شارد ومن ذلك قوله عليه السلام العين حق العين حق تنزل
الحالق وهذا مجاز والمراد ان الاصابة بالعين من قوة تاثيرها
وتحقق انا عملها كانها تستهبط العالي من ارتفاعه وتستفل

الثا

الثابت بعد استقراره والحالق المكان المرتفع من الجبل ومعنى يجعل
عليه السلام العين كانها تحط ذروة الجبل من شدة بطشها وحدة اخذها
وقد تناصرت الاخبار بان الاصابة بالعين حق والذي يقوله اصحابنا
ان الله سبحانه يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلم من الصلاح لهم في
تلك الافعال التي يفعلها والاقدار التي يقدرها واذا تقررت هذه
القاعدة فغير ممتنع ان يكون تغيير الله تعالى نعمة زيد مصلحة لعمرو واذا
كان تعالى يعلم من حال عمرو انه لو لم يسلب زيدا نعمته ويخفض
منزلته اقبل على الدنيا بوجهه ونأى عن الآخرة بعطفه واقدم على
المعاصي وارتكس في المهاوي واذا سلب سبحانه نعمة زيد للعلة التي
ذكرناها عوضه عنها واعطاه بدلا منها عاجلا وآجلا واذا كان
ذلك كما قلنا وقد روي عنه صلى الله عليه وآله ما يدل على ان الشيء اذا
عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر امره لم ينكر تغيير حال بعض
الاشياء عند نظر بعض الناظرين اليه واستحسانه له وعظمه في صدره
وفخامته في عينه كما روي انه عليه السلام قال لما سبقت ناقته العضباء
وكانت اذا سوبق بها لم تسبق ما رفع العباد من شيء الا وضع الله
منه فيمكن ان يتأول قوله عليه السلام العين حق على هذا الوجه ويجوز
ان يكون ما امر به المستحسن للشيء عند رؤيته له من اعاذته بالله والصلاة

على رسول الله قائما في المصلى مقام تغير حال الرائي المستحسن فلا تتغير
عند ذلك لان الرائي قد اظهر الرجوع الى الله سبحانه والاخبات له
واعاذ ذلك المرئي بفكره غير راكن الى الدنيا ولا مغتر بها ولا واثق
بما يرى عليه احوال اهلها . ولعمرو بن بحر الجاحظ في الاصابة بالعين
مذهب لغيره وذلك انه يقول انه لا ينكر ان تنفصل من العين الصائبة
الى الشيء المستحسن اجزاء لطيفة فتؤثر فيه وتجني عليه ويكون هذا
المعنى خاصا ببعض الاعين كالخواص في الاشياء وعلى هذا القول
اعتراضات طويلة وغير طائل كثيرة لا يقتضي هذا الكتاب استيفاء
ذكرها واستقصاء شرحها **ومن ذلك قوله عليه السلام** الاسلام
ذلول لا يركب الا ذلولا . وهذه استعارة والمراد ان الاسلام سهل
القياد لمن اراده وطيء الظهر لمن امتطاه لا يتوقص براكبه . ولا
يتقاعس على جاذبه فهو كالبعير الذلول الذي يسمح بزمامه ويطوع
لزمامه . وقوله عليه السلام لا يركب الا ذلولا اي لا يستجيب من الناس الا
من لانت للدين عرائكه وترتبت عليه مآخذه وطاعت نفسه باحتمال
اعبائه والصبر على لأوائه فاشبه من هذا الوجه ايضا الفرس الذلول
الذي يمكن راكبه ويطاوع فارسه . وانما جعل عليه السلام الاسلام
في الثاني بمنزلة الراكب بعد ان وصفه في الاول بصفة المركوب

الاسلام كان المالك على الانسان امره والباخع منه نفسه فهو يقوده بزمامه
ويصرفه على احكامه فكان من هذا الوجه كانه راكب له ظهره لما كان مالكا
لامره **ومن ذلك قوله عليه السلام** من تقرب الى الله شبرا تقرب
اليه ذراعا ومن تقرب الى الله ذراعا تقرب اليه باعا ومن اقبل الى
الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولا وهذا القول مجاز والمراد ان من فعل
الشيء القليل من البر عوضه الله الشيء الكثير من الاجر فجعل عليه السلام
التقرب من استحقاق الثواب كانه تقرب من فاعل الثواب على طريق المجاز
والاتساع وعلى هذا المعنى يحمل كل ما جاء في القرآن والكلام من ذكر القرب
الى الله سبحانه لانه تعالى جل لا يوصف بالقرب من طريق الدنو والمسافة
ولكن من حيث كان ترتيب الثواب من مستحقه ودانى الاحسان من مرجيه
وموصله فكانت صفة القرب متعلقة باحسانه وثوابه لا بنفسه وذاته
فاما قوله عليه السلام ومن اقبل الى الله ماشيا اقبل الله اليه مهرولا
فالمراد به ان من تقرب اليه سبحانه بطاعته وان فعلها متبطئا متثاقلا فانه
تعالى يعجل جزاءه عليها معجلا سريعا فالمشي ها هنا كناية عن الطاعة
المبطئة والهرولة كناية عن المثوبة المسرعة . فذكر ذلك عليه السلام
على طريق ضرب المثل لفضل ما يفعله الرب تعالى على ما يفعله العبد
وان كان لا يجب في كل طاعة ان يكون جزاؤها عاجلا وثوابها مبادرا

ومن ذلك قوله عليه السلام ما الشيطان من سلاح ابلغ في الصالحين
من النساء. وهذا القول مجاز وذلك انه عليه السلام اقام النساء لتحكمهن
على النفوس وتأثيرهن في القلوب مقام السلاح للشيطان الذي يقارع
به قلوب الصالحين ويقرع بحد ضمائر المتماسكين فيملك به ازمة قلوبهم
ويقلبهم به عن طاعة ربهم ونظير ذلك قوله عليه السلام
النساء حبائل الشيطان وقد مضى كلامنا عليه فيما تقدم من هذا
الكتاب **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد سئل عن ضالة الابل فقال
للسائل ما لك ولها معها حذاؤها وسقاؤها ترد الماء وترعى الشجر حتى
يلقاها ربها فيأخذها. وهاتان استعارتان كأنه عليه السلام جعل خف
الضالة بمنزلة الحذاء وشربها بمنزلة السقاء فليس يعوزها السير
في الفيافي والتنقل في المهامه والسمالق لانها صابرة على قطع المفاوز
وتكلف الشقة لاستحصاف مناسمها واستغلاظ قوائمها ولانها
بطول اعناقها تتمكن من ورود المياه القاصية وتناول من اوراق
الشجر الشاخصة في هذه الاحوال بخلاف الضالة من الشاء لان تلك
تضعف عن ادمان السير والضرب في اقطار الارض لضعف قوائمها
وقلة تمكنها من اكثر المياه والمراعي بنفسها ومع ذلك فهي فريسة للذئب
ان احرجتها واستروح ريحها ولاجل ذلك قال عليه السلام للسائل عنها

خذها فانما هي لك او لاخيك او للذئب **ومن ذلك قوله عليه السلام**
في كلام طويل فاذا طلع حاجب الشمس فلا تصلوا حتى تبرز واذا غاب حاجب
الشمس فلا تصلوا حتى تغيب. وهذه استعارة والمراد بحاجب الشمس اول
ما يبدو من قرصها فكأنه عليه السلام شبه الشمس عند صعودها من حد
الارض بالطالع من وراء ستر تنم او غيب يصيم فاول ما يبدو منه
وجهه واول ما يبدو من تخاطيط وجهه حاجبه ثم تبين وجهه ثم يبرز
جسمه شيئا شيئا وجزءا جزءا فكأنه عليه السلام نهى عن الصلاة عند ظهور
بعض الشمس للعيون حتى يظهر جميعها وعند مغيب بعضها حتى يغيب جميعها
وقال القطامي في حاجب الشمس ومراده جانبها ترات لنا كالشمس تحت
غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب اي ظهر منها جانب وغاب
منها جانب وقد يجوز ان يكون لحاجب الشمس ها هنا معنى آخر وهو ان
يراد به ما يبدو من شعاعها قبل ان يظهر جرمها وكذلك ما يبقى من
شعاعها قبل ان يغيب قرصها فاقام ذلك عليه السلام لها مقام الحاجب
لانه يدل عليها ويظهر بين يديها فكأنه عليه السلام نهى عن الصلاة قبل
ان يظهر قرص الشمس بعد الشعاع الغائب امامه والصلاة المراد بها ههنا
صلاة التطوع دون صلاة الفرض الا ترى ان اول ما يظهر قرص الشمس
ليس بوقت لشيء من الصلوات المفروضات. كذا اول هذا الخبر محقق

القول الذي قلناه وهو قوله عليه السلام لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس
ولا غروبها فانها تطلع بين قرني شيطان • وقد اختلف الفقهاء في ذلك
فقال ابو حنيفة لا يجوز ان يتطوع بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس ولا
بعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس • وقال الشافعي يجوز ان يصلي في
هاذين الوقتين النفل الذي له سبب مثل تحية المسجد ولا يصلي النفل
المبتدا الذي لا سبب له **ومن ذلك قوله عليه السلام** المؤمن ياكل
في معا واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء • وهذا القول مجاز والمراد
ان المؤمن يقنع من مطعمه بالبلغة التي تمسك الرمق وتقيم الاود دون
المآكل التي يقصد بها وجه اللذة ويقضى بها حق الشهوة فكانه
ياكل في معا واحد لفرط الاقتصار وكراهة الاستكثار واما الكافر
فانه لتبحبحه في المآكل وتغلغله في المطاعم وتوجهه ضد ما يتوخاه
المؤمن من اجتناب حطام الدنيا التي يطلب عاجلها ولا يامل آجلها
فهو يقصد فيها اللذة وكادح في طاعة شهوته كانه ياكل في سبعة امعاء
لانه اكله للذة لا للبلغة وللنهمة لا للسكة **ومن ذلك قوله عليه السلام**
جيئوا بكبش اقرن يطا في سواد وينظر في سواد وفي حديث طويل فاتي
به فضحى به وذبحه بيده • وهذه استعارة والمراد بقوله عليه السلام
يطا في سواد ان اظلافه سود فكانه يطا منها في سواد اي يلبس منها

ويبين الارض منها الا ما هو اسود وهذه من محاسن الاستعارات و
المراد بقوله عليه السلام وينظر في سواد ان حدقته سوداء ومطارح نظره
منها فكانما ينظر في سواد وهذا المعنى اراده كثير بقوله • ومن عجائب
تدمع في بياض ان دمعها يقطر على خدها وهو ابيض فيصير الدمع واقعا
في بياض • والمراد بقوله وينظر في سواد المعنى الذي قدمنا ذكره
من وصف الحدقة بشدة الاسوداد • واذا كان النظر منها فكان النظر
في سواد **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد ذكر له امراة لا تحيض
ليست هذه بالحيضة ولكنها ركضة من الرحم • وهذه استعارة والمراد
بقوله عليه السلام ركضة من الرحم ان الرحم نفحت هذا الدم من غير
حيضة ولكن من عادة علة فاشبهت ركضة الفرس اذا دفع بحافره
او ركضة البعير اذا ركض برجله وهم يسمون الطعنة اذا اندفعت دما
وفار دمها رماحة ورموحا ويقولون رمحت الدم اذا كان دمها
رغبا وجرحها رحبا • وذلك موجود في اشعارهم ومتعارف في
لسانهم **ومن ذلك قوله عليه السلام** ان الله ليربي لاحدكم
التمرة واللقمة كما يربي احدكم فلوه وفصيله حتى يكون مثل احد
وهذه استعارة والمراد ان الله سبحانه يجمع القليل الى القليل من
صدقاتكم والنزر الى النزر من زكاتكم وطاعاتكم حتى يعظم ثوابها و

يكبر صغيرها فيكون تعظيم الجزاء بحسبه وجزيل الثواب على قدره فجعل
عليه السلم ذلك كتربية الفلو والفصيل وتربيب الطفل الصغير لانه
تنتقل من حال الضعف والصغر الى حال الاشتداد والكبر ومن
ذلك قوله عليه السلم من عاد مريضا لم يزل يخوض الرحمة حتى
يجلس فاذا جلس اغتمس فيها . وهذه استعارة والمراد العبارة عن كثرة
ما يحصل لعائد المريض من الاجر الوافر والثواب الغامر فشبهه عليه السلم
لهذه الحال بخائض الغمر يمشي فيه والمنغمس فيه عند جلوسه و
من ذلك قوله عليه السلم في كلام طويل لا ترسلوا مواشيكم
وصبيانكم اذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء . فقوله عليه السلم
فحمة العشاء استعارة والمراد ظلمة العشاء الا انه عليه السلم شبه الظلمة
في هذا الوقت بالفحمة وهي القطعة السوداء التي احرقت النار اجزاءها و
احالتها عن هيئتها والجمع فحم كصحفة وصحف فكانه عليه السلم اقام الشمس
النهار مقام النار والتوقد فاذا انطفا جاحمها وخمد متضرمها
اعقب منها الفحم وخلفها الفحم . والفواشي في هذا الخبر اسم لما ينتشر من
الحيوانات الحي كالابل والغنم والحمير والبقر وما يجري هذا المجرى وسميت
فاشية لانتشارها وظهورها . ومنه قولهم فشا الحديث اذا ظهر
وانتشر . ومن كلام العرب ضموا فواشيكم وردوا مواشيكم

ومن ذلك قوله عليه السلم اعطوا الطرق حقها قيل وما حقها
يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وفي حديث اخر لا تقعدوا على الصعدات الا من اعطاها حقها والصعدات
الطرق . وهذه استعارة كانه عليه السلم جعل للطرق على القاعدين عليها
حقا يجب عليهم الخروج اليها منه والاعفاء لها به وهو مجموع الخلال المذكورة في
اول الحديث فمن خرج من ذلك الحق الواجب وقام بذلك الفرض اللازم جاز
له القعود على الطرق ومن لم يقم بذلك الحق ويؤد ذلك الفرض كان
جلوسه عليها محظورا وكان بحاله الامن مذموما ومن ذلك
قوله عليه السلم المجالس ثلثة سالم وغانم وشاجب . وهذا القول
مجاز والمراد ان اهل هذه المجالس ثلثة سالمون وغانمون وشاجبون
والشاجب الهالك والشجب الهلاك . فجعل عليه السلام هذه الصفات
للمجالس وهي على الحقيقة لاصحاب المجالس ولكنها لما كانت مشتملة على
اهلها حسن اجراء صفاتهم عليها . ومعنى هذا الخبر ان المجلس الذي لا يذكر
فيه الجميل ولا القبيح ولا المنكر ولا المعروف فاهله سالمون والمجلس الذي
يذكر فيه الحسن من الاقوال ويتحاض من فيه على جميل الافعال فاهله غانمون
والمجلس الذي لا يسمع فيه الا القبيح ولا يفعل فيه الا المحظور فاهله
هالكون ومن ذلك قوله عليه السلام ان ابرهيم ابني مات وانه

وان له ظئرين يكملان رضاعه في الجنة فقوله عليه السلام مات في الثدي
مجاز والمراد ان الموت اصابه وهو يرضع فكانه قال مات وهو في الرضاع
وذلك كقول القائل ابن فلان في الصناعة او ولد فلان في الكتاب اذا
اراد انه قد دفع الى من يعلمه هذه الصناعة فهو مقصور على ذلك ومأخوذ
به ولم يفرغ بعد من تعلمه ومثل ذلك ايضا قولهم ابن فلان بعد في ابجد
او في الف با تا ثا اي هو بعد في تعلم هذه الحروف المخصوصة لم يثبت كل
علمها فينتقل منها الى غيرها ولا بد من حمل الكلام على تقدير مضاف
محذوف وهو رضاع الثدي فيكون المعنى صحيحا فكانه عليه السلام قال
مات وهو في رضاع الثدي ولذلك نظاير كثيرة واشباه مشهورة ومنها
ما جاء في التنزيل من قوله تعالى واسأل القرية والمراد اهل القرية
ما معنى ذلك ومن ذلك قوله عليه السلام اذا وقعت الحدود
وصرفت الطرق فلا شفعة. وهذا القول مجاز والمراد وصرفت الطرق
فخرجت عن حال الاشتراك وطريقة الاختلاط فشبه عليه السلام ذلك بصرف
الانسان عن وجهته وعكسه عن جهته وهذا الخبر مما يستشهد به من قال
ان الشفعة انما تجب للشريك المخالط دون الجار المجاور وهو مذهب اهل
البيت عليهم السلام وقول مالك والشافعي من فقهاء الحجاز. وقال اهل
العراق انما تجب للشريك المخالط وللجار المجاور ومن ذلك قوله عل

وسيأتي على الناس زمان يثقفون القرآن كما يثقف القدح وحديث
طويل آخره يخرج مخرج الذم لاهل ذلك الزمان. وهذه استعارة والمراد انهم
يعنون باصلاح الفاظ القرآن حتى تقوم على المنهاج وتقوم بعد الاعوجاج
فتكون كالسهم المثقف الذي يجري في الانباض ويقرطس في الاغراض ولا
يتدبرون ما وراء تلك الالفاظ من حكم واجب وامر لازم وفرض متعين
حتى يبين ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام اطلق الشرب في
الاوعية فاشربوا ما شئتم الا من اوكى سقاه على اثم. بعد ان كان
حظر ونهاكم عن الشرب في الاوعية. وهذا القول مجاز والمراد اطلاق
الشرب في الاوعية التي وقع النهي عنها كالدبا والحنتم والنقير والمزفت
اذا كان ما فيها من الاشربة المطلقة غير الممنوعة والمباحة غير المحظورة
وموضع المجاز قوله عليه السلام الا من اوكى سقاه على اثم يقول الا من ربط
سقاه على شراب محرم فان ذلك خارج من باب الاطلاق والاباحة
داخل في باب الحظر والكراهة واراد عليه السلام الا من اوكى سقاه على شراب
يؤدي الى اثم فاقام الاثم مقام الشراب لانه عاقبة امره ووبال فعله ومن
ذلك قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وهذا القول مجاز والمراد ان جميع الافعال التي توصل الى الجنة فيها تجشم
على الكره والمشقة لان طريقها وعر ومسلكها متوعر فلما كانت الطرق المفضية

الى الجنة كلها كما ذكرنا شاقة المسالك الصعبة على السالك لحسن ان يقال
ان الجنة حفت بالمكاره على طريق المجاز وسعة الكلام ولما كانت الانفس
المفضية الى دخول النار في الاغلب الاكثر كثيرة الملاذ ملائمة للطباع
لا تؤتى من طريق مشقة ولا يفزع اليها باب كلفة حسن ان يقال
ان النار حفت بالشهوات على طريق الاتساع والمجاز **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا
فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل ان يدخل بها اهل تحل لزوجها الاول
فقال عليه السلام لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته
وهذه استعارة كانه عليه السلام كنى عن حلاوة الجماع بحلاوة العسل فكأنه
جعل مجمع المرأة ومجمع الرجل كالعسلة التي دعت الى ظرفها فلا يصح الحكم
عليها الا بعد الذواق منها وجاء عليه السلام باسم العسلة مصغرا للتلطيف
في هذا المعنى وهو ان المراد فعل الجماع دفعة واحدة وهو ما تحل المرأة به
للزوج الاول فجعل ذلك بمنزلة الذواق القليل من العسلة عن غير استكثار
منها ولا معاودة لاكلها فاوقع التصغير على الاسم وهو في الحقيقة
للفعل وكذلك العكس من التصغير في البيت المشهور وهو من ابيات الكتاب
وانشدناه الشيخان ابو الفتح عثمن بن جني وابو الحسن علي بن عيسى الربعي
وذلك قول الشاعر • يا ما اميلح غزلانا شدن لنا من هاوليائكن الضا

والسمر فالا اوقع الشاعر التصغير على الفعل في الظاهر وذلك غير جائز في
انما اراد به على الحقيقة تصغير الاسم المصدر الذي هو الملاحة فهذا الشاعر
كما ترى صغر الفعل واراد الاسم وهو عليه السلام في الخبر صغر الاسم واراد
الفعل **ومن ذلك قوله عليه السلام** لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم
ياتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته الا كان ذلك كفارة لما
بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنب المقتلة • فقوله عليه السلام ما اجتنب
المقتلة مجاز والمراد ما لم يواقع الخطيئة الكبيرة التي تكون سببا لهلاكه
وطريقا الى بواره فشبهها عليه السلام بالمقتل من مقاتل الانسان الذي
اذا اتي منه فقد اتي عليه وانما انث عليه السلام المقتل لانه جعله في هذا
الموضع عبارة عن الخطيئة وهي مؤنثة فانثه حملا على المعنى ولذلك في
كلامهم نظائر كثيرة **ومن ذلك قوله عليه السلام** انه ليغان على
قلبي حتى استغفر الله مائة مرة • وهذا القول مجاز والمراد ان الغم
يغشى قلبه عليه السلام حتى يتكشف غمه ويستصرح كربه بالاستغفار
فشبه ما يغشى قلبه من ذلك بغواشي الغيم التي تستر الشمس وتجلل الافق
والغين والغيم اسمان للسحاب وسواء قال يغان على قلبي او قال يغام على
قلبي **ومن ذلك قوله عليه السلام** القلوب اوعية بعضها اوعى
من بعض • وهذه استعارة والمراد تشبيه القلوب بالاوعية في الظروف

والغياب التي تحوز فيها الامتعة وغيرها من الاشياء المحفوظة تودى
كالابنية لايداع الاشياء المايعة الا ان الاوعية تختص الجامدات
كما ان الابنية تختص بالمايعات فالقلب من حيث حفظ ووعى كالوعاء
من حيث جمع واوعى ● وربما نسب هذا الكلام الى امير المؤمنين عليه السلم
على خلاف في لفظه وقد ذكرناه في جملة كلامه لكميل بن زياد النخعي
في كتاب نهج البلاغة ● ومن ذلك قوله عليه السلم ما يخرج رجل شيئا
من الصدقة حتى يفك عنها لحى سبعين شيطانا ● وهذا القول مجاز
والمراد تعظيم الامر في مجاهدة الانسان نفسه عند اخراج الصدقة لشدة
تشبع النفس لها وكثرة الصوارف عنها ووساوس الشيطان بما يقتضي
الامتناع منها فاذا غلب الانسان باخراجها نوازع جنانه ونوازغ
شيطانه كان كانه قد اقتلعها من ايدى الجاذبين وفك عنها لحى الشياطين
وانما ذكر عليه السلم هذا العدد المخصوص من الشياطين وهو السبعون
على طريقة للعرب مشهورة في ذكر ذلك اذا ارادت التكثير وقد ورد
التنزيل بسلوك هذا النهج والوقوف عند هذا العدد قال سبحانه
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم ● وقال تعالى ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه
ومن ذلك قوله عليه السلام يد الله مع القاضي حين يقضي

ويد

ويد الله مع القاسم حين يقسم ● وهذا القول مجاز والمراد ان علم الله سبحانه
ومعونته لا يغيبان عن الحاكم اذا حكم وعن القاسم اذا قسم فيعلم سبحانه عدل
القاضي اذا تحرى العدل وظلمه اذا اعتمد الظلم ولا يخفى عليه حيف القاسم
وميله او انصافه وعدله وذلك كما يقول القايل يد فلان مع فلان اذا
كان مشاركا له في ولايته او مشارفا له في امور بعينها ● وفي هذا
القول تخويف شديد للحاكم والقاسم من مفارقتهما مقام الحق وسمت
الصدق وحث لهما على سلوك النهج الابلج وتجنب الطريق الاعوج ● ونظير
هذا الخبر قوله عليه السلم ان الله عند لسان كل قايل والمراد انه تعالى محيط
علما بمقاصد كلامه ومصادر لسانه كما يعلم ذلك منه من سمع حواره و
شهد خطابه ● ومثل ذلك ايضا قوله عليه السلم ما اراد الله سبحانه ارفق
اليكم من رفقه بركائكم ومن ذلك قوله عليه السلم لعبد الله بن
زيد بن عبد ربه الانصاري وقد راي الاذان في نومه القه على بلال
فانه اندى منك صوتا ● وهذا القول مجاز والمراد انه امد صوتا منك
تشبيها بالشيء الندي الذي يمتد وينبسط وهو بالضد من اليابس
الذي يجتمع وينقبض وعلى ذلك قول الشاعر ● فقلت ادعوا وادعوا
ان اندى لصوت ان ينادي داعيان ومن ذلك قوله عليه السلم
من قال حين يصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله

الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير عشر
مرات كتب الله له بكل واحدة منها عشر حسنات وحط عنه بها عشر
سيئات ورفع له بها عشر درجات وكن له مسلحة من اول نهاره الى
آخره ولم يعمل يومئذ عملا يقهرهن. وفي هذا الكلام استعارتان
احداهما قوله عليه السلام وكن له مسلحة من اول نهاره الى آخره والمراد
بالمسلحة هاهنا مجتمع السلاح الكثير يقال هاهنا مسلحة للسلطان ويراد
به الموضع الذي جماعة من اعوانه قد كثرت اسلحتهم واشتدت شوكتهم
كما يقال مأسدة للارض الكثيرة الاسد ومكماة للارض الكثيرة
الكماة ومفعاة ومحواة للارض الكثيرة الافاعي والحيات ونظائر
ذلك كثيرة فجعل عليه السلام هذه الكلمات لقائلهن بمنزلة السلاح
الكثير الذي يدفع عنه المخاوف ويرد الايدي البواطش والاستعارة
الاخرى قوله عليه السلام ولم يعمل يومئذ عملا يقهرهن والمراد ولم
يعمل من الاعمال السيئة في يومه ما يغلب ثواب هذه الكلمات اذا قالها
على الوجه المحدود فيها وينبغي ان يكون المراد بذلك الذنوب الصغائر
دون الذنوب الكبائر لان عقاب الكبيرة يعظم فيكون كالقاهر لتلك
الحسنات التي ذكرها والدرجات التي اشار اليها ولما اقام عليه السلام
تلك الكلمات مقام السلاح لقائلها جعل ما في مقابلتها من اثم موقع

وذنب موبق بمنزلة القاهر لها والثالم فيها املاحة من صفحات
الالفاظ ومزاوجة من فوائد الكلام وهذا موضع المجاز الثاني
الذي اشار في ذكره وكشفنا عنه **ومن ذلك قوله عليه السلام**
لما امر برجم اليهوديين اللذين زنيا بعد ان وافقنا اليهود على ان حد الزاني
المحصن عندهم الرجم دون الجلد وكانوا انكروا ذلك ثم اقروا به فقال
عليه السلام اللهم اني اول من احيا امرك اذا اماتوه. وهذه استعارة
والمراد اني اول من اظهر امرك اذ ستروه وانا عمر اذ كتموه فاقام عليه
السلام الاظهار مقام الاحياء والاخفاء مقام الاماتة لان الحي ظاهر
منتشر والميت خاف مستتر. وقد مضى الكلام على نظير هذا الخبر فيما تقدم
من هذا الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** فيما رواه شداد
بن الهاد قال سجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله سجدة اطالها
فيها فقال الناس عند انقضاء الصلاة يا رسول الله انك سجدت بين
ظهراني صلاتك سجدة اطلتها حتى ظننا انه قد حدث امر او انه اتاك
وحي فقال عليه السلام كل ذلك لم يكن ولكن ابني هذا ارتحلني فكرهت ان
اعجله حتى يقضي حاجته وكان الحسن او الحسين عليهما السلام قد جاء والنبي
عليه السلام في سجدته فامتطى ظهره وهذا الحديث مشهور وموجبه
لمن يجوز انتظار الامام ركوعا اذا سمع خفق النعال حتى يدخل الوارد

معرف الصلوة وهو قول الشافعي وقد كرهه اهل العراق ولاخلاف
في ان الامام يجوز له ان يبطئ حضور الجماعة اذا لم يخش فوت الوقت
قبل ان يدخل في الصلوة فاستطال عليه السلام انتظاره حتى يقضي منه حاجته
يدل على ان من فعل هذا الفعل واشباهه لا يخرج به من الصلوة وقوله
عليه السلام ولكن ابني هذا ارتحلني استعارة والمراد انه جعل ظهري كالراحلة
او المطية التي تحمله ويقال من ذلك رحلت الناقة وارتحلتها اذا امتطيتها
لسيرها وعلى ذلك قال الشاعر • ولكن رحلناها نفوسا كريمة تحمل
ما لا يستطاع فتحمل • الا ترى ان الشاعر لما جعل هذه النفوس بمنزلة
المطايا المذللة والظهور المحملة استحسن ان يقول رحلناها مقابلة
بين اجزاء اللفظ وملاءمة بين النحو والصدر وليس هناك على الحقيقة
ظهور تحمل الرحال وتحمل الاثقال وانما اراد صفة تلك النفوس
بالصبر على عض البلاء وعرك اللاواء ونوازل القدر وحوادث الغير
ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام كلم به بعض اصحابه لن تبرحوا
مستمسكين بما كنت بين اظهركم فاذا انا اهلكت اقبلت اليكم الدنيا
واقبلتم اليها واضطربتم بالدنيا اضطراب الوالدة ولدها • وهذه
استعارة والمراد ان الدنيا بعده عليه السلام تكثر فوائدها وتتصل غنائمها
فتشغفهم الا هلها بحفاء الوالدة بولدها اذ كانت ترضعه درها

وتمتهن حروفها وتشكل عليه جمدها وذلك كقولهم قد لحم فلان فلانا
الكفر يريدون انه قد قام بامره واغناه عن غيره **ومن ذلك
قوله عليه السلام** لا تعادوا الايام فتعاديكم • وهذا القول مجاز لان
الايام على الحقيقة لا يصح ان تعادى ولا تعادي وانما المراد لا
تخصوا بعض الايام بالكراهية لموالطيرة به فربما اتفق عليكم فيه
من طوارق القدر وبوائق الغير ما يقوي في ظنونكم انه يختص ذلك
اليوم دون غيره من الايام وليس كما ظننتم لان الايام تمضي في
ذلك على تمادي ايامها وتجري الى غاياتها فتكونون كانكم قد عاديتم ذلك
اليوم باستشعاركم وصول الضرر اليكم منه ويكون ذلك اليوم كانه
قد عاداكم باتفاق المضرة عليكم فيه وخرج القول مخرج المجاز و
الاتساع ومنابح الكلام **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد
سمع اعرابيا يقول في مسجده صلى الله عليه وعلى آله بعقب صلاة صلاها
اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا احدا • فقال عليه السلام لقد تحجرت
واسعا • وهذه استعارة واصل التحجر ان يخط الانسان خطة ويضرب
عليها سياجا ليحوزها به ويعلم انها في حيزه ومن الحجر ومن البيت
المضروب وجعلت بعد ذلك اسما للبناء مخصوص وجمعها حجر ومن
ذلك قولهم حجر الحاكم على فلان اذا منعه من التصرف في ماله فكانه ضرب

على خطأ يحبسه فيه ويقصر خطوه دونه. فاراد عليه السلام
بقول الاعرابي لقد تحجرت واسعا انه تشبه من ضرب سياجه على قوم
واسعة فحازها ومنع غيره من المشاركة فيها لانه دعا بان يرحم النبي
عليه السلام ويرحمه معه خصوصا وحظر رحمته سبحانه على الناس عموما
فكان ذلك تحجرا على الرحمة وتسيطرا على النعمة وخلافا لقوله تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء. وفي رواية اخرى انه عليه السلام قال للاعرابي حين
قول الاعرابي من هذا لقد احتظرت واسعا. والمعنى في اللفظين واحد
لان الاول ماخوذ من الحجر. والثاني ماخوذ من الحظيرة. وقد يجوز
ان يكون المراد لقد ضيقت امرا واسعا في الجملة وقد يجوز ان يكون لقد
وسع على نفسه فضيق على غيره **ومن ذلك قوله عليه السلام**
من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وهذه استعارة والمراد ان من اخر
به عمله عن غايات الفضل ومواقف الفخر لم يتقدم اليها بشرف
نسبه وكرم حسبه فجعل عليه السلام الابطاء والاسراع مكان التاخر
والتقدم لان البطيء متاخر والسريع متقدم واضافهما الى العمل و
النسب وهما في الحقيقة لصاحبهما لا لهما ولكن العمل والنسب لما كانا
سببا الابطاء والاسراع حسن ان يضاف ذلك اليهما على طريق المجاز
والاتساع **ومن ذلك قوله عليه السلام** رحم الله حمير افواههم سلام

وايديهم طعام اهل امن وايمان. وهذا القول مجاز والمراد المبالغة في صفتهم
بافشاء السلام واطعام الطعام فلما كثر لفظ السلام من افواههم وبذل
الطعام من ايديهم جاز على طريق المبالغة ان يقول افواههم سلام وايديهم
طعام كما يقول القائل ما فلان الا اكل ونوم وما فلان الا صلوة
وصوم اذا كثر الاكل والنوم من الاول والصلوة والصوم من الاخر وعلى
هذا قول الخنساء في صفة الظبية الفاقدة ولدها. ترتع ما رتعت حتى اذا
ادكرت فانما هي اقبال وادبار. تريد وصفها بكثرة الاقبال والادبار
والتململ والاضطراب. ومن هذا الباب ايضا قولهم فلان عدل فوصفوه
بالمصدر الذي هو فعله لما كثر العدل منه وقوي منه وتطابق منه ونظاير
ذلك كثيرة **ومن ذلك قوله عليه السلام** ويعني الموت اكثروا
ذكر هادم اللذات. وهذه استعارة والمراد ان اللذات بالموت تتلاشى
وتبطل وتمحق وتضمحل كما يضمحل البناء بهدمه ويبطل بتعفية رسمه
والهدم في الاصل هو ابطال الشيء فاذا قالوا انهدم فلان البناء فانما
يريدون انه ازاله وابطله. ومن ذلك الحديث المروي عنه عليه السلام للانصار
ليلة العقبة بعد ان جرى كلام طويل. بل الدم الدم والهدم الهدم. واصح
ما قيل في تفسير ذلك انه عليه السلام اراد انكم ان طلبتم بدم طلبته وان بطلتم
هدمته وانا الهدم بما بنا مقام الطل يقول ان طللتم طللته يعني ان

ايطلع ابطانه وقال يعقوب بن السكيت في كتاب الالفاظ يقال
دماؤهم هدم بينهم اي هدر ويقال هدم بتحريك الدال ايضا **ومن
ذلك قوله عليه السلام** في ذم اقوام من المنافقين خشب بالليل صخب
بالنهار في كلام طويل وهذه استعارة والمراد انهم ينامون الليل كله من
غير قيام لصلاة ولا استيقاظ لمناجاة فهم كالخشب الملقاة وفي القرآن
كانهم خشب مسندة يريد تعالى انهم لا خير فيهم ولا نفع عندهم كالخشب
التي تدعم للانهياف وتمسك للانغطاط **ومن ذلك قوله
عليه السلام** ان المؤمن اذا اذنب كان الذنب نكتة سوداء في قلبه فان
تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعم قلبه فقوله
عليه السلام صقل قلبه استعارة والمراد ان تلك النكتة السوداء تمحى عن قلبه
ولكنها لما كانت بمنزلة الدرن في الثوب والطبع على السيف حسن ان يقال
صقل قلبه منها كما يصقل السيف من طبعه او يغسل الثوب من درنه
ومن ذلك قوله عليه السلام في كلام طويل ولا يشرب احدكم
الحدود وهو حين يشربها مؤمن وهذا القول مجاز والمراد بالحدود
بها هنا الخمر وانما عبر عليه السلام بهذا الاسم عنها لان اقامة الحدود تستحق
بشربها وليس ههنا معصية ربما اجتمعت في الاقدام عليها حدود
كثيرة غيرها لان السكران في الاكثر يقدم على استحلال الفروج واهلاك

النفوس وسب الاعراض وقذف المحصنات فيجتمع عليه حد السكر وحد القتل
وحد الزنا وحد القذف ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام وقد سأله عمر بن
الخطاب عن حد السكران فقال اقم عليه حد المفتري لان الشارب اذا سكر
هذى واذا هذى افترى **ومن ذلك قوله عليه السلام** في اطفال
المسلمين هم دعاميص الجنة وهذه استعارة والدعموص دويبة صغيرة تكون في
مياه العيون ويقال انها الضفدع فكانه عليه السلام شبههم لتنقلهم في انهار
الجنة ومياهها بالدعاميص التي تعوم في قرارات الغدران وحبابها
ومن ذلك قوله عليه السلام اذا ضيعت الامانة فانتظروا الساعة
قيل وما اضاعتها يا رسول الله قال اذا توسد الامر الى غير اهله وفي رواية
اخرى اذا وسد الامر الى غير اهله وهذه استعارة والمراد اذا اسند الامر
الى غير اهله فاقام الوساد هاهنا مقام الاسناد لان المتوسد للشيء مستند
اليه ومعتمد عليه وانما جعل عليه السلام الامر مسندا اليهم لانهم القائمون
باحكامه والمقيمون لاعلامه فهم له كالمساند والوسائد والدعائم والعماد وقد
يكون المراد بقوله عليه السلام على الرواية الاخرى اذا وسد الامر الى غير اهله
على نحو ما قدمنا فاعلمه **ومن ذلك قوله عليه السلام** خمس ليس لهن كفارة
الشرك بالله سبحانه وقتل النفس بغير حق او بهت مؤمن او الفرار يوم الزحف
او يمين صابرة يقتطع بها مال بغير حق وهذا مجاز والمراد باليمين المصبورة

اى مكرهة على الكذب من قولهم فلان مصبور على السيف اى محبوس على
القتل مع اكراه عليه واضطرار اليه • ومن ذلك الخبر المروى انه عليه السلم
نهى عن صبر البهائم وصبرها حبسها وترك تغذيتها الى ان تموت مكرهة
على تلك الحال المكروهة • ومن ذلك قولهم قتل فلان صبرا • فكانه عليه السلم
جعل تلك اليمين الكاذبة لعدولها عن الصدق وتحاملها جهة الحق بمنزلة
المكرهة على ركوب تلك المحجة الضلالة والوقوف عند تلك السنن المرآة
فهى كالمصبورة على السيف والمحمولة على الحتف • ومما يقوى ما قلناه رواية
عمران بن حصين الخزاعى لهذا الخبر قال قال صلى الله عليه وعلى آله من حلف
يمين كاذبة مصبورة فليتبوأ مقعده من النار فقد صرح عليه السلم فى هذه
الرواية بان اليمين الصابرة فى الرواية الاولى بمعنى المصبورة ومن
ذلك قوله عليه السلم اذا دخل البصر فلا اذن • وهذه استعارة
والمراد من استأذن على بيت فولج فيه بصره قبل ان يلج فيه بدنه فقد بطل
اذنه لان الاذن انما يكون من قبل ان يقع البصر على ما يشتمل عليه البيت
فاما اذا كان ذلك فكان المستأذن قد وصل قبل ان يؤذن له فى
الوصول ودخل قبل ان يؤمر بالدخول • ويقوى ما قلناه من ذلك الخبر
الاخر وهو قوله عليه السلم من اطلع من صير باب فقد دمر ومعنى دمر دخل و
الدامر الداخل والصير ها هنا الشق او الفرجة تكون بين البابين ذكر ذلك

ابو عبيد

ابو عبيد فى غريب الحديث • وموضع المجاز من هذا الكلام تصيير عليه السلم
البصر بمنزلة الداخل على القوم وانما اراد رؤيته لهم ونفوذه الى ما وراء
بابهم ومن ذلك قوله عليه السلام الجرس مزمار الشيطان • وهذه
استعارة وذلك انه لما كان كل صوت مكروه ينسب الى الشيطان كضرب
الغناء وعويل النساء وكان صوت الجرس من الاصوات المكروهة بدليل
قوله عليه السلام فى الخبر الاخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها جرس حسن ان
يضاف صوته الى الشيطان على طريق المجاز والاتساع ومن ذلك
قوله عليه السلام ان المؤمن لينضى شيطانه كما ينضى احدكم بعيره
فى السفر • وهذه استعارة والمراد ان المؤمن يصعب قياده على الشيطان فلا
يصغى الى وساوسه ولا يحفل بمواجهته اعتصاما منه بدينه واستلاما
عليه من جنن يقينه فشيطانه ابدا مكدود مقهور لطول منازعته اياه
ومغالبته الزمام فشبهه عليه السلام لانضائه الشيطان فى الاجتهاد فى
اضلاله والامتناع من اتباعه بالمنضى بعيره فى السفر اذا طال سفره وتتابع
توقله وحسر عن كثير ومن ذلك قوله عليه السلام فى كلام طويل لا
تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض الى ان يخرج الرجل بزكاة ماله فلا
يجد احدا يقبلها منه • فقوله عليه السلام حتى يكثر المال ويفيض استعارة
كانه شبهه بالماء الطامى الذى يفيض من قرارته ويسيح من كثرته وتظاهره

الجمر ما روى من قوله عليه السلام في خبر آخر رُبَّ متخوض في مال الله و
رسوله فيما اشتهت نفسه له النار يوم القيامة • كأنه عليه السلام جعل
كثرة المال عند هذا الانسان بمنزلة الغمرة الطامية واللجة الطاخية وجعل
انغماسه وتقلبه فيه بمنزلة التخوض في جمام الغمار ولجج الغمار ومن
ذلك قوله عليه السلام ان للمساجد اوتادا الملائكة جلساؤهم
اذا غابوا افتقدوهم وان مرضوا عادوهم وان كانوا في حاجة اعانوهم • و
هذه استعارة كأنه عليه السلام شبه المقيمين في المساجد والملازمين
لها والمنقطعين اليها بالاوتاد المضروبة فيها وذلك من التشبيهات
العجيبة الواقعة موقعها والمفرطة غرضها • ويقال فلان وتد المجلس
وخاتم المجلس اذا طالت ملازمته له وانقطاعه اليه وتشبيهه بالوتد
في الملازمة ابلغ من تشبيهه بالخاتم لان الخاتم ينقل ويتحول والوتد
يقيم ولا يريم ومن ذلك قوله عليه السلام في حديث طويل ورجل
تصدق بصدقة اخفاها لا تعلم شماله ما تنفق يمينه • وهذا مجاز
والمراد المبالغة في صفته بكتمان نفقته واخفاء صدقته فاذا كانت
شماله لا تعلم بما تنفقه يمينه وهي شريكتها وقسيمتها وجارتها
ولصيقتها فاجدر الا يعلم بذلك غيرها من شحط دارا وبعد جوارا
ومن ذلك قوله عليه السلام وقد ذكر لوطا عليه السلام وقوله لقومه

لو ان

لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قال عليه السلام فما بعث الله بعده
نبيا الا في ذروة قومه • هذه استعارة والمراد فما بعث الله بعده نبيا الا
في اعلى شرف قومه لئلا يغمض حسبه ويزدرى منصبه فيكون ذلك
منفرا عنه وموحشا منه فشبه عليه السلام ذلك بذروة البعير وهي سنامه
او ذروة الجبل وهي رأسه ويقولون فلان في الغوارب من قومه كما
يقولون في الذرى من قومه فالغارب هاهنا كالذروة هناك ويقولون
ايضا هو على يافوخ قومه وفي ذوائب قومه اذا ارادوا اهل العلو وذلك
في اشعارهم وكلامهم اكثر من ان يستقصى وفي شعر يروى لامير المؤمنين علي
عليه السلام كانوا الذوائب من فهر واكرمها حيث الانوف وحيث الفرع و
العدد ومن ذلك قوله عليه السلام لكل شيء سنام وسنام القرآن
سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن لا تقرأ في بيت فيه شيطان
الا خرج منه وهي آية الكرسي • وفي رواية اخرى البقرة سنام القرآن وذروته
وياسين قلب القرآن • وفي هذا الكلام استعارات ثلاث اولاهن قوله عليه
السلام وسنام القرآن سورة البقرة والمراد انها اعلى القرآن كأنه شبهها
ان اعلاها في البعير سنامه وذروته والكلام في هذا المعنى كالكلام على
الخبر المذكور امام هذا الخبر لان المراد بهما واحد • والاستعارة الثانية
قوله عليه السلام وفيها آية هي سيدة آي القرآن والمراد انها تتقدم القرآن في

تفضلا كما ان السيد يتقدم على عشيرته ويفضل اهل طبقته ۔ والاستغراق
الى التشريف قوله عليه السلام ويس قلب القرآن والمراد انها خالص القرآن ولبابه كما
ان قلب الشيء صميمه وخالصه ويقولون فلان قلب بني فلان اذا كان في
مقصميهم وفي صميم ادبهم **ومن ذلك قوله عليه السلام** من كلام
طويل ايها الناس ما يحملكم على ان تتتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش
في النار ۔ وهذا القول مجاز والمراد تسارعون الى قول الكذب تهافتا
فيه وتنازعا اليه فتكونون كالفراش المتساقط في النار لا تزيلوذ بها
وتنازع اليها والتتابع التواقع في الشيء المكروه فلما كان الكذب كالهوة
والمزلة من حيث ادى الى الخزاية والمدالرحض لذلك ان جعل المتتابع اليه
كالواقع فيها والمرتكس في حرها ۔ وقد يجوز ايضا ان يكون المراد ان
الكذب لما كان مفضيا الى دخول النار جعل المتتابع اليه كالمتهافت في
النار ۔ ويؤكد هذا الوجه تشبيه المتتابع فيه بالمتتابع في النار و
لذلك نظاير قد تقدم الكلام عليها في هذا الكتاب **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد ذكر عنده رجال من اصحابه يجتهدون
في العبادة اجتهادا شديدا فقال عليه السلام تلك ضراوة الاسلام
ولكل شيء ضراوة وشرة ولكل شرة فترة فمن كانت فترته الى الكتاب
والسنة فلامه هو ومن كانت فترته الى معاصي الله فذلك الهالك

فقوله

فقوله عليه السلام تلك ضراوة الاسلام وشرة ثم استراحة والمراد بذلك
شرة الورع وافراطه وغلوه واشطاطه فشبهها بالضراوة على الشيء
الماكول والمشروب وهي شدة الاعتياد له وفرط المنازعة اليه وذلك
ماخوذ من قولهم سبع ضار اذا درب باكل اللحم فكثر طلبه له وتوثبه
عليه ويقولون عرق ضار اذا فار دمه فلم يقف وتوالى فلم ينقطع وفي
الاخطل يصف دن الخمر عند بزله لما اتوها بمصباح ومبزلهم سارت
اليهم سؤور الابجل الضاري ۔ والابجل واحد الاباجل وهي العروق
ومعنى سارت اي فارت ونفحت ماخوذ من سورة الشيء وهي حركته
وطموحه ۔ ومما في هذا المعنى الخبر المروي عن بعض الصحابة اتقوا هذه المجازر
فان لها ضراوة كضراوة الخمر اراد بذلك الادمان على اكل اللحم كالادمان
على شرب الخمر الا ان المستكثر من اللحم يؤثر ضررا في بدنه والشارب للخمر يؤثر
ضررها في دينه **ومن ذلك قوله عليه السلام** لعن الله الذين
يشققون الكلام تشقيق الشعر ۔ وهذا القول مجاز والمراد الذين يتصرفون
في الكلام فيدققون فيه ويتعمقون في معانيه ۔ وشبه عليه السلام فعلهم ذلك
بتشقيق الشعر لان الشعر مستدق في نفسه فاذا تعاطى الانسان
تشقيقها انتهت من الدقة الى غاية لا زيادة وراءها ۔ وهذا اللعن في الخبر
انما يقع على من بلغ في تدقيق الكلام الى ذلك الحد فيشبه الباطل بالحق

ويجوز المعنى بالرشد كما قلنا في تأويل قوله عليه السلام الآخر كرها بعضكم
الى وابعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون ومن ذلك
قوله عليه السلام ليدخلن هذا الدين على ما دخل عليه الليل
وهذا القول مجاز والمراد انتشار الاسلام في الشرق والغرب واشتماله
على البر والبحر فجعله عليه السلام من هذا الوجه بمنزلة الداخل دخول الليل
في الاظلال والاطباق وتجليل البلاد والافاق ومن ذلك ما روي
في حديث عن بعض الصحابة وهو قوله وكان ذلك حين دجا الاسلام
اي البس كل شيء ودخل على كل حي تشبيها بالليل في تغطية البلاد وشموله
النجاد والوهاد ومما يقوي هذا المعنى ما روي عنه عليه السلام انه قال لفاطمة
عليها السلام وقد رأت قميصه مخرقا وبطنه خميصا فبكت عند ذلك
فقال لها صلى الله عليه وعلى آله اما يرضيك يا فاطمة الا يبقى على
ظهر الارض بيت مدر ولا وبر الا دخله عز او ذل بابيك ومن
ذلك قوله عليه السلام لمعاذ بن جبل الا اخبرك برأس الامر و
عموده وذروة سنامه قال بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام
وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد • وهذه الالفاظ كلها
مستعارة كأنه عليه السلام جعل الاسلام رأس دين الله المتقدم وفيه
المعظم وجعل الصلاة عموده الذي به قوامه وعليه قيامه وجعل

الجهاد

الجهاد ذروة سنامه لانه يعد الراس اعلى منارا قدرا وارفع مكانا وبه
يشاد بناؤه ويقام لواؤه ويقمع اعداؤه ومن ذلك قوله عليه السلام
حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه • وهذا القول
مجاز والمراد حجوا قبل ان يمنع سلوك البر القاطعون لسبيله والعاثون
في طرقه والحائلون بين الناس وبين دخوله فلما جعل عليه السلام المنع واقعا
بما اشرنا اليه ذكره حسن على طريق المجاز ان يجعله كالمانع لجانبه والمخوف
لسالكه • لان المحجوب بهما كالمحجوب الممنوع قسرا كالممتنع ومن
ذلك قوله عليه السلام الحمى كير من جهنم • وهذا القول مجاز والمراد
المبالغة في وصف حرارة الحمى واتقادها وشدة اوارها واضطرامها
فشبهها عليه السلام بكير يستمد من نار جهنم وهي اعظم النيران وقودا
وابعدها خمودا • وقال المفسرون في قوله تعالى وهو يريد نار الدنيا
نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين قالوا تذكرة يتذكر بها الناس
نار الآخرة فيكون ذلك زاجرا لهم عن المعاصي وصارفا عن الضلال والمغاوي
لان نار الدنيا اذ كانت على ما هي عليه من قوة الاحراق وشدة الارماض
والاتلاف وهي مع ذلك دون نار الآخرة في الطبقة وجزء من اجزائها
في الايلام والنكاية فاحر بتلك النار اذا باشرت الاجسام وخالطت
اللحوم والعظام نعوذ بالله منها ونسأله التوفيق لما باعدنا منها • وقيل

المقوين قولان. احدهما ان يكونوا المرملين من الزاد والفاقدين للطعام
يقال اقوى فلان من زاده اذا لم يبق عنده شيء منه وذلك ماخوذ من
الارض القواء التي لا شيء فيها فكانه صار كهذه الارض في الخلو من البلغ
التي يتبلغ بها والمسك التي يترمقها والقول الآخر ان يكون المقوون هنا
السائرين في القواء وهي الارض التي قدمنا ذكرها والنار للسائرين
فيها كالحاضر ومن ذلك قوله عليه السلام في دعاء دعا به اللهم
ان فلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه فتنة القبر وعذاب
النار. فقوله عليه السلام وحبل جوارك استعارة والمراد انه لاجئ الى الله
ومضطر الى ظلك فاخرج قوله في ذمتك وحبل جوارك على عادة كلام
العرب لانهم يقولون قد عقد فلان لفلان حبلا واخذ فلان من فلان
حبلا اذا اعطاه ذماما او عقد له جوارا وقد سموا العهود حبالا على
هذا المعنى وفي التنزيل الا بحبل من الله وحبل من الناس اي بعهد من
الله وعهد من الناس والاصل في ذلك انهم شبهوا ما يعقد من الذمام
بما يعقد من الحبال لانها تقرب بين البعيدين وتجمع بين الغريبين
وتصل الاسباب بالاسباب وتربط الاطناب بالاطناب ومن
ذلك قوله عليه السلام لاصحابه وقد ذكر وقوع الفتن ثم عودن
فيها اساودا صبا يضرب بعضكم رقاب بعض وهذا القول مجاز والمراد

عليه السلام انكم تكونون في هذه الفتن كالحيات التي تنصب على رؤوسها
وتسرع الى ملاسعها عند شدة تهزر من محرمة ولا تتورع عن عظيم ومن
ذلك قوله عليه السلام كلكم يدخل الجنة الا من شرد على الله
شراد البعير. فقوله عليه السلام الا من شرد على الله مجاز والمراد الا من
تمرد عن امر الله سبحانه وبعد عن رضاه وطاعته وذهب في غير جهة
مشيئته وارادته فكان كالبعير الشارد الذي يتعذر على صاحبه ويبعد عن
معاطنه ومن ذلك قوله عليه السلام لاسماء بنت ابي بكر
انفحي او انضحي ولا توعي فيوعي الله عليك. فقوله عليه السلام انفحي او انضحي
استعارة والمراد انفقي مالك في سبيل الله وابذليه في طاعة الله وفي وجوه
بره واصفه باسراع وبدار كما تنفح الريح بهبوبها وتنضح السحائب بشؤبوبها
والمراد بقوله عليه السلام ها هنا ولا توعي فيوعي الله عليك اي لا تمسكي
فيمسك الله عليك لان من اوعى الشيء وحفظه فقد امسكه ومنعه
ومن ذلك قوله عليه السلام ان قريشا اهل صدق وامانة فمن
بغاهم العواثر كبه الله لوجهه. وهذا القول مجاز والمراد من بغاهم الغوائل
وهي الامور تعثرهم وتقصم ظهورهم فقال عليه السلام العواثر لانها وان عثرتهم
فكانها عاثرة بهم او واقعة عليهم ومن قولهم ضرب الدهر بآل فلان اذا نقض
اعدادهم وغير احوالهم وبلغ المبالغ منهم واساء آثاره فيهم ومن

ذلك قوله عليه السلام المسلمان اذا حمل كل واحد منهما على
صاحبه السلاح فهما على جرف جهنم فاذا قتل احدهما صاحبه دخلاها
جميعا • وهذا القول مجاز والمراد بذلك ان المسلمين اللذين يلتقيان في
غير طاعة الله سبحانه فيما بينهما بالقتال فتطاعنا بحمل السلاح عليهما
لله سبحانه مستحقان لعقابه معذبان على شقاقه فاذا قتل احدهما
صاحبه دخلا جميعا النار الا ان المقتول يستحقها بتعرضه للقتال
المحظور عليه والقاتل يستحقها بمثل ذلك وينفرد بعقاب القتل الذي
وقع منه فيكون اشدهما نكالا واعظمهما وبالا • وموضع المجاز قوله
عليه السلام فهما على جرف جهنم والمراد انهما على طريق استحقاق نار جهنم
باقدامهما على الفعل المحظور والامر المكروه فشبه عليه السلام كونهما
قريبين من استحقاق دخول النار بمن اشرف على جرفها وقام على
حرفها لشدة القرب منها والاشفاء على الوقوع فيها • ومثل ذلك
قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقد لخصنا
الكلام على ذلك في كتاب مجازات القران ومن ذلك قوله عليه السلام
وقد راى بعيرا في بعض حيطان المدينة يرغو كالشاكي فقال عليه السلام
لصاحبه ان بعيرك يشكوك وزعم انك اكلت شبابه حتى اذا كبر تريد ان
تنحره • وهذا القول مجاز والمراد بقوله عليه السلام اكلت شبابه استعملته

حال الشباب وقوته وانجعت نحره في حال الضعف وكبرته فجعل استعماله
طول ايام شبابه كالاكل لشبابه لانه استنفاد له وذهاب به ومن
ذلك قوله عليه السلام في حديث طويل نهى فيه عن الذبح بالسن و
الظفر • اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة • وهذه استعارة
والمدى السكاكين وكانه عليه السلام قال والاظفار سكاكين الحبشة لانهم
يذبحون بحدها ويقيمونها مقام المدى في التذكية بها • والظفر هاهنا
اسم للجنس كالدينار والدرهم في قولهم اهلك الناس الدينار والدرهم
اي الدنانير والدراهم ولذلك صح ان يقول مدى الحبشة والمدى جمع لان
الواحدة مدية ومن ذلك قوله عليه السلام كفى بالسلامة داء •
وهذا القول مجاز لان السلامة على الحقيقة ليست بداء في نفسها وانما
المراد انها تفضي الى الادواء القاتلة والاعراض المهلكة لان طولها
يؤدي الى موت الشهوات وانقطاع اللذات وحوادث الهرم وعوادي
السقم فحسن من هذا الوجه ان تسمى داء اذ كانت موقعة فيه ومؤدية
اليه وقد اكثرت الشعراء نظم هذا المعنى في اشعارهم الا ان كلام النبي
عليه السلام ابهر من جميع ما قالوه مطلعا وابعد منزعا واوجز في تمام
واكثر مع قلة كلام فيما جاء • وهذا المعنى قول حميد بن ثور • ارى
بصري قد رابني بعد صحة • وحسبك داء ان تصح وتسلما • وقول

لبيد بن ربيعة وَدَعوتُ ربّي بالسلامة جاهداً ليصحّني فاذا السلامةُ
داءٌ وقول النمر بن تولب • يودّ الفتى طول السلامة والغنى • فكيف
يرى طول السلامة يفعل • وانّي لاستحسن كثيراً الابيات التي من جملتها
هذا البيت وهي قوله • تغيّر منّي كلّ شيءٍ وذا ابي • مع الدهر ابدالاً لي
التي ابتدل • تضول اذا ما فاديني بعدما يكون كفاف اللحم اوهو
اجمل • كانّ محطّاً في يديْ حارثيةٍ صناعٍ علت منّي به الجلد من علِ
يردّ الفتى بعد اعتدال وصحّةٍ ينوء اذا رام القيام ويحمل • تدارك
ما قبل الشباب وبعده • حوادثُ ايامٍ تمرّ واغفل • يودّ الفتى طول
السلامة والغنى • فكيف يرى طول السلامة يفعل **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد ذكر صلوة العصر ولا صلوة بعدها حتى يرى
الشاهد • وهذه استعارة والمراد بالشاهد ههنا النجم والعرب
يسمّون الكوكب شاهد الليل كانه يشهد بادبار النهار واقبال
الظلام وكل شيءٍ يدلّ على شيءٍ فهو يجري مجرى الشاهد به والمخبر عنه
اذ ليس كل دالّ لسانٍ ولا كل دليل من جهة اللسان **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وايّ داءٍ ادوى من البخل وهذا القول مجازٌ لانّ
البخل على الحقيقة ليس بداءٍ ولكنه لما كان عادةً مكروهةً وخليقةً
مذمومةً اجري مجرى الداء الذي يغيّر الصحة ويفسد الجملة الا انه داءٌ

يمكن الانفصال من صحبته وحمل النفس على مفارقته لانه لو لم يكن كذلك
لما حسن الذم عليه والتعيير به كما لا يحسن الذم على سائر الامراض التي تغيّر
الاحوال وتفسد الاجسام والبخل على الحقيقة هو منع الواجب فكل من
منع الواجب يوصف بالبخل ومن منع التفضل لا يوصف بذلك الا
على سبيل المجاز وكل ما في القرآن من ذكر البخل فانما يراد به منع الواجب
كما ان كل ما فيه من الامر بالانفاق انما يراد به اخراج المال في الواجب
فاما تسمية العرب من لا يقري النازل ولا يعطي السائل البخيل فلانّهم
اعتقدوا وجوب ذلك عليه فوصفوه بالبخل لامتناعه منه واتساعه
مع اعتقادهم **ومن ذلك قوله عليه السلام** وقد سأله رجل
من جهينة متى يصلّي العشاء الآخرة فقال اذا ملأ الليل بطن كل واد
وهذا مجاز لان الليل على الحقيقة لا يملأ بطون الاودية كما يملأ
بطون الاوعية وانما المراد اذا اشتمل ظلام الليل البلاد وطبق النجاد
والوهاد فصار كالسداد لكل شعب والصمام لكل نقب **ومن ذلك**
قوله عليه السلام وقد طلعت من اصابعه بثرة فوضع يده عليها
وقال اللهمّ مطفئ الكبير ومكبّر الصغير اطفها عنّي برحمتك
وهذه استعارة كانه عليه السلام اقام ذلك الداء مقام النار التي
قد اخذت في الاضطرام وهمّت بالاحتدام وانما الشفاء المطلوب

من الله سبحانه مقام الالطاف لنا ونضح الماء عليها في ان ذلك يطفئها ويزيل
وليرج خمودها وهذا من التشبيهات الصادقة والتمثيلات الواقعة. و
روي انه عليه السلام كان يغلق الغلق الشديد لما يظهر في جبينه من الماء
اليبس وقيل له في ذلك فقال ان الله اذا اراد ان يعظم صغيرا اعظمه
ومن ذلك قوله عليه السلام من قعد في مصلاه حين يصلي الصبح حتى
يسبح الضحاء وحديث طويل. وهذه استعارة كانه عليه السلام جعل
الضحاء وهو شباب النهار وزيادة ترعرعه بمنزلة الماء النابع من الغدير
الطالع في السيل من وجهين. احدهما ان بياض الضحاء كبياض الماء
والاخر ان اشتداد النهار وضياءه كابيضاض الغدير بمائه. ومثل تسميتهم
اول النهار ثم بالضحاء تسميتهم الشمس عند اول طلوعها بالغزالة
وليس ذلك باسم لها في جميع الاحوال كما يظن بعض الجهال. وانما
هو اسم لها في هذا الوقت المخصوص ومن الشاهد على ذلك قول ذي
الرمة. واشرفت الغزالة راس حزوى لانظرهم وما اغني قبالا
كانه قال واشرفت ذلك الموضع اول طلوع الشمس وابين من هذا قول
الاخر وانشدناه شيخنا ابو الفتح النحوي رحمه الله. قال الراجز
الافق يسوق بالقوم غزالات الضحى. كانما قال يسوق بهم اوائل
النهار وعند ابتداء الشمس في الانتشار. والضحى اول شروقها واضحها

والضحاء وقت اشراقها وارتفاعها ومن ذلك قوله عليه السلام
وقد مر على قوم وقوف على ظهور دوابهم ورواحلهم يتنازعون الاحاديث
فقال عليه السلام لا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق
فرب مركوبة خير من راكبه. وهذه استعارة كانه عليه السلام شبه الدواب
والرواحل في حال الحالة الوقوف على ظهورها بالكراسي التي يجلس عليها
لانها تثبت في مواضعها ولا تزول الا بزوالها فنهى عليه السلام ان يجعل
الحيوان المتصرف بمنزلة الجماد الثابت والشيء الثابت ومن ذلك
قوله عليه السلام ان الاسلام بدا جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم سديسا
ثم بازلا فما بعد البزول الا النقصان. وهذا الكلام كالمستعار
والمراد تمثيل الاسلام في تنقل احواله وتغاير اوصافه بولد الناقة
الذي يتنقل في اسنانه فيكون اول امره جذعا ثم ثنيا ثم رباعيا ثم
سديسا ثم بازلا وهي سن التمام وما بعد التمام الا النقصان ومدار
المعنى على ان الاسلام بدا في غاية الصغر ثم انتهى الى غاية الكبر على تدريج
ما بين البازل والجذع وانه عليه السلام يخشى عليه نقص التمام. و
عكسه الكمال كما يخشى على البعير بعد اخناته والبازل بعد انتهائه و
من ذلك قوله عليه السلام انما هذا المال من الصدقة اوساخ ايدي
ايدي الناس وفي رواية اخرى غسالات ايدي الناس. وذكر ابن سعد

في كتاب الجنايات انه عليه السلام قال للعباس بن عبد المطلب حين اراد
ان يسأله ان يستعمله على الصدقة ما كنت لاستعملك على غسالة ذنوب الناس
وهذا القول مجاز والمراد تشبيه ما يخرجه الناس من صدقاتهم بالاوساخ
التي يميطونها عن ابدانهم والتشبيه بذلك من وجهين احدهما ان تكون اموال
الصدقات لما كان اخراجها مطهرا للمال واهله صارت الاموال حينئذ تجري مجرى
المياه التي تغسل بها الادران وتزال بها الانجاس في انتقال تلك
الادران اليها وحصول تلك الادناس والانجاس فيها . والوجه الآخر
ان يكون المراد ان اموال الصدقات في الاكثر لا تكون الا اشقاق الاموال
دون اخيارها ومقاباتها دون كرائمها ولذلك امر عليه السلام في الصدقة
بالاخذ من حواشي الاموال دون حزراتها وهي خيارها . وانما شبهها عليه السلام
تلك الاوساخ التي تزال عن الابدان لان الاموال المعطاة في الاكثر انما تكون
بما ونز عليها وقد مضى الكلام على مثل هذا المعنى فيما تقدم ومن ذلك
قوله عليه السلام في تهديد اقوام ذمهم وتحمل ما نازع الله
رداءه فان رداءه الكبرياء والعظمة . وهذا القول مجاز والمراد بذلك ازاره صح
ان الكبرياء والعظمة رداء الله تعالى فاراد انهما اللذان يكونهما خليقتين فيهما
به ومن لا يقدر غيره على ان ينتزع منهما اما التسمية يلبس بهما اثوابه
والمراد بذلك العظمة والكبرياء على حقيقتهما دون ما يعقله الجهال الا عظيمه

وكبريائه وليس فيهما وذلك لما كان اهل من تعظم الجبارين وتكبر المتملكين
فان ذلك ليس بعظيم من الله سبحانه لهم ولا بما فاض من ملابس كبريائه
عليهم وانما العظمة والكبرياء في الحقيقة هما الكرامتان اللتان ليعبهما الله سبحانه
على رسله وانبيائه والقايمين بالقسط من عباده فيعظمون بهما في العيون
ويجلون في الصدور والقلوب وان كانت هيأتهم ذميمة وظواهرهم ورثاثهم
خاضعة وبطونهم جائعة فاذا ثبت ما قلناه بان ان تسمية الكبرياء والعظمة
رداء الله وازاره ليس لانه يكتسيهما ولكن لانه يكسوهما وذلك كما يقول
القائل وقد راى على بعض الناس ثوبا افاضه عليه عظيم من العظماء او كريم
من الكرماء هذا ثوب فلان ولم يرد انه لابسه ولكن اراد انه ملبسه
فاضافه اليه من حيث كساه لا من حيث اكتساه . ويجري هذا المجرى
قولنا بيت الله وليس بساكنه وعرش الله وليس براكبه ونظير ذلك قولهم
لعمر الله ما فعلت كذا ولعمر الله لقد فعلت كذا والعمر هو العمر بعينه
عمر وعمر بمعنى واحد قال الشاعر . بان الشباب واخلف العمر . و
تغير الاخوان والدهر . اراد العمر على احد التفسيرين والتفسير الاخر
ان يريد به واحد عمور الاسنان واخلافه نقيضه من الكبر الا ان العمر
في قولهم لعمر الله يراد به الحياة وهذا المراد بقول القائل لعمري و
لعمر ابي ولعمر فلان كانه قال وحياتي وحياة ابي وحياة فلان

وجاء عن ابن عباس رحمه الله عليه انه قال من كرامات الله سبحانه
لنبينا عليه السلام انه اقسم في القران بحياته ولم يفعل ذلك بنبي
غيره قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فكانه سبحانه قال
وحياتك انهم كذلك واذا صح ما قلناه صار القايل لعمر والله كانما
حلف بحياة حي الله بها الاحياء تحيا بها لانه سبحانه يتعالى عن
ان يحيا بحياة او يتكلم باداة او يفعل بالالات **ومن ذلك**
قوله عليه السلام قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ
بعدي الا هالك. وهذا القول مجاز والمراد بالبيضاء هاهنا المحجة
الدين ومدرجة الطريق المستقيم ووصفها بالبياض عبارة عن وضوح
منهجها وبيان سننها وكل ابيض في كلامهم واضح يقولون وجه واضح
اذا كان ابيض المحيا وجبين واضح وجيد واضح على هذا المعنى وقوله
عليه السلام ليلها كنهارها مفوق لما فسرناه من المراد بالبياض كانه
عليه السلام اشار الى ان الليل لا يغطي وضوح هذه المحجة لبوادها و
لا يستر اعلامها بظلامه ولا محجة هناك على الحقيقة وانما المراد
صفة الدين بوضوح المعالم وبيان المواسم وانارة المداخل وظهور
الحجج والدلايل **ومن ذلك قوله عليه السلام** ما ملا ادمي وعاء
شرا من بطن في حديث طويل. وهذا القول مجاز وانما جعل عليه

البطن بمنزلة الوعاء لانه قرار للطعام والشراب وما يستحيلان اليه
من الفروث والاخباث فكان الماكل والمشرب ايغاء فيه وكان
الغذو والبرز تفريغ له ونظير هذا الخبر الخبر المروي عنه عليه السلم
وهو قوله القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض. وقد تقدم الكلام
عليه لانه عليه السلام انما جعل القلوب كالاوعية لانها مواضع
ايداع السراير وعقود الضماير وحفظ الادلة والعلوم ومستقر
الاراء والعزوم الا ان القلوب اوعية للاعراض من الارادات و
الاعتقادات والبطون اوعية للاجسام من الماكولات والمشروبات
ومن ذلك قوله عليه السلام الحجر يمين الله فمن شاء صافحه
بها. وهذا القول مجاز والمراد ان الحجر جهة من جهات القرب الى الله
سبحانه فمن استلمه وباشره قرب من طاعته تعالى فكان كاللاصق
بها والمباشر لها فاقام عليه السلام اليمين هاهنا مقام الطاعة التي
يتقرب بها الى الله سبحانه على طريق المجاز والاتساع لان من عادة
العرب اذا اراد احدها التقرب من صاحبه وفضل الانسة بمخالطته
ان يصافحه بكفه ويعلق يده بيده وقد علمنا في القديم تعالى ان الذي
يستحيل على ذاته فيجب ان يكون ذلك ذو امر طاعته ومرضاته و
لما جاء عليه السلام بذكر اليمين اتبعه بذكر الصفاح ليوفق الفصاحه

حقها وبلغ بالبلاغة غايتها • ونظير هذا الخبر الحديث الاخر ان الصدقة
تقع في يد الله سبحانه قبل يد السايل اي يتجعل بها سبحانه استحقاق
مثوبته وموافقة طاعته وانها لا تهلك ضلالا ولا تذهب ضياعا
بل تكون كالشيء المحفوظ باليد والمذخور للغد • وهذا حين انتهاينا
الى الفراغ من كتاب المجازات الاثار النبوية على ما تخلل عملنا له من
قواطع الاشغال وبواهظ الاثقال وعوادي الايام والليالي • وقد
خرجنا في صدر هذا الكتاب من عهدة التكفل باستيعاب جميع ما ورد
عن النبي صلى الله عليه وعلى اله من الاثار الملفوظة والاخبار المنقولة
بما شرطناه من كلامنا الى ما وقع الينا وقرب من تناولنا دون ما
بعد عنا وشذ عن ايدينا ولا يبعد ان يكون القدر الذي تكلمنا عليه
قليلا من كثير وقصيرا من طويل الا ان عذرنا في الاقتصار عليه واضح
وحجتنا فيما اديناه ناصح ونحن نحمد الله سبحانه على ما من به من
التوفيق لاقتناص شوارده وتسهيل موارده وابانة فوائده وعوائده
حمدا يكون للنعم قواما ولنتاجها تماما ولصعبها عقالا ولازمتها زماما
فان النعم تبنى على قواعد الشكر لها وترفع على دعايم المعرفة بقدرها
وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل واليه ننيب • فقير اقل من كل قليل
واذل من كل ذليل عبد عبيد ال محمد صلى الله عليه وعلى اله الانجبين محمد



المدعو بالتقي ابن ابي الحسن عفى عنهما غيهما • حامدين لله ومصلين على نبيه
واهل بيت نبيه عليه وعليهم الصلوة والسلام • والحمد لله اولا واخرا وظاهرا
وباطنا • اسكنه الله مستغفر في خطاير فراديس قدسه في سنة تسع وتسعين والف

استكتبت هذا الكتاب المستطاب بذكره لمن اهله الله للاسماع به من
معاني الحكمة وفصل الخطاب وكتب هذه الاحرف من عليه رحمه
المصرف العمر الى الله في كل موطن محمد
المدعو علم الهدى ابن محمد المحسن عفى الله
عما جنى وجعل من المقربين اليه
راجيا حامدا
مصليا

